

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

رقم التسجيل:

الرقم الترتيبي:

البعد الاجتماعي والسياسي
لعقيدة التوحيد

بحث مقدم للحصول على شهادة دكتوراه دولة في العقيدة

إشراف الأستاذ الدكتور: فضيل دليو

إعداد الطالب: عمار طسطاس

لجنة المناقشة

رئيس			
مشرفا ومقررا	جامعة منتوري قسنطينة	أ.ت.ع	أ.د فضيل دليو
عضوا			
عضوا			
عضوا			

نوقشت يوم

السنة الجامعية: 1426-1427هـ / 2005-2006م

الفصل الأول

النسوزج المعرفي التوحيدى

المبحث الأول: المفاهيم المفتاحية للنسوزج المعرفي التوحيدى.

المبحث الثانى: مقومات النسوزج المعرفي التوحيدى.

المبحث الثالث: المعرفة ووحدة الحقيقتة فى النسوزج المعرفي التوحيدى.

المبحث الأول: المفاهيم المفتاحية للنموذج المعرفي التوحيدي

تمهيد:

يمثل «النموذج المعرفي التوحيدي» الدور النظري المعرفي لعقيدة التوحيد، حيث يسعى إلى تفعيل قواعد العقيدة الإسلامية معرفياً، ويحول تلك المعرفة إلى قدرات تفسيرية تقدم للإنسانية- اليوم- إجابة شافية عما صار يعرف في الأدبيات الغربية بـ "الأسئلة الكلية والنهائية" المتعلقة بمضمون النماذج المعرفية، التي تدور حول ثلاثة عناصر أساسية: الله، الطبيعة والإنسان⁽¹⁾، وهي من متضمنات عقيدة التوحيد في الإسلام كذلك.

«فما الذي يستفاد به معرفياً من الإيمان بالله الواحد وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره؟ وما هي الدلالات المنهجية لهذه القواعد؟ وكيف توجد الفناعة بأن العلوم جميعها بل الأفكار والحضارات لا بد أن تقوم على نظرة معينة للكون وأصل مصدره وغايته وكيفية معرفته ومكوناته الأساسية المرئي منها والمنورائي، ومن ثم فإن نقي وجود الخالق أو اتخاذ موقف محايد من وجوده وعدمه، وكذلك أي من القواعد الأخرى يترتب عليه نظام معرفي مغاير تماماً لذلك النظام الذي ينبثق عن الإيمان بهذه القواعد»⁽²⁾.

وفي نظرية المعرفة الإسلامية، يجب الانتباه إلى ضرورة التمييز بين نموذجين للمعرفة يعضد أحدهما الآخر ويتكامل معه⁽³⁾:

- الأول: النموذج المعرفي الموحى، وهو: «أحدث وآخر نماذج المعرفة الموحاة يتمثل في القرآن الكريم وسنة آخر الأنبياء- محمد بن عبد الله ﷺ- وسيرته.

- والثاني: النموذج المعرفي العلمي: وهو النموذج الذي يجتهد البشر- بمقتضى الفطرة- في تأسيسه وتطويره باستمرار، بمعنى النموذج المعرفي الموحى، أو بعزل عنه، وهذا الأخير نوعان:

النوع الأول: النموذج المعرفي التوحيدي: ويستند في تحديد مفاهيمه الكلية المعرفية والمنهجية إلى الوحي، كما يعتمد في اتخاذ مفاهيمه التحليلية من مجال معرفي أوسع توفره طبيعة

(1) عبد الوهاب المسيري- اللغة والجهاز بين التوحيد ووحدة الوجود: 218.

(2) طه جابر العلواني- نحو منهجية معرفية قرآنية: 279.

(3) كلیم صدیقی- التوحيد والتفويض: 9.

مصادر المعرفة في الإسلام التي تجمع بين الوحي والكون من جهة، وبين وسائل المعرفة من سمع وبصر وعقل من جهة ثانية.

ومن هنا نلاحظ سمة الشمولية المعرفية من حيث المصدر والأدوات كحقيقة واقعية لا مرأ فيها يتفرد بها النموذج المعرفي التوحيدي تبعاً لطبيعة المعرفة في الإسلام حسب شمول المصدر والمجال، كما أنه يستوعب التراث المعرفي البشري، ويمتلك الكفاءة المنهجية والقدرة على تجاوزه بإعادة صياغته وتمثله من منظور الرؤية التوحيدية الإسلامية⁽¹⁾.

النوع الثاني: النموذج المعرفي الغربي الحديث:

يختلف عن النموذج المعرفي التوحيدي بأنه: «يتأسس على النسبية وإخضاع كل الظواهر للقياس، واستبعاد الدين من المنهج واعتباره موضوعاً من موضوعات الدراسة لا منطلقاً للعلم والمعرفة»⁽²⁾.

فالمعرفة حسب النموذج المعرفي الغربي - في اتجاهاته المادية الوضعية - يمارس القطيعة المعرفية مع الوحي أياً كانت قيمته، فهو يقتصر من حيث مصدر المعرفة على حقائق الكون أو عالم الشهادة، وعلى العقل أو الحواس والتجربة من حيث الوسيلة. وعلى هذا الأساس صار هذا النموذج عرضة لخطر التغيير الفعلي والمحتمل من جراء الثورات العلمية المتعاقبة⁽³⁾.

في حين أن نظيره في «النموذج المعرفي التوحيدي» يتميز بالمرونة والثبات معاً، جراء اعتماده على الاجتهاد والتجديد من جهة المتغيرات، والاستقرار على قواعد وأصول ثابتة - من جهة الوحي المعصوم - في مفاهيمه، ومقوماته، وكنياته.

ولكي يتميز النموذج المعرفي التوحيدي، بخصائصه ومقوماته، وكفاءته المعرفية التفسيرية عن النماذج المعرفية الأخرى وحب التطرق في هذا الفصل بالعرض والتحليل إلى قضايا تتعلق بالمفاهيم المفتاحية لهذا النموذج: كالدين والفترة والقراءة والعلم والإيمان والعمل والمعرفة ثم محاولة الكشف عن التداخل المعرفي والمنهجي بين هذه المفاهيم وبين مقومات نظام الدين

(1) إسماعيل راضي الفاروقي - أسلمة المعرفة: 49.

(2) هبة رؤوف عزت - المرأة والعمل السياسي: 44.

(3) طوماس كوهن - بنية الثورات العلمية: نقلاً عن كليم صديقي - التوحيد والفسخ: 10.

وكلياته في العقيدة والمعرفة والسلوك والحياة كما جاء بها الإسلام، وصولاً إلى إدراك مقاصد المعرفة الإسلامية ووحدة الحقيقة، استناداً إلى مقومات التصور الإسلامي العام للوجود وكلياته في: التوحيد، والكون، والإنسان، والحياة. وما ينبثق عنها من قيم ومبادئ تشكل فلسفة الحياة الاجتماعية والسياسية بقصد بناء النظام الاجتماعي السياسي الإسلامي في الواقع.

أولاً: مفهوم الدين في القرآن:

1- معنى الدين في اللغة العربية:

إذا رجعت إلى معاجم اللغة العربية لتقصي معاني لفظة "الدين" ألفيتها متعددة، وتصل إلى حد التناقض في الظاهر، «فالدين هو الملك، وهو الخدمة- وهو العز- وهو الذل- وهو الإكراه وهو الإحسان- وهو العادة وهو العبادة- وهو القهر والسلطان، وهو التذلل والخضوع، وهو الطاعة، وهو المعصية- وهو الإسلام والتوحيد، وهو اسم لكل ما يعتقد، أو كل ما يتعبد الله به... الخ»⁽¹⁾.

جاء في مختار الصحاح: «(والدين) بالكسر: العادة والشأن، (دانه يدينه ديناً) بالكسر: أذله استعبده (فدان)، وفي الحديث: عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ، قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»⁽²⁾ قال هذا حديث حسن.

و(الدين) أيضاً الجزاء والمكافأة، يقال (دانه) يدينه (ديناً) أي جزاه، يقال: (كما تدين ندان) أي كما تجازي تجازي بفعلك وبحسب ما عملت، وقوله: «أَنَا لَمَدِينُونَ»⁽³⁾، أي لمجزيون محاسبون ومنه (الديان) في صفة الله تعالى.

و(الدين) العبد و(المدينة) الأمة كأنهما أذهما العمل، و(دانه) ملكه، وقيل منه سمي المصّر (مدينة).

و(الدين) أيضاً الطاعة، تقول (دان له) يدين ديناً، أي أطاعه، ومنه الدين والجمع الأديان ويقال: (دان بكذا) ديانة فهو (دين) و(تدين به) فهو متدين و(دينه تديننا) وكله إلى دينه»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ محمد عبد الله دراز- الدين: 25. وانظر: عبد الرحمن الحلوي- أصول التربية الإسلامية وأساليبها: 14 وما بعدها.

⁽²⁾ سنن الترمذي- كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، حديث رقم: (2459): 638/4.

⁽³⁾ سورة الصافات- الآية: 53.

⁽⁴⁾ محمد بن أبي بكر الرازي- مختار الصحاح: 145، 146 وانظر الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن: 323.

ويستخلص من معاني كلمة (الدين) في معاجم اللغة العربية بالنظر إلى اشتقاق اللفظة ووجوه تصريفها أنها تعود إلى معاني ثلاثة⁽¹⁾:

- **المعنى الأول:** إذا أخذ معنى كلمة (الدين) من فعل متعد بنفسه: (دانه يدينه) بمعنى أنه ملكه، وحكمه، وساسه، وقهره، وحاسبه، وقاضاه، وجازاه.

- **والمعنى الثاني:** إذا أخذ من فعل متعد باللام: (دان له) صار معناه أنه أطاعه وخضع له، أي أن الدين هنا هو، الطاعة والخضوع، والعبادة والورع والتقوى.

ومن ثمة فالمعنى الثاني ملازم للمعنى الأول، ومكمل له إذا قلنا (دانه فدان له) أي قهره على الطاعة فخضع له وأطاعه.

- **المعنى الثالث:** إذا أخذ من فعل متعد بالباء (دان به)، أريد بكلمة الدين هنا اتخاذه ديناً ومذهباً، أو منهجاً في الفكر والحياة، فالدين حسب هذا المعنى هو المذهب أو المنهج الذي يسير عليه المرء نظرياً أو عملياً.

«وجملة القول في هذه المعاني اللغوية، أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثاني، كانت أمراً وسلطاناً، وحكماً وإلزاماً، وإذا نظرنا بما إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها»⁽²⁾.

ويمكن القول الآن، إن مادة (الدين) في اللغة كلها تدور على معنى (لزوم الانقياد) فإن المعنى الأول للدين هو (إلزام الانقياد) وفي المعنى الثاني هو (التزام الانقياد) وفي المعنى الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له).

2- معنى الدين في القرآن الكريم:

لم يخرج القرآن الكريم في استعماله لكلمة (الدين) عن معاني معاجم اللغة العربية، وإنما الذي يميز به التثريب الحكيم - عنها - أنه صير لفظاً (الدين) مصطلحاً مخصوصاً له معنى واضح المعالم يقدم رؤية معرفية توحيدية للكون والإنسان والحياة، والله المهيمن عليهم جميعاً، وهذا يقدم القرآن الدين على أنه طريقة في الحياة ومنهجاً لنظم الفكر والاجتماع الإنساني يمتاز عن

(1) محمد عبد الله دراز - الدين: 26.

(2) محمد عبد الله دراز - الدين: 27.

غيره من الأديان والمذاهب البشرية بطابع الشمول والتوازن والوسطية في النظر إلى الأمور وتفسيرها، وأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد غيره.

وبالرجوع إلى المعاني التي وردت في معاجم اللغة العربية لكلمة (الدين) ومقابلتها بما جاء من معانيها في القرآن الكريم نجد كلا منهما قد استعمل أحد المعاني الأربعة الآتية متفرقة أو مجتمعة⁽¹⁾:

- 1- الملك والسلطان والحكم والغلبة.
- 2- الطاعة والذل والعبودية.
- 3- الجزاء والمكافأة والحساب.
- 4- الطريقة والمنهج أو النظام الفكري والعملي.

أ) مفهوم الدين بالمعنيين الأول والثاني:

قال فيه الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾⁽³⁾ الدين هنا يعني الطاعة والملك⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾⁽⁵⁾ ويعني الدين هنا العبادة والطاعة⁽⁶⁾.

يستفاد من هذه الآيات وما في حكمها أن كلمة دين تعني فيها جميعاً، أن الملك والسلطان والحكم والغلبة لله، والمراد بإخلاص الدين له ألا يطيع الإنسان ولا يعبد أحداً من دون الله أو معه غيره بمقتضى تلك المعاني⁽⁷⁾.

ب) مفهوم الدين بالمعنى الثالث:

(1) أبو الأعلى المودودي - الدين القيم: 5، وأنظر: نفس المؤلف، المصطلحات الأربعة في القرآن: 119.

(2) سورة غافر - الآيات: 64-65.

(3) سورة النحل - الآية: 52.

(4) عبد الكريم زيدان موجز الأديان في القرآن: 11.

(5) سورة الزمر - الآية: 2.

(6) تفسير الشوكاني: 448/4.

(7) أبو الأعلى المودودي: المصطلحات الأربعة في القرآن: 126.

وجاء مفهوم الدين بالمعنى الثالث في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾⁽¹⁾.

وقال: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْبَيْمَ وَلَا يُحْضِرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾⁽²⁾.

وقال: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾⁽³⁾، والمراد من معاني كلمة الدين في هذه الآيات الحساب والمكافأة والجزاء⁽⁴⁾.

ج) مفهوم الدين بالمعنى الرابع:

أما في المعنى الرابع فقد وردت كلمة (الدين) في آيات كثيرة تدل دلالة بينة على مفهوم أشمل وأوسع من المعاني السابقة بل ويضمها مفهوم الدين مع غيرها باعتبارها القانون أو الشرع المتبع، والنظام الفكري والعملية الذي يتقيد به الإنسان في سلوكه الفردي وحياته الاجتماعية. وبالنظر في الواقع البشري إلى القانون المتبع أو النظام المتبع، فإن كان شرع الله تعالى هو المتبع فالإنسان الملتزم به يعد في دين الله عز وجل، وإن كان ذلك القانون من وضع ملك أو فئة اجتماعية ما دون التقيد بأمر الله تعالى، فالمطيع لذلك القانون المقتضي لأثره فهو في دين الملك أو الفئة التي وضعت، «وموجز القول أن من يتخذ المرء سننه أعلى الأسناد وحكمه منتهى الأحكام ثم يتبع طريقا بعينه بموجب ذلك فإنه - ولا شك - بدينه يدين»⁽⁵⁾.

ومن الآيات الدالة على المعنى الأشمل للدين في القرآن، قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُمُ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة الناريات - الآيات: 5-6.

(2) سورة الماعون - الآية: 1-3.

(3) سورة الانفطار - الآيات 17-19.

(4) أبو الأعلى المودي المصطلحات الأربعة في القرآن: 126.

(5) أبو الأعلى المودي المصطلحات الأربعة في القرآن: 125.

(6) سورة بونس - الآيات: 104، 105.

وقال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾⁽³⁾ هذا هو للمعنى الواسع لدين الله وطريقه القويم الذي أنعم به على الناس كافة عقيدة وهجاء فكريا وعمليا، والذي لا يقبل منهم غيره باعتباره "الدين الحق" والمعروف في القرآن باسم الإسلام حصرا وقصرا. قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽⁴⁾.

«إن الدين عند الله...» حيث لا دين غيره عنده تعالى إلا "الإسلام" والإسلام لغة هو الامتثال لأمر الأمر ونهيه والانقياد له بلا اعتراض⁽⁵⁾ وهو في اصطلاح القرآن انقياد الإنسان المؤمن لله وحده، ظاهرا وباطنا بما شرعه على ألسنة رسله، وأما من دان بغيره، فهو لم يدين الله حقيقة لأنه لم يسلك الطريق الذي جاء به المرسلون⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽⁷⁾.

والظاهر أن لفظي الدين والإسلام في الآيتين بمعنى واحد «فالمراد بالدين ذلك المنهاج للحياة والطراز المخصوص للتفكير والعمل الذي يتبع ويحتذى على مثاله... بل الذي يصرح به القرآن في هذه الآية ويعلنه هو أن المنهاج الوحيد الصحيح عند الله في هذه الحياة الدنيا، الكافل للحياة البشرية جمعاء، المحيط بها في كل عصر وفي كل زمن، هو ذلك المنهاج الفطري الذي يعبر عنه بالإسلام»⁽⁸⁾. وهذا يتحدد مفهوم الدين بمطلوه الحقيقي الكامل، بوصفه مفهوما مفتاحيا للنموذج المعرفي التوحيدي.

ثانيا: مفهوم الفطرة في القرآن:

(1) سورة يوسف - الآية: 40.

(2) سورة الروم - الآية: 30.

(3) سورة النور - الآية: 2.

(4) سورة آل عمران - الآية: 19.

(5) أبو الأعلى المودودي - مبادئ الإسلام: 4.

(6) عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تفسير الكرم الرحمن: 116.

(7) سورة آل عمران - الآية: 85.

(8) أبو الأعلى المودودي - الدين القيم: 5-7. وانظر: حسن الترابي - السياسة والحكم: 23 وما بعدها.

1- معنى الفطرة في اللغة العربية:

قال الراغب الأصفهاني: «أصل الفطر: الشق طولاً... وفطرت العجين: إذا عجنته فخيرته من وقته، ومنه: الفطرة، وفطر الله الخلق، هو إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال، فقوله: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾⁽¹⁾، فإشارة منه تعالى إلى ما فطر أي أبداع وركز في الناس من معرفته المشار إليها بقوله: ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾⁽⁴⁾، وقال: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾⁽⁵⁾: أي أبداعنا وأوجدنا⁽⁶⁾.

2- معنى الفطرة في القرآن والسنة:

أ- المعنى العام:

تشارك الخليقة قاطبة على اختلاف أنواعها في أن لكل منها طبيعة ثابتة، سواء تعلق الأمر بمكوناتها الداخلية أو الخارجية.

والله - تعالى - هو فاطر السماوات والأرض وما اشتملتا عليه من مخلوقات، وما جعل فيها من طاقات وقدرات مادية ومعنوية تتحرك بها نحو غايتها الوجودية المقدر لها وفق مشيئة الباري عز وجل وحكمته، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽⁷⁾.

«مدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات والأرض وما اشتملتا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه»⁽⁸⁾.

(1) سورة الروم - الآية: 30.

(2) سورة الزمر - الآية: 87.

(3) سورة فاطر - الآية: 1.

(4) سورة الأنبياء - الآية: 56.

(5) سورة طه - الآية: 72.

(6) الراغب الأصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن: 640.

(7) سورة فاطر - الآية: 1.

(8) عبد الرحمن ناصر السعدي - تفسير الكرم الرحمن: 745.

وهذه الطبيعة الثابتة في الخليقة خاضعة لخطئة دقيقة، تبدأ بالخلق الإلهي الذي سواها فأحسن خلقها، وقدرها تقديرا لا يملك معه الخروج عن أمر الله وتقديره، وهداها من نعمة إلى غاية وجودها ومصلحتها في رحلة الحياة الدنيا، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾⁽¹⁾.

والخليقة من حيث فطرتها بهذا المعنى العام يلاحظ عليها أنها خاضعة لربوبية الله ومستسلمة لأمره التكويني السنني بلا اعتراض «ففيها فطرة الخضوع الإرادي له، والإسلام له»⁽²⁾.

ب- المعنى الخاص:

ويعرض القرآن بالإضافة إلى ذلك معنى خاصا للفطرة تميز الإنسان عن سائر المخلوقات بطبيعة فطرية متفردة

فهو: ذو طبيعة مزدوجة: قبضة من طين الأرض، ونفحة من روح الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾⁽³⁾.

فقبضة الطين في الكيان الموحد للإنسان تمر عنها الدوافع الفطرية، أو القوة الحيوية الجسمية كالجوع والعطش، والنشاط الجنسي، وهي ما يشترك فيها الإنسان مع الحيوان من حيث الدافع، حتى وإن اختلفت نشاطاتها في الصورة، والغاية التي يقصدها كلاهما.

أما نفحة الروح فتفصح عن وجودها في كيان الإنسان في الوعي والإدراك المعرفي والإرادة، وهي تمثل كل القيم والمعنويات التي يمارسها الإنسان في ذاته ومع بني جنسه في الحياة العامة، كالخير والبر، والرحمة والتعاون، والصدق والعدل، أو الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده، والعمل على تحقيق ذلك في واقع الحياة⁽⁴⁾.

(1) سورة الأعلى - الآية: 1-3.

(2) عبد الرحمن حسن - شبكة الميثاق - براعم وأدلة إيمانية: 137.

(3) سورة ص - الأيتان: 71-72.

(4) محمد قطب - دراسات في النفس الإنسانية: 43-44.

وإذا كان الإنسان متفردا في فطرته لا يشبهه كائن آخر في طبيعته المزدوجة المولفة من التراب والروح، فهو في جانبه الترابي الجثماني واحد من مكونات الطبيعة من جماد وحيوان ونبات تحكمه نفس السنن من حيث المواد العضوية الداخلة في تشكيله ونموه، فهو بالتالي خاضع لقوانين الحياة والوجود مثله مثل الكائنات الأخرى عابدا الله تعالى مثلها عبودية اضطرارية لا ينفك عنها في أدوار حياته كلها من انخيا إلى الممات.

إلا أنه يتمتع بسبب نفخة الروح فيه بميزات تليه عن سائر الكائنات وتوهله للسيادة عليها وتسخيرها، وتكليفه بعبادة الله وعمارة الأرض وإقداره على ذلك بما ركب فيه من طاقات في جبلته ببعديها المادي والروحي. ومع نفخة الروح تأهل الإنسان بمقتضى ذلك أن يتحمل نوعا آخر من العبادة يختلف عن عبادة الآخرين الجبرية وهي عبادة قائمة على الحرية والاختيار والمسؤولية.

وقد ميز الخلق الإلهي الإنسان حسب طبيعته المزدوجة بأمرين عظيمين اختلف بهما عن غيره من الخليفة:

"الأمر الأول: أنه بالنفخة الإلهية فيه قد صار "مدركا" لنفسه ولما حوله.

والأمر الثاني: أنه بهذه النفخة ذاتها قد صار "مريدا" لما يقوم به من أعمال وتصرفات... ومهاتين الصفتين - المحدودتين - تختلف كل أعمال الإنسان عن أعمال الكائنات الأخرى في أنها أعمال "واعية" يدرك الإنسان غايتها وأهدافها. وأنها أعمال "إرادية" يريد بها الإنسان ويقصدها..."⁽¹⁾.

3- العلاقة بين الدين والفطرة:

وبهذا أصبحت الفطرة الإنسانية التي أبداعها الباري - عز وجل - قابلة لاستقبال رسالاته، بحيث تمتاز القيم العليا في العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات مع فطرة التكوين البشري «هذا وقد شهد القرآن الكريم للرسول ﷺ بهذا المنهج العملي الذي التزمه، وعمل على ترسيم معالمه، في كافة مواقفه الحيوية، ووجوه سعيه، إن في السلم، أو في الحرب في مثل قوله سبحانه: ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾، وهو ما انعكس على أصحابه - رضوان الله عليهم - فكانوا

(1) محمد قطب - دراسات في النفس الإنسانية: 214.

(2) سورة الفلم - الآية: 4.

نماذج بشرية واقعية تجسد المثل العليا، مما يؤكد هذا الأصل الذي يقضي بإمكانية تحقق الامتزاج التام بين حقائق الوحي، رسالة، ومقومات التكوين البشري فطرة، على مدى الأزمان للتطاول...»⁽¹⁾.

وعلى هذا الأساس ذهب جل العلماء والمفسرين الذين تناولوا بالبحث معنى الفطرة الواردة في الكتاب والسنة إلى أنها تعني الإسلام.

وذلك استناداً إلى قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

عن أبي هريرة، أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تُنثجُ البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: «فطرة الله التي فطر الناس عليها»⁽³⁾، واضح في الحديث الذي رواه أبو هريرة أن الفطرة هي الإسلام، وقد ذهب الكثير من السلف إلى هذا المعنى تحديداً.

«أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر، عن عكرمة ؓ في قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: الدين: الإسلام، لا تبديل لخلق الله: لدين الله. وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير وابن المنذر، عن عكرمة ؓ في قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: الإسلام.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاک في قوله: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: دين الله الذي فطر خلقه عليه.

وأخرج الترمذي في نوادر الأصول عن مكحول ؓ، أن الفطرة: معرفة الله.

(1) فتحي الدين - دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر: 463/2.

(2) سورة الروم - الآية: 30.

(3) صحيح البخاري - كتاب القدر، باب معون: كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم: (2658): 1308. كما أخرجه مسلم في - كتاب

القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، حديث رقم: (6599): 1174.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: لا تبديل لخلق الله قال
دين الله (ذلك الدين القيم) قال: القضاء القيم»⁽¹⁾.

غير أن القرآن الكريم ينفي نفياً مطلقاً أن يكون أحد من الناس عند ولادته يعلم شيئاً،
قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾⁽²⁾.

«وعلى هذا لا يمكن تفسير إخبار النبي ﷺ بأن كل مولود يولد على الفطرة أنه يكون
موحداً بمجرد الخلقة التي ولد عليها، بحيث يكون عارفاً بالتوحيد منذ ولادته، كما لا يكون
مقصود من فسر الفطرة بالإسلام من السلف أن المولود يكون مسلماً بالفعل، وإنما يولد على
خلقة مقتضية للإسلام إذا ميز وعقل»⁽³⁾، ولم يصرفه صارف عن الفطرة أو الإسلام.

وأن هذا التطابق الظاهر في المعنى بين الدين والفطرة في منظور الإسلام يدل دلالة واضحة
على الصلة الوثقى بين الطرفين المتلازمين، الدين في كليته وفروعه ومقاصده باعتباره نظام
حياة يتواءم مع الفطرة الإنسانية وقواها الروحية والمعرفية والإرادية.

وقد عبرت سورة السجدة عن أهم عناصر الفطرة الإنسانية في قوله تعالى: ﴿الَّذِي
أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ
سَوَّاهُ وَكَفَّحَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾⁽⁴⁾.

وقد اشتملت هذه الآيات على حقيقة الفطرة الإنسانية الثابتة في كل إنسان بغض النظر
عن الفروق المختلفة بين البشر عرقاً، أو لونا، أو لساناً في الآتي:

- 1- الأصل الواحد للبشر.
- 2- ومن نظام التكاثر الواحد في البشر.
- 3- ومن التسوية الواحدة في كل منهم.
- 4- ومن النفحة من روح الله في كل منهم.
- 5- ومن وجود أدوات المعرفة (السمع والبصر والأفئدة) في كل منهم.

⁽¹⁾ محمد عز الدين توفيق - دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث: 20، نقلاً عن الإمام السيوطي - الدر المنثور في التفسير بالمأثور:

492/6-493.

⁽²⁾ سورة النحل - الآية: 78.

⁽³⁾ عبد الله بن محمد القرن - المعرفة في الإسلام: 214.

⁽⁴⁾ سورة السجدة - الآيات: 7-9.

6- ووجود الإرادة اللازمة في كل منهم لعله يكون من الشاكرين لله تعالى على نعمه هذه في خلق الإنسان⁽¹⁾.

وإلى هذا الإنسان بمخائصه المتجاوزة للجسامة والحضارة يتوجه خطاب التكليف الإلهي للإنسان بما هو إنسان في الإسلام، أي إلى حقيقته الفطرية الخاصة التي فطر الله الناس عليها، وما في هذه الفطرة من قوى يولد بها كل إنسان وتساعد على استقبال دعوة القرآن وفهم حقائق الغيب والشهادة في خطاب الدين.

وعليه فالدين الذي يريد القرآن للإنسان نجحا حياتيا ونظاما معرفيا وعقديا إنما يريد لكل إنسان لوجود هذه الفطرة الواحدة في كل إنسان⁽²⁾. ومن هنا تعد الفطرة مفتاحا معرفيا من مفاهيم النموذج المعرفي التوحيدي لا تكتمل حقيقته من دونها.

ثالثا: مفهوم القراءة في القرآن:

إن أول كلمة في آخر رسالة إلهية نزلت على الإنسان بدأت بأول وأعظم عنوان (للعلم والمعرفة) كتبه القدر الحكيم عنوانا بارزا على ناصية التاريخ هو كلمة: "اقرأ"⁽³⁾.

قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁽⁴⁾.

1- معنى القراءة في اللغة:

وقبل تحديد مدلول الكلمة في القرآن، يحسن بيان معناها العام في اللغة أولا، قال الراغب الأصفهاني: «والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، [وليس يقال ذلك لكل جمع]، لا يقال قرأت القوم إذا جمعهم ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا نفوه به قراءة، والقرآن في الأصل مصدره، نحو، كفران ورجحان: قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾⁽⁵⁾.

(1) هلي عيسى عثمان- لماذا الإسلام... وكيف؟: 35

(2) هلي عيسى عثمان- لماذا الإسلام... وكيف؟: 12.

(3) محمد الصادق مرجون- محمد رسول الله: 241/1.

(4) سورة الطلق- الآيات: 1-5.

(5) سورة القمعة- الآيات: 17-18.

قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خصص الكتاب المتزل على رسول الله ﷺ، فصار له كالعلم... وتقرأت: تفهمت، وقارأته: دارسته⁽¹⁾.

2- معنى القراءة في القرآن:

وبالنظر إلى موارد كلمة (اقرأ) واشتقاقاتها في السياق القرآني من حيث المعنى، كالدلالة على العلم وأداته القلم وغير ذلك، فإن مدارها يتعلق أساسا بالمعرفة، ومن ثمة «أطلق القرآن الكريم على المعرفة اسم القراءة لأن المعرفة الإنسانية هي قراءة حقائق الوجود، وشهودها والتعرف عليها»⁽²⁾.

والوجود المشمول بهذه المعرفة مراتب أربعة حسب الآيات الخمس الأولى من سورة العلق: «إحداها: مرتبتها "الخارجية" المدلول عليها بقوله (خلق).

والمرتبة الثانية: "الذهنية" المدلول عليها بقوله (علم الإنسان ما لم يعلم).

والمرتبة الثالثة والرابعة: "اللفظية والخطية" فالخطية مصرح بها في قوله: (الذي علم بالقلم)

واللفظية من لوازم التعليم بالقلم، فإن الكتابة فرع عن النطق، والنطق فرع التصور، فاشتملت هذه الكلمات على مراتب الوجود كلها، وأنه سبحانه هو معطيها بخلقها وتعليمه... والمقصود أنه سبحانه (تعرف) إلى عبادته بما علمهم إياه بحكمته من الخط واللفظ والمعنى، فكان العلم أحد الأدلة الدالة علىه، بل من أعظمها وأظهرها، وكفى بهذا شرفا وفضلا له»⁽³⁾.

وكما حفل القرآن بالعلم والمعرفة، حفل كذلك بأدوات العلم والمعرفة منذ بداية نزول

الوحي، حيث أقسم الباري عز وجل بالقلم وبالكتابة أيضا قال الله تعالى: ﴿إِن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾⁽⁴⁾.

والقسم بالقلم والكتابة يدل على أهميتها، فإن الله تعالى لا يقسم بشيء إلا لكي يلفت

الأنظار لأهميته⁽⁵⁾: «وجاء هذا القسم في القرآن سابقا - تاريخيا - للقسم حتى بالأجرام الكبرى

المضيئة في الكون كالشمس والقمر والنجوم تقدم لنور العلم على نور الكواكب»⁽⁶⁾.

(1) الراسب الأصمغاني - مفردات القرآن: 668-669.

(2) ماجد عرسان الكيلان - فلسفة التربية الإسلامية: 229.

(3) ابن القيم الجوزية - مفتاح دار السعادة: 111/1-112.

(4) سورة القلم - الآية: 1.

(5) يوسف القرضاوي - العقل والعلم في القرآن الكريم: 76.

(6) عبد العزيز كامل - الإسلام والمشكلة العصرية: 12.

أ- الجمع بين القراءتين:

لم يكن الأمر بالقراءة في سورة العلق إلى النبي ﷺ، ومن خلاله إلى البشرية كافة، يتعلق بمجرد فك رموز الخط وحروف القراءة والكتابة، وإنما تعني القراءة بالإضافة إلى العلم النظري المتمثل في الكتابة والقراءة وما ينتج عنهما من معارف علمية وعملية، تعني قراءة كتاب الله المنظور- أي الكون- إلى جانب كتاب الله المسطور- أي القرآن- وهذه القراءة الوارد الأمر بها من الله عز وجل ليست قراءة جاهلة أو ملحدة، أو مجرد قراءة- كيفما اتفق- وإنما هي قراءة محددة باسم الله الأكرم، متصلة به تعالى منطلقا ومسارا ومنتهى⁽¹⁾.

وبناء عليه كانت القراءة التي جاء الوحي الإلهي بها في سورة العلق، قراءتان، دل السياق القرآني على جمعها وضمهما إلى حد التمام⁽²⁾.

القراءة الأولى: تتعلق بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽³⁾، وهي قراءة باسمه تعالى في كتابه المسطور القرآن الكريم الذي فيه تفاصيل كل شيء.

والقراءة الثانية: تتعلق بالكتاب المنظور، وهو الكون وما حواه من خلقة وأحداث وما يحكمها من سنن وقوانين مطردة، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾⁽⁴⁾ «فالقراءتان في الوحي وفي الكون فريضة»⁽⁵⁾، وهما متلازمتان بمقتضى الأمر الرباني، مما

(1) عون الشريف قاسم- الرسالة الخاتمة: 88.

(2) طه جابر العلوان- نحو منهجية معرفية قرآنية: 271 وما بعدها.

(3) سورة العلق- الآية: 1.

(4) سورة العلق- الآية: 3.

(5) طه جابر العلوان- الجمع بين القراءتين: 12.

**يقول الدكتور طه جابر العلوان في كتابه: بين تسمية وإسلامية المعرفة هامش ص 22-23 معرفة منهجية "الجمع بين القراءتين"

من الزاوية التاريخية: "منهجية الجمع بين القراءتين" تعني قراءة الوحي وفراية الوجود معا وفهم الإنسان القاري كلا منهما بالأمر باعتبار القرآن العظيم معادلا موضوعيا للوجود الكون يحمل ضمن وحدته الكلية منهجية متكاملة يمكن فهمها واكتشافها في إطار التنظير لتلك الوحدة الكلية، كما أن الكون يحمل ضمن وحدته الكلية قوائمه وسننه، والإنسان- وإن كان جزءا من الكون- لكنه عند النظر بعد التمرد عما مصفرا للوجود الكوني مستعلفا فيه.

وهذه النظرة أو المنهجية ذكر معالجها بإيجاز الحارث المحاسني (ص243هـ) في كتابه "العقل وفهم القرآن" بيروت: طه، دار الفكر (1391 هـ، 1971 م).

تقدم وتحقيق حسين القرطبي، لكن إشارات الكتاب كانت مرتبطة بالسلف المعرف الذي كان سائدا وبالحدالة الفكرية العامة، ثم توسع الإمام فخر الدين الرازي في هذا المجال وبين تفسيره الكبير "مفاتيح الغيب" غير مدى من هذه "المنهجية" في الحدود التي رأها فيها في عصره، كما وردت بعض إشارات لها في "الفتوحات المكية" (لابن عربي)، ومعظم من تأثروا بفخر الدين الرازي نحو شحور في هذا المجال كما وردت إشارات مضرة لما يقرب من هذا لدى كثير من المفسرين.

يستلزم الجمع وعدم التفريق بينهما كي يتحقق مراد الله تعالى من ذلك الأمر في واقع الحياة الإنسانية معرفيا وحضاريا.

ب- الفصل بين القراءتين:

وفي حال عدم الامتثال لهذا الأمر يتم تجاوز القراءة الأولى (قراءة الوحي) فيستغرق الإنسان جهده المعرفي في عالم القراءة الثانية (قراءة الكون) عندئذ تحترق سنة كبرى من سنن التوازن المعرفي الحضاري- ألا وهي سنة الجمع بين القراءتين- ما تلبث أن تظهر بعدها نتائج وخيمة في الواقع وآثار مدمرة على كل صعيد، بدءاً بفقدان الصلة بالله عز وجل وانتهاء باتخاذ آلهة من دون الله، ومروراً بجهل الإنسان لحقيقة نفسه ومكانته في الوجود، ورسائله في الحياة ومصيره الأبدي بعدها.

غير أن واقعا إنسانيا- عرف في القدم أو الحديث- مستكفيا بقراءة الكون عن قراءة الوحي، ليس من الغريب أن يفرز نموذجاً بشريا متجاهلا للغيب مغرورا، مفسدا في الأرض، يعتمد في رؤيته الكونية فلسفة مادية تقصر عن تزويده بالحقيقة كاملة، كما تمفو إليها النفس الإنسانية السوية على سجيتها الفطرية بمطالبها المادية والمعنوية، فيما هي الحقيقة الكاملة على امتداد ساحة عالمي الغيب والشهادة.

ويصدق قوله تعالى فيمن هذه هي وجهته المعرفية في الحياة: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾⁽¹⁾.

كما أن تجاوز القراءة الثانية، والاستغراق في القراءة الأولى خلل منهجي كذلك، يفضي إلى نتائج سلبية لا تقل عن سابقتها، فأول معالمها عدم الالتزام بأمر الله وهو الجمع بين القراءتين، وما ينجر عن ذلك من ضعف معرفي بشؤون الحياة، وجهل بسنن الله في الخلق، والعجز عن تسخير الكائنات، وتعطيل الطاقات الإنسانية والكونية عن أداء مهام الخلافة

سومن أبرز من أعادوا بناء هذه "المنهجية" من المعاصرين ويلورثها في إطار السقف المعرفي الراهن الأستاذ أبو القاسم حاج حمد، حيث شرحها وأوضحها وبين عليها كثيرا من الأفكار العامة في كتابه: "العالية الإسلامية الثانية" ودراساته المتعددة للنشر "منهجية القرآن المرئية"، و"الأزمة الفكرية في الواقع العربي الراهن" وقد أهدت في إطار سلسلة الدروس الحسينية الرمضانية في المغرب سنة 1993 دراسة وحيدة لهذه "المنهجية" حاولت إلقاء مزيد من الضوء عليها، وهي لا تزال في حاجة إلى دراسة وتعميق وتوسع من علماء ذوي تخصصات مختلفة لفهم وتشمع وتناول ويكون لها أثرها في مجالات فهم القرآن وبناء علومه المعاصرة.

وعلى هذه القعدة المثبتة تقوم عملية "إسلامية المعرفة" وبناء نظرية المنظر الحضاري الإسلامي في مستواها الراهن والله أعلم.

(1) سورة الروم- الآية: 7.

والعمارة في الأرض، في ظل المفهوم الشامل للعبادة والتكاليف الربانية التي لا ينهض بها الإنسان إلا في ظل التوازن العقدي والمعرفي والنفسي نتيجة الجمع بين القراءتين.

وبهذا ينعدم الفصام المزعوم بين الوحي والمعرفة الموضوعية للكون والوجود في ظل مفهوم

الجمع بين القراءتين الذي أسس له القرآن في نموذج المعرفي تأسيساً محكماً⁽¹⁾.

رابعاً: مفهوم العلم في القرآن:

1- معنى العلم في اللغة:

ينطبق معنى المعرفة لغة على معنى العلم، من جهة ثبوت الأمر المعلوم وتحقيقه في النفس، فمن علم بشيء فقد عرفه، ومن عرفه فقد علم به⁽²⁾، وعلى هذا الأساس فسر علماء اللغة المعرفة بالعلم، فقد جاء في لسان العرب: «العرفان: العلم»⁽³⁾، كما فسروا العلم بالمعرفة، يقول صاحب القاموس المحيط: "علم بمعنى عرف"⁽⁴⁾.

2- معنى العلم في القرآن:

تكررت مادة (ع ل م) في القرآن الكريم بكل مشتقاتها اسماً وفعلاً، ومصدراً، ما يقرب من ثمانمائة مرة⁽⁵⁾. وهذه الكلمة مشمولة بالأمر الإلهي بالقراءة كما تبين من عرض مفهوم القراءة، حيث ورد ذكر لفظ علم في قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁽⁶⁾.

وقد استعمل القرآن لفظ علم (علم) مرة مضافة إلى الله عز وجل، وأخرى أضيفت إلى الإنسان ومما يلاحظ على هذه الإضافة مسألة في غاية الأهمية جدية بالذكر وهي أنه: «في كل هذه المواضع لم نجد لفظ العلم بمعناه (المطلق) مضافاً إلى الإنسان، وإنما جاء مضافاً إلى الله تعالى في جميع الموارد، فوصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه: عالم، علام، وعليم، ويعلم على سبيل الإطلاق والشمول.

⁽¹⁾ طه حابر العلوان - نحو منهجية معرفية قرآنية: 276.

⁽²⁾ عبد الله محمد القوي - المعرفة في الإسلام: 15.

⁽³⁾ ابن منظور - لسان العرب: 745/2.

⁽⁴⁾ القورور أنادي - القاموس المحيط: 167/3.

⁽⁵⁾ محمد السيد الخليلي - تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين: 11.

⁽⁶⁾ سورة العلق - الأيتان: 4-5.

بينما لم يأت لفظ العلم مضافا إلى الإنسان على سبيل الإطلاق، وإنما جاء مقيدا بقيد ما، فأحيانا جاء مضافا إلى الإنسان مقيدا بأنه قليل، قال تعالى: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾، وأحيانا مضافا إلى الإنسان ومقيدا بأنه من الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾⁽²⁾،⁽³⁾.

وهذا دلنا القرآن على أن العلم في حقه تعالى من أسمائه وصفاته الكاملة كل كمال والمتره من كل نقص، وأما الصفة ذاتها في حق الإنسان فأسندت إليه على سبيل المحدودية بما يناسب فطرته ومخلوقيته للباري عز وجل.

أ- علم الله تعالى:

"العليم" اسم من أسمائه تعالى، و"عليم" صفة من صفاته عز وجل وقد ورد ذكر ذلك في آيات قرآنية عديدة، وأحاديث نبوية شريفة، وإضافة صفة العلم لله سبحانه تفيد في كل الأحوال الكمال والتزه عن النقص، والتفرد بذلك عن سائر الخليفة كما أن علم الله محيط بكل شيء أزلا وأبدا، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

ب- موضوع العلم الإلهي:

لقد حددت آيات كثيرة موضوع العلم الإلهي من بينها:

قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽⁵⁾، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁶⁾، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾⁽⁷⁾، ﴿وَلَهُ الْمَلِكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾⁽⁸⁾، ﴿لَهُمْ ثَمَرَاتٌ إِلَى

(1) سورة الإسراء- الآية: 85.

(2) سورة النساء- الآية: 113.

(3) محمد السيد الحلبي- تأملات حول المنهج القرآني في تأسيس اليقين: 18.

(4) سورة النور- الآية: 64.

(5) سورة الحشر- الآية: 22.

(6) سورة التغابن- الآية: 18.

(7) سورة الرعد- الآية: 9.

(8) سورة الأنعام- الآية: 73.

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(١)، «عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ
بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ^(٢)».

تتشرك هذه الآيات جميعا وما في حكمها في تعديد حقيقة مجالات علم الله تعالى الكامل المحيط بجميع حقائق الغيب والشهادة، وتفرد سبحاته بذلك، ولا يشترك معه فيه مخلوق، «قال الله تعالى يعلم الغيب كما يعلم الشاهد... فأدخلت هذه الآيات الكريمة في فهمنا أن مفهومي الشاهد والغائب يلعبان دورا رئيسيا في مبحث العلم والإيمان^(٣)».

وكذلك مفهومي عالم الغيب وعالم الشهادة هما موضوع المعرفة والإدراك البشري على مستوى قدرات الإنسان وطاقاته المعرفية المحدودة.

ج- علم الإنسان:

أثبت القرآن الكريم العلم للإنسان، غير أن علم الغيب فارق أساسي بين علم الله الخالق وعلم الإنسان المخلوق، يقول عز وجل في ذلك الفارق بين العلمين: «وَعَسَى أَنْ تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٤)»، «لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٥)».

وفي إثبات القرآن الكريم لعلم الإنسان، قال الله تعالى: «وَلَا تَلَيْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٦)»، «وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ...^(٧)».

د- موضوع علم الإنسان

إن تحديد موضوع علم الإنسان في القرآن قد فصل في طبيعته بدقة متناهية حيث أن علم الإنسان إما أن يتعلق: بأعيان عالم الشهادة أولا، أو بالخبر من الكتاب والسنة ثانيا.

(١) سورة التوبة- الآية: 94.

(٢) سورة الزمر- الآية: 46.

(٣) إبراهيم أحمد عمر- العلم والإيمان: 16.

(٤) سورة البقرة- الآية: 216.

(٥) سورة النور- الآية: 19.

(٦) سورة البقرة- الآية: 42.

(٧) سورة الحج- الآية: 54.

فبخصوص أعيان عالم الشهادة، فإن الإنسان بمقدوره أن يحصل العلم بالأشياء والأحداث والعلاقات في الكون المحيط به، وفي نفسه كذلك⁽¹⁾ ويدل على ذلك التراث العلمي البشري الموزع بين علوم الطبيعة، وعلوم الحياة الاجتماعية والإنسانية، وقد أشار القرآن الكريم إلى إمكان المعرفة العلمية للإنسان بما هو تحت طائلة حواسه من أعيان عالم الشهادة، قال تعالى: ﴿... فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ...﴾⁽²⁾، ﴿... ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا بَنِيكَ سَعِيًّا وَعَلِّمْهُنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾، ﴿... لِرَبِّدُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا...﴾⁽⁴⁾، ﴿... وَقَدَرْنَا مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾⁽⁵⁾، ﴿ثُمَّ لَكُسُوفًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾⁽⁶⁾.

وقد دلت هذه الآيات على أن الإنسان يعلم ما يبصر ويشاهد من أشياء وأحداث، وعلاقات، لأن «الأعيان للمشاهدة هي الموضوع الأول للعلم»⁽⁷⁾.

ومن أصناف العلم لدى الإنسان، الخير من الكتاب والسنة، ويقرر القرآن ذلك بوضوح، قال الله تعالى: ﴿... وَلَئِن أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁸⁾، ﴿... إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾⁽⁹⁾، ﴿... يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾⁽¹⁰⁾، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾⁽¹¹⁾.

(1) إبراهيم أحمد عمر - العلم والإيمان: 16. وانظر: أحمد محمد حسين النعشي - نظرية المعرفة في القرآن الكريم: 86.

(2) سورة البقرة - الآية: 60.

(3) سورة البقرة - الآية: 260.

(4) سورة المائدة - الآية: 113.

(5) سورة يونس - الآية: 5.

(6) سورة الأنبياء - الآية: 65.

(7) إبراهيم أحمد عمر - العلم والإيمان: 22. وانظر: عون الشريف ناسم - الرسالة الجامعة: 77.

(8) سورة البقرة - الآية: 175.

(9) سورة الإسراء - الآية: 108.

(10) سورة مريم - الآية: 43.

(11) سورة النمل - الآية: 15.

وقد ذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - إلى أن الخير من الكتاب والسنة بأنه عين يفيد العلم، نظير الأعيان التي تشاهد. «والخير - من الكتاب والسنة - عين يتأخى معناه المجتهد ليصبيه، كما البيت يتأخاه من غاب عنه ليصبيه»⁽¹⁾.

ومن هنا تتحدد مساحة علم الإنسان وتكتمل عند الجمع بين المعارف الكونية المشاهدة بالبصر، والمعارف الخيرية المتلقاة بالسمع من الوحي؛ وهو المقصود بالجمع بين القراءتين من حيث المصدر. وبذلك يتعين مفهوم العلم في النموذج المعرفي التوحيدي، حين يكون مطلقا وحين يكون نسبيا. وتستبين العلاقات بين المدلولين وحدودهما لتحرير الطاقة المعرفية الإنسانية من سوء الخلط بين المعنيين، والاستفادة من تكاملهما.

خامسا: مفهوم الإيمان في القرآن:

1- معنى الإيمان في اللغة:

لقد تكرر ورود كلمة (إيمان) بجميع صيغها واشتقاقاتها أكثر من مئاة مرة في القرآن الملكي والمدني على السواء، وما يلاحظ أنه لم تأت تفسيرات لها في نص من نصوص الوحي تخرجها عن دلالتها اللغوية إلى مصطلحات شرعية، كما هو الشأن مع الصلاة والزكاة والحج وما في حكمها.

وإنما اكتسبت لفظة الإيمان مدلولها وما يضاد كالكفر من تعدية كل منها إلى مفاعيله وهو ما يؤمن العبد أو يكفر به⁽²⁾.

وقد جاءت كلمة الإيمان في معاجم اللغة العربية مركبة الدلالة، أي تستجمع في استعمالها عددا من المعاني، ذكر ابن منظور منها في لسان العرب ما يأتي:

أ- الإيمان بمعنى التصديق:

قال ابن منظور: «وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيمانا، فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق»⁽³⁾.

(1) إبراهيم أحمد عمر - العلم والإيمان: 11.

(2) عثمان عبد الغادر الصالي - الإيمان: تعريف ومتفرقات: 19-20.

(3) ابن منظور - لسان العرب: 141/1.

ب- الإيمان بمعنى الجزم:

وقد ورد في هذا المعنى الذي يفيد الجزم، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْتِغُونَ إِلَهُم مِّنَّا وَمَا كَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (1)، «أي يستيقنون» (2).

وهو عين المعنى الذي قرره ابن منظور: «المحكّم: الظن شك ويقين، إلا أنه ليس ييقين عيان، وإنما هو يقين تدبر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم» (3) ويقصد بالتدبر التفهم وإعمال العقل...».

ج- الإيمان بمعنى الأمن:

وهذا المعنى من المضامين الأساسية لكلمة إيمان في القرآن والسنة وتكرر ورودها فيهما أكثر من معنى (التصديق)، قال ابن منظور: «أمن: الأمان، والأمانة، بمعنى، وقد أمنت فأنا آمن، وأمنت غيري من الأمن والأمان، والأمن: ضد الحوف والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق، ضد التكذيب...» (4).

د- الإيمان بمعنى الثقة:

أي الثقة بما يؤمن به الإنسان، في هذا المعنى ذكر ابن منظور، نقلاً عن اللحياني: «ما أمنت أن أحد صحابة إيماناً، أي ما وثقت، والإيمان عنده الثقة» (5).

هـ- الإيمان بمعنى الموقف الإيجابي:

أي مما يؤمن به الإنسان، وهو الاستجابة لدعوة الله تعالى لعباده أن يؤمنوا، والقرآن حافل بالأوامر الربانية على صيغة (آمنوا) ومقتضى هذا الطلب أن يشمل سائر المعاني السابقة، ويتوجها بالاستجابة المعبرة الموصوف حصراً بكونه موقفاً إيجابياً، وقد اعتبر أحد اللغويين كالزجاج، هذا المعنى حداً للإيمان، أي تعريفاً دقيقاً له (6)، وقد ذكر ذلك ابن منظور: «وحدّ الزجاج الإيمان فقال: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي ﷺ، واعتقاده

(1) سورة البقرة- الآية: 46.

(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي- تفسير الكرم الرحمن: 34.

(3) ابن منظور- لسان العرب: 2762/4.

(4) ابن منظور- لسان العرب: 140/1.

(5) ابن منظور- لسان العرب: 141/1.

(6) عثمان عبد القادر الصال- الإيمان: تعريف ومتفرقات: 29.

وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب، ولا شك، وهو الذي يرى أن الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب»⁽¹⁾.

2- معنى الإيمان في الكتاب والسنة:

سبقت الإشارة إلى أن الوحي كتابه وسنة لم يجد عن المعاني اللغوية للفظ الإيمان في لغة العرب، إلى الاصطلاح الشرعي، بل جاءت نصوص الوحي متضمنة لفحوى المعاني اللغوية السالفة الذكر: «والبرهان على هذا أن لفظ الإيمان لم يشرح في النصوص أو يبين المراد من معناه مع أنه سئل عنه - أي النبي ﷺ - ولكن الذي ورد تعدياته، أي ما أوجب الله تعالى على عباده أن يؤمنوا به، والكتاب والسنة في هذا سواء»⁽²⁾.

ومن ثمة فإن تلك التعديت نصت على أن الإيمان هو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وتوابع هذه الأصول ومقتضياتها، ففي التزييل، قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا فَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾⁽³⁾.

وهذا يعرف الإيمان في القرآن من خلال سرد تعدياته وتوابعه ومقتضياته عند المؤمنين به المصدقين بحقائقه.

ونفس الحقيقة تقرها السنة النبوية الشريفة: كما ذكر ذلك حديث جبريل المشهور، حين سأل النبي ﷺ: «فأخبرني عن الإيمان»، فلم تتجه إجابة النبي ﷺ إلى بيان المعاني اللغوية لكلمة الإيمان، وإنما ذكر تعديت اللفظة التي يجب على المؤمنين أن يؤمنوا بها، قال: [«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»]⁽⁴⁾.

ومما يجب التذكير به في هذا الشأن أن القرآن الكريم استأنر ببيان أمور الإيمان كلها إلا القليل مما بينته السنة كحديث جبريل الذي أبرز القدر الإلهي لأهميته وجعله ركنا سادسا في عقيدة التوحيد.

(1) ابن منظور - لسان العرب: 1/141.

(2) عثمان عبد القادر الصالي - الإيمان: تعريف ومتفرقات: 29.

(3) البقرة - الآية: 285.

(4) صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم: (2): 31.

وقد أكد القرآن بصورة ملحوظة على الدعوة إلى تحمل الاستجابة للإيمان ومقتضياته
علما وعملا، وإذعانا نفسيا لا تشوبه شائبة.

ويعبر عن شرط الاستجابة في صدق الإيمان وقبوله من الله عز وجل للمعبود، قول الله تعالى:
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا
قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽¹⁾.

ومدار الآية كما يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: «فالتحكيم في مقام الإسلام
وانتفاء الحرج في مقام الإيمان والتسليم في مقام الإحسان فمن استكمل هذه المراتب وكملها
فقد استكمل مراتب الدين كلها»⁽²⁾.

3- البعد المعرفي للإيمان:

تبين من مبحث العلم السابق أن الفارق الأساسي بين علم الله جل جلاله وعلم الإنسان
كما يعرضه القرآن الكريم هو علم الغيب وأن علم الإنسان ينف عند حدود عالم الشهادة لا
يتعداه وهذا لا يعني أن القرآن قد أهل صلة الإنسان المعرفية بموضوعات عالم الغيب ولكنه
استبعد علم الإنسان من هذه الدائرة فالإنسان لا يعلم الغيب وفي نفس الوقت لم ينف عنه
المعرفة أو الإدراك لأمر الغيب وقد خص الوحي بمعرفة أو إدراك حقائق الغيب بمصطلح محدد
غير العلم هو مصطلح الإيمان.

ولهذا «فالقارئ للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي يذكر فيها الغائب وإدراك
الإنسان له يجد أن اللفظ المستعمل دائما هو الإيمان»⁽³⁾ وفي تقرير هذه الحقيقة قال الله تعالى:
﴿...مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾⁽⁴⁾. ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽⁵⁾. ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾⁽⁶⁾. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة النساء- الآية: 65.

(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي- تفسير الكرم الرحمن 173.

(3) إبراهيم أحمد عمر- العلم والإيمان 39.

(4) سورة البقرة- الآية: 62.

(5) سورة البقرة- الآية: 177.

(6) سورة البقرة- الآية: 285.

(7) سورة البقرة- الآية: 3.

ونفس الأمر قررته السنة النبوية في حديث جبريل الذي مر ذكره ورواه الإمام مسلم في صحيحه قال رسول الله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

ومما يجب الانتباه إليه هنا هو وحدة الموضوع بين العلم والإيمان فيما هي استعمالهما في القرآن والسنة «وإنما يكون الفرق في أن هذه الموضوعات شاهدة في حالة العلم غائبة في حالة الإيمان. فالله سبحانه وتعالى ومخلوقات كالملائكة واليوم الآخر غائبة فهي موضوعات إيمان وكذلك حقيقة أن الرسول مرسل من عند الله وأن ذلك الكتاب موحى من عند الله وأن تلك الآية من عند الله أمور غائبة حتى وإن رأى إنسان الرسول أو قرأ الكتاب أو شهد الآية...»⁽¹⁾. ويجلي هذه الحقيقة في القرآن الكريم من أن الإيمان هو إدراك الغائب ما دار من حوار بين المؤمنين بالنبي صالح عليه السلام وبين الكافرين به. حيث أخطأ الكافرون في فهمهم لقضية العلم والإيمان فجهلوا أن العلم هو إدراك الشاهد وأن الإيمان هو إدراك الغائب فقال الكافرون للمؤمنين: ﴿...أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾⁽²⁾.

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى تقرير هذا المعنى وذلك بالتفريق بين العلم الذي هو إدراك الشاهد والإيمان الذي هو إدراك الغائب: «...وقيل: يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين إذ الإيمان بالنبي تصديق به والإيمان له تصديق له في ذلك الخير وهذا في الخير ويقال لمن قال الواحد نصف الاثنين والسماء فوق الأرض: قد صدقت ولا يقال له آمنت ويقال: أصدق بهذا ولا يقال: أؤمن به إذ الإيمان إفعال من الأمن فهو يقتضي طمأنينة وسكونا فيما من شأنه أن يستريب فيه القلب فيخفق ويضطرب وهذا إنما يكون في الإخبار بالمغيبات لا بالمشاهدات»⁽³⁾.
فغير عن الإيمان بالله والنبي الذي هو إدراك الغائب، وبالقضايا التحليلية بواحد نصف الاثنين والسماء فوق الأرض الذي هو إدراك الشاهد أي موضوع العلم.

(1) إبراهيم أحد عمر - العلم والإيمان: 40.

(2) سورة الأعراف - الإيمان: 75-76.

(3) ابن تيمية - العقيدة الأصفهانية: 125. نقلا عن إبراهيم أحد عمر: 43.

4- علاقة العلم بالإيمان:

أ- العلم أساس الإيمان:

إن أول علم رزقه الإنسان هو علم الأسماء وهو العلم بجميع موجودات الكون وما تتصف به من خصائص ومميزات قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾⁽¹⁾. وهذا العلم الذي تفضل الباري عز وجل به على الإنسان وأهله فطريا لاكتسابه وتسخير الكائنات وعمارة الأرض جعله كذلك سبيلا لمعرفة الله تعالى.

«والله تعالى فطر الناس مجبولين باستعداد اكتساب هذا العلم لكي يسبحوا أشياء الكون ويودوا مسؤولياتهم اتجاه مخلوقة الأرض... وأن علم الأسماء يكشف النظام الإلهي ويعهد الطريق لمعرفة الله تعالى»⁽²⁾. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽³⁾، هذا عن وسائل العلم عند الإنسان، من سمع وبصر وعقل التي ستكون أيضا طريقه إلى الإيمان بالحق جل جلاله، قال تعالى: ﴿سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّيَّنَ لَهُمْ آلَهُ الْحَقُّ أُولَٰئِكَ يَكْفِي بِرَبِّكَ آلَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽⁴⁾، ولا تقتصر مصادر العلم والمعرفة عند الإنسان على آيات الآفاق والأنفس المشهودة فحسب بل تكملها الهداية الربانية من علم الله وحيا على أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽⁵⁾.

والهداية في الآية هي ما جاءنا من (الخبر) الذي أرسل الله تعالى به الرسل إلى الناس، وقد تقرر أن الخير في القرآن والسنة يفيد (العلم) واعتبر القرآن الهداية سبيلا إلى إدراك الإيمان، وطريقا موصلا إلى حقائقه، وذلك في قوله عز وجل: ﴿...بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة البقرة- الآية: 31.

(2) محمد فراج العمرداوي - وعلم آدم الأسماء كلها 17-18. وانظر: محمد أبو القاسم حاج حمد- العلية الإسلامية الثانية 102/1 وما بعدها.

(3) سورة النحل- الآية: 78.

(4) سورة فصلت- الآية: 53.

(5) سورة البقرة- الآية: 38.

(6) سورة الحجرات- الآية: 17.

ومن هنا فللهداية حسب القرآن الكريم طريقان:

- الأول: طريق الفطرة، وهو طريق علم الأسماء والحواس والعقل لإدراك الشاهد الذي يوصل إلى إدراك الغائب.

- والثاني: طريق الخير الموحى، الذي هو علم يؤدي إلى الإيمان، والإيمان هو إدراك الغائب وبناء على هذا فالعلاقة بين العلم والإيمان- في الاتجاهين- صارت معلومة ومحددة، وهي أن العلم أساس الإيمان.

فإذا أتجه الإنسان نحو إدراك حقائق الغيب من منطلق عالم الشهادة، فالأساس هو العلم بآيات الله في الآفاق والأنفس الدالة على ربوبية الله تعالى وأفعاله الحكيمة في الخليقة. وإذا طلب حقائق الغيب من الخير كتاباً أو سنة، فالآية المتلوة أو الحديث الصحيح، هما العلم الدال على أمر من أمور الإيمان بالحقيقة المغيبة.

ومن هذا للنطلق نفهم قول الله عز وجل بشأن المسؤولية تجاه العلم والإيمان- والله أعلم- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا نُسِرَ لَكَ بِهِ عَلِيمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَ مَسْئُولٍ﴾⁽¹⁾ بمعنى «أنه كلما كان الأساس العلمي المعتمد عليه في الإيمان قويا كلما كان الإيمان قويا، فالعلم الإسلامي عصمة من الانحراف الإيماني»⁽²⁾.

في حين أن السير إلى الإيمان عن غير طريق العلم- بالمفهوم السابق ذكره- جهل وضلالة وعماية لا تغني من الحق شيئاً.

5- علاقة العلم والإيمان بالعمل:

كما جمع القرآن بين العلم والإيمان، جمع بين الإيمان والعمل في آيات كثيرة، بل وشدد التكريم والوعيد على من يفصل بينهما، ولا يتبع العلم الإيمان بالعمل الصالح قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾.

(1) سورة الإسراء- الآية: 36.

(2) إبراهيم أحمد عمر- العلم والإيمان: 45.

(3) سورة الصف- الآية: 2-3.

﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَوْمٍ خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾⁽¹⁾... الخ.

سادسا: مفهوم العمل في القرآن:

1- معنى العمل في اللغة:

يقول الراغب الأصفهاني: «العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخص من الفعل، لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل لغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم: البقر العوامل، والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾⁽²⁾، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾⁽³⁾، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾⁽⁴⁾، ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾⁽⁵⁾، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾⁽⁶⁾: هم المتولون على الصدقة»⁽⁷⁾.

2- معنى العمل في القرآن:

إن تأكيد القرآن على عمل الإنسان بلغ من الأهمية حيث تكرر ذكره «فيما يزيد على ثلاثمائة وخمسين مرة وهي كلها تشير- سلبا وإيجابا- إلى أن المحور الأساسي لوجود الإنسان- فردا وجماعة- على الأرض هو (العمل) الذي يتخذ مقياسا عادلا لتحديد المصير في الدنيا والآخرة... إن القرآن الكريم يحدثنا أن مسألة خلق الموت والحياة أساسا إنما جاءت لابتلاء بني آدم أيهم أحسن عملا»⁽⁸⁾، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽⁹⁾.

(1) سورة العصر- الآيات: 1-3.

(2) سورة البقرة- الآية: 277.

(3) سورة النساء- الآية: 124.

(4) سورة النساء- الآية: 123.

(5) سورة هود- الآية: 46.

(6) سورة التوبة- الآية: 60.

(7) الراغب الأصفهاني- مفردات ألفاظ القرآن: 587.

(8) عماد الدين خليل- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم: 39-40، وانظر: محمد عبد الله دراز- مدخل إلى القرآن الكريم: 88 وما

بعدها.

(9) سورة الملك- الآية: 2.

غير أن العلاقة للنظر تركيز القرآن على الصلة الوطيدة بين الإيمان والعمل الصالح وتلازمهما أبداء وشمول مفهوم الإيمان لأعمال القلب والجوارح، قال الله تعالى: **إِلَّمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** (١).

جمعت هذه الآيات صفات المؤمنين حقا، وما يقومون به من أعمال، كوجل قلوبهم عند ذكر الله، وزيادة إيمانهم وهم يتلون آياته، ويتوكلون عليه، وما يتبع ذلك من أعمال الجوارح من إقامة الصلاة وإنفاق في سبيل الله.

تلك هي أعمال القلب والجوارح التي اعتبرتها الآيات إيمانا، بل وقصرت الإيمان عليها بأداة القصر والحصر (إنما)، وعرفت المؤمنين بتلك الصفات لما ختمتها بعبارة: (أولئك هم المؤمنون حقا) الآية.

وقد دل الإيمان على الاعتقاد والقول والعمل في السنة النبوية، فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»** (٢). أما تحديد علاقة العمل بكل من العلم والإيمان على ضوء ما سبق من معرفة حقيقة العلاقة بين العلم والإيمان أولا، والعلاقة بين الإيمان والعلم ثانيا، فإن وحدة المفاهيم الإسلامية في بناء الدين ومنظومته المعرفية قضية تحتاج إلى إماطة اللثام عنها انطلاقا من مصدر الوحي ذاته. لقد عبر علماؤنا قديما عن علاقة العلم والإيمان بالعمل من خلال بحث قضية زيادة الإيمان ونقصانه استنادا إلى الوحي نفسه، عقيدة وشريعة وأخلاقا.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ناظرا عن السلف في قوله: «...قال: من قال من الصحابة كعمر بن حبيب الخطمي وغيره: الإيمان يزيد وينقص، قيل له: فما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا حمدنا الله وذكرناه سبحانه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وأضعنا فذلك نقصانه، فذكر زيادته بالطاعات وإن كانت مستحبة، ونقصانه بما أضاعه من واجب وغيره...»

(١) سورة الأنفال - الآيات 2-4.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان...، حديث رقم: (35)، 63/1.

ثم هؤلاء إذا لم يتبعوا التصديق بموجبه من عمل القلب واللسان وغير ذلك فإنه قد يطبع على قلوبهم حتى يزول عنها التصديق كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذَوْنَ وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾⁽¹⁾، فهؤلاء كانوا علمين فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم»⁽²⁾.

تلك هي العلاقة، علاقة التلازم والارتباط بين الإيمان والعمل من جهة، وبين العلم والعمل من جهة أخرى، وذلك هو التكليف الرباني للإنسان بتحمل حقيقة الإيمان والإسلام والإحسان في مستوياتها جميعاً، العلمية والإيمانية، والعملية.

لأن «عدم إتباع الإيمان بما يوجبه من عمل يؤدي إلى زوال الإيمان كما أن عدم العمل بالعلم يؤدي إلى زوال العلم وبالتالي إلى زوال الإيمان لأن العلم أساس الإيمان»⁽³⁾.

لقد أخصرنا القرآن الكريم أن هناك صفات من الناس يرفض ما يأتيه من العلم ويرد حقائق الآفاق والأنفس التي تحاصره من الداخل والخارج، فيشيع عنها بوجهه مستكبراً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾⁽⁴⁾، ﴿...بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾⁽⁵⁾، ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُّعْرِضُونَ﴾⁽⁶⁾، بهذه الإشاحة عن الحقائق المشهودة وعدم تقبلها نعت أصحابها بوصف الإعراض، وهو عين الوصف الذي أطلقه القرآن على من يرد الخير من الوحي الذي يفيد العلم، قال الله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾⁽⁷⁾، والإعراض مناقضة للإيمان ورفض للحقيقة سواء دلت عليها آيات مشهودة أو أخبار من الوحي مسموعة.

ووردت أفعال كثيرة في القرآن تناقض الإيمان مثل الإعراض: كالتكذيب، والكتمان، والتحريف، والتولي، والجحود، والكفر... الخ.

(1) سورة الصف - الآية: 5.

(2) ابن نبية العقيدة الأصفهانية: تلامذ من إبراهيم أحمد عمر - العلم والإيمان: 51.

(3) إبراهيم أحمد عمر - العلم والإيمان: 52.

(4) سورة القمر - الآية: 2.

(5) سورة الأنبياء - الآية: 24.

(6) سورة الأنبياء - الآية: 32.

(7) سورة فصلت - الآية: 4.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ...﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، ﴿... وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾، إن هذه المواقف السلبية من العلم والإيمان هروب صريح من الحق إلى الجهل والضلال، وتبديل الكفر بالإيمان قال الله تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾⁽⁴⁾، ومن ثمة "فإن الهروب من الغائب الذي يقول به العلم هو الكفر"⁽⁵⁾، وعلى هذا الأساس يتبين الفرق الجوهرية معرفيا بين الإيمان والكفر في المنظور القرآني، حيث يقوم الإيمان على قبول العلم بالبرهان القاطع والحجة البالغة، في حين يتخذ الكفر موقفا سلبيا من العلم بدافع من الإكراه والتكذيب والجهود، وما إلى ذلك.

سابعا: مفهوم المعرفة في القرآن

1- معنى المعرفة في اللغة:

المعرفة في اللغة ضد الإنكار، وتدرك عند الإنسان بالتدبير والتأمل في أمرها حتى تطمئن إليها نفسه، وتسكن إلى ما ثبت لديها من معاني فتقر بها، وأما ما تعذر عليها إدراكه من المعاني فإنها تنكره، وإلى هذا المعنى ذهب ابن فارس قال: «العين والراء والفاء أصلان صحيحان يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعبءه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة... تقول عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة، لأن من أنكر شيئا توخش عنه ونبا عنه»⁽⁶⁾.

وقال الراغب الأصفهاني: «المعرفة والعرفان: إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره، وهو أخص من العلم، ويضاده الإنكار، ويقال فلان يعرف الله ولا يقال: يعلم الله متعديا إلى مفعول واحد لما كانت معرفة البشر لله هي تدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم الفاصر المتوصل إليه بتفكير...»⁽⁷⁾.

(1) سورة الزمر- الآية: 32.

(2) سورة البقرة- الآية: 75.

(3) سورة البقرة- الآية: 146.

(4) سورة البقرة- الآية: 108.

(5) إبراهيم أحمد عمر- العلم والإيمان: 59.

(6) ابن فارس- معاني اللغة: 281/1.

(7) الراغب الأصفهاني- مفردات ألفاظ القرآن: 560-561. وانظر: أحمد محمد حسين الدغشي- نظرية المعرفة في القرآن الكريم: 84.

2- معنى المعرفة في القرآن:

وردت مادة (ع ر ف) ومشتقاتها في القرآن الكريم في نحو أربع وعشرين موضعاً⁽¹⁾. وقد أضيفت في الآيات كلها إلى الإنسان من جميع الوجوه، ولم ترد في آية واحدة منها مضافة إلى الله تعالى، لا مقيدة ولا مطلقة⁽²⁾، ومن بين الآيات القرآنية التي تدل على المعرفة الإنسانية، قول الله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾⁽³⁾، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾⁽⁴⁾، ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾⁽⁵⁾، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾⁽⁶⁾، ويلاحظ على هذه الآيات أن لفظ المعرفة أضيف إلى الإنسان، وجاء في جميعها مقروناً بعلامته وموضوعه الحسي من عالم الشهادة.

فذكر سبحانه وتعالى أن دليل المعرفة في الآية الأولى هو ظهور المنكر في وجوه الكافرين وكانت موضوع المعرفة في الآية الثانية ودليلها معرفة الأبناء، ودليل المعرفة الصادقة في الآية الثالثة هي كلمة سيماهم وعلامتهم المشاهدة، وفي الآية الأخيرة تعلق موضوع المعرفة بأعيان الأشخاص وذواتهم المحسوسة.

إذن فمعنى المعرفة في هذه الآيات واحد، يشير إلى الإدراك المباشر لحقائق محسوسة من عالم الشهادة كما هو الشأن لموضوع العلم الذي هو إدراك الشاهد فهل هذا يعني أن للمعرفة والعلم في القرآن هما شيء واحد؟.

تتم الإجابة على هذا السؤال بمعرفة حقيقة الفرق بين دلالة المصطلحين في استخدام القرآن للكلمتين، حيث اقترن لفظ المعرفة في معظم موارد بالأمور الحسية، بينما جاء لفظ العلم في غنى عن هذا القيد في أكثر موارد، ذلك أن العلم يتعلق بظواهر الأشياء ثم يتجاوزها إلى بواطنها ودقائقها، وهذا الشأن يختص بالعلم الإلهي فحسب، قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

(1) محمد فؤاد عبد الباقي - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 458.

(2) محمد السيد الجليلي - تأملات حول منهج القرآن الكريم في تأسيس اليقين: 12.

(3) سورة الحج - الآية: 72.

(4) سورة البقرة - الآية: 146.

(5) سورة الأعراف - الآية: 46.

(6) سورة يوسف - الآية: 58.

الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ⁽¹⁾.

«هذه الآية من أعظم الآيات تفصيلاً، لعلمه المحيط وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه، وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات والأشجار، والرمال والحصى والتراب، وما في البحار من حيوانات ومعادنها وصيدها وغير ذلك مما تحويه أرجاؤها ويشتمل عليه ماؤها»⁽²⁾.

أي: «أنه تعالى يعلم الغيب والشهادة، والظاهر والباطن، والرطب واليابس، والسر وأخفى وكل شيء في الكائنات، يعلم بالكلية والجزئيات»⁽³⁾.

في حين أن علم الإنسان قاصر ومحدود بطبيعة وسائل الإدراك والمعرفة المحدودة لديه، بحيث لا تتجاوز سقف ظواهر الأشياء، ومن هنا كانت إضافة العلم في القرآن إلى الإنسان تفتقر إلى الإحاطة والشمول في جميع مواردّها.

أما المعرفة فقد ارتبطت بالإنسان في آيات القرآن وتعلقت بالأمارات المشاهدة والمحسوسة في الشيء الذي هو موضوع المعرفة، ويتناسب مع وسائل الإدراك البشري.

ولذلك لم تسند كلمة المعرفة في القرآن إلى الله تعالى مطلقاً، لأن علم الله محيط بكل شيء شامل لظواهر الأشياء وبواطنها ودقائقها⁽⁴⁾.

ومن هذا للنظور الواضح لطبيعة المعرفة والعلم واستعمالهما في القرآن يمكن إطلاق المعرفة على العلم إذا كان متعلقها محسوساً مشاهداً كما هو حال موضوع العلم الذي يطلق على إدراك الشاهد، بمعنى أن المعرفة هي العلم بحسب هذا الشرط، شرط الاشتراك في الموضوع في عالم الشهادة.

(1) سورة الأنعام - الآية: 59.

(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تفسير الكرم الرحمن: 257.

(3) وهبة الزحيلي - التفسير المنور: 229/7.

(4) محمد السيد الحلبي - تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين: 12-13.

كما أطلقت المعرفة في مواضع من القرآن، وأريد بها الإيمان، حين يكون متعلق للمعرفة موضوعا للإيمان، قال الله تعالى: ﴿...فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾⁽¹⁾، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽²⁾.

دلت الآيتان صراحة على أن الإنسان يمكن أن يكفر بما عرف من الحق، خلافا لما هو شائع من أنه يكفر بما يجب الإيمان به.

وخلاصة القول أن المعرفة بحسب الآيات القرآنية السابقة تأتي بمعنى العلم أحيانا ومعنى الإيمان أحيانا أخرى.

أي أن موضوع المعرفة شاهد غائب بالنسبة للذات العارفة في الآيات السابقة فلو أخذنا الآية المتعلقة بيوسف وإخوته على سبيل المثال وهي قوله تعالى: ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾⁽³⁾، هذه الآية تتعلق بدخول إخوة يوسف عليه ومعرفة لهم: وللمعرفة هنا بمعنى العلم، أي العلم بأشخاصهم، وتبع ذلك العلم بإيمان، وهو إدراك الغائب: «كأن يدرك أنهم أبناء يعقوب وأن شقيقه هو ذاك الشخص من بينهم، وهذا إدراك بني على العلم ولكنه ليس علما وإنما إيمان... ومن هذا أخلص إلى أن المعرفة ليست علما خالصا ولا إيمانا خالصا وإنما هي إدراك يجمع بين العلم والإيمان وأوضح ما يكون الأمر عندما نقول إن موضوع العلم شاهد وموضوع الإيمان غائب وموضوع المعرفة شاهد غائب»⁽⁴⁾.

تلك هي الصورة الحقيقية للتداخل المعرفي من منظور القرآن هذه المفاهيم المفتاحية للمكونة للنموذج المعرفي التوحيدي، وهي تعد من ثوابته الأساسية في بناء المعرفة والإحاطة بمصادرها وبمجالها.

3- ثنائية الموقف المعرفي القرآني:

وبالتأمل فيما سبق عرضه من حقائق ومفاهيم، نجد أن مفهوم المعرفة الإنسانية ينطوي على ثنائية محلدة للعالم، من حيث موضوعها وأدواتها ومصادرها:

(1) سورة البقرة - الآية: 89.

(2) سورة النحل - الآية: 83.

(3) سورة يوسف - الآية: 58.

(4) إبراهيم أحمد صبر - العلم والإيمان: 71-72.

أ- فإذا تعلق موضوع المعرفة بشيء من عالم الشهادة سمي علما، وإذا تعلق بأمر غيبي سمي إيمانا.

ب- وأما من حيث أدوات المعرفة ووسائلها التي فطر الباري عز وجل الناس عليها، فهي الأخرى تخضع لثنائية ملفنة للنظر تتقابل مع ثنائية موضوع المعرفة ذاته: «فهناك أدوات الحس الظاهرة وأدوات الحس الباطنة... فهناك عالم الشهادة الذي تقابله أدوات الحس الظاهرة لتتعامل معه، وهناك عالم الغيب الذي تقابله أدوات الحس الباطنة فتتعامل معه هي الأخرى بمنهجها الخاص»⁽¹⁾.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽²⁾، ﴿وَهُوَ الَّذِي آتَىٰ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾⁽³⁾، أي أن أدوات المعرفة التي زود بها الإنسان في فطرته نوعان:

الأول: الأدوات الظاهرة، وهي السمع والبصر وما إليهما.

الثاني: العقل ومسمياته من فؤاد، ولب، وقلب... الخ.

ويعبر القرآن الكريم بالفؤاد تارة وبالقلب تارة أخرى عن مجموع مدارك الإنسان التي تستغرق مفهوم العقل، وإن كان العقل لم يرد في القرآن كاسم أو شيء معرف بالألف واللام، وإنما ورد في صورة فعل في جميع الموارد، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَيُنْفِثُ الْخِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽⁴⁾، وبناء عليه فإن التصور الإسلامي في المعرفة لم ينظر إلى القلب باعتباره عضوا ماديا فحسب، كما ينظر الماديون والتجريبيون، وإنما نظر إليه نظرة أرقى وأكثر معقولة، «إذ نظر إليه على أنه أداة للتأمل والتفكير والتدبر والاعتبار والنظر...»⁽⁵⁾.

زيادة على ذلك فإن القرآن يربط في عملية الفعل المعرفي بين الحس والعقل في إدراك المعرفة: «ذلك أن أدوات الإدراك الباطنة مرتبطة بأدوات الإدراك الظاهرة، إذ لا يمكن للعقل أن يؤسس قضايا كلية ما لم يكن قد تعرف قبل ذلك على جزئيات هذه القضية الكلية، ومعلوم أن

(1) محمد السيد الجليلي - تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين: 16.

(2) سورة النحل - الآية: 78.

(3) سورة المؤمنون - الآية: 78.

(4) سورة المؤمنون - الآية: 80.

(5) صلاح إسماعيل عبد الحق - بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية: 223/1.

طريقه الوحيد إلى التعرف على هذه الجزئيات هو الحواس، وهذا شأن كل قضية كلية لا بد أن تكون مسبقة بإدراك جزئياتها المحسوسة»⁽¹⁾.

وقد جعل القرآن الكريم الإنسان الذي يعطل أدوات المعرفة فيه بسبب التقليد- أو غيره من الأسباب- بمثابة البهيمة التي تفتقر فطرتها إلى هذه النعمة، فلا توظفها أو تستفيد منها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾⁽²⁾.

وبذلك استحق أولئك الصنف من الجن والإنس الذين يعطلون أدوات المعرفة لديهم جهنم نتيجة الغفلة والضلالة والذمور عن الحق وترك الواجب الذي خلقوا من أجله في الحياة الدنيا، وهو عبادة الله وحده. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁽³⁾.

ج- وللمعرفة الإنسانية بحسب الموقف المعرفي القرآني مصدران⁽⁴⁾:

الأول: مصدر الوحي.

الثاني: مصدر الكون (الخلق).

وأما العقل فهو أداة انتزاع المعرفة من هذين المصدرين، بفعل التعقل والتفكير والتدبر وقراءة حقائق كل من المصدرين بالآخر، عند عملية الجمع بين القراءتين في النموذج المعرفي التوحيدي.

والمقصود بالوحي: «كل ما أنزله الله على أنبيائه ورسله بطريق الملك جبريل عليه السلام، والمراد به هنا اسم للمفعول منه أي الموحى وهو كلام الله المنزل على النبي محمد ﷺ فلا وحي ولا رسالة بعده، وهذا النوع من الوحي لا يعتريه الشك أو الضعف أو الاتهام بل هو من أقوى

(1) محمد السيد الملهند- تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين: 16.

(2) سورة الأعراف- الآية: 179.

(3) سورة النازيات- الآيات: 56-58.

(4) يوسف القرضاوي- السنة مصدر للمعرفة والحضارة: 84.

أنواع المعرفة البشرية وأصحبها وأصلقها، وأعلاها ثبوتها، وأكثرها أهمية لأنها منزلة من عنده سبحانه وتعالى خالق كل شيء»⁽¹⁾.

إن الوحي يقدم للناس المعرفة الشاملة التي تقصر عنها وسائلهم الذاتية من حس وعقل مما يتعلق بمداية الناس وإرشادهم إلى معنى وجودهم وغاية هذا الوجود، وإلى منهج تدبر أمورهم وعلاقاتهم في الحياة الدنيا، والمصير الذي ينتظرهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر بعد انقضاء الحياة الدنيا، والانتقال إلى الحياة الآخرة.

كما يطلعهم الوحي على مصدر الكون المحيط بهم وعلى طبيعة العلاقات التي تربطهم بموجوداته العاقلة وغير العاقلة، ومكانة الإنسان بين هذه الموجودات، ومعرفة الله تعالى خالق كل شيء ورب كل شيء لا إله غيره.

ومحمل القول إن: «جوهر ما يقدمه الوحي للناس هو توضيح طبيعة علاقة الإنسان بالله، وغاية الإنسان في الكون، ودليل حركة الإنسان في الحياة، ومصير هذا الإنسان فيما وراء الحياة»⁽²⁾.

- وأما المصدر الثاني للمعرفة الإنسانية فهي مكونات هذا الكون وأسماء الأشياء المبتوتة فيه، من جماد ونبات وحيوان وإنسان، وهو المجال الذي يمارس فيه الإنسان فعالياته للعرفية، وقدراته التسخيرية لأداء مهام الخلافة والعمارة في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَكُنْ نُسُخًا بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾⁽³⁾.

يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها»: «هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق

(1) رياض صالح حررلي - الرؤية الإسلامية لمصادر المعرفة: 57.

(2) عبد الحميد أحمد أبو سليمان - أزمة العقل المسلم: 108.

(3) سورة البقرة - الآيات: 30-31-32.

الخليفة، وحين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى بعلم ما لا يعلمون، ولذلك ذكر هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم، بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها"، وقال السدي عن حدثه عن ابن عباس قال: علمه أسماء ولده إنسانا إنسانا ودواب فقيل: هذا حمار وهذا جمل وهذا فرس وقال الضحاك عن ابن عباس قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس، إنسان ودواب وسما وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار واشباه ذلك من الأمم وغيرها... وقال مجاهد: علمه أسماء كل دابة وكل طير وكل شيء، وكذلك روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف أنه علمه أسماء كل شيء»⁽¹⁾.

ومن المعاصرين الذين فسروا الآية، محمد شهاب الدين الندوي في كتابه "بين علم آدم والعلم الحديث"، قائلا: «أن هذه الأسماء ما هي إلا عناوين الأشياء وخصائصها ومنافعها ومضارها التي لها أهمية بالغة في مجال الخلافة في الأرض، ولا تقوم الخلافة: أي سيادة العالم والسلطة على الكائنات إلا بهذا العلم الأساسي ولذلك علم الله تعالى الإنسان الأول هذا العلم الهام بعد مشروع استخلاف الإنسان على الفور... ونكاد نعبّر عنه (بعلم الأسماء) حسب مصطلح القرآن الكريم، وعلى كل هذا هو العلم الحديث، فإن العلم الحديث يبحث عن نفس هذه الأشياء وخواصها وظواهرها وفعاليتها، والتي عبر القرآن عن جميع هذه بلفظ معجز وهو (الأسماء) فإن علم الطبيعة physics وعلم الكيمياء chemistry وعلم الأحياء Biology وعلم الجيولوجيا Geology وعلم الأفلاك Astronomy، وغير ذلك من العلوم الكونية إنما تدور حول الأشياء للمادية (أي حول للمسميات) وخواصها ونعوتها ومميزاتها، فالعلم الحديث عبارة عن البحث والدراسة عن الأشياء الموجودة والمظاهر الكونية بتركيبها وماهيتها وكيانها»⁽²⁾.

ومن ثمة يستقي الإنسان في ضوء النظام المعرفي القرآني معارفه بعالم الغيب والشهادة من الوحي والكون معا على أساس مبدأ وحدة الحقيقة والمعرفة لأن مصدر الوحي والكون واحد هو الله جل جلاله.

(1) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم: 1/126، 127.

(2) تقي الدين: عمود فرج الدرر - وعلم آدم الأسماء كلها: 16-17.

4- مقاصد المعرفة وغاياتها في القرآن:

تقرر مفهوم المعرفة في منهج القرآن الكريم، وتحدد موضوعها وتعيّن وسائلها، وبقيت مصادرها وغاياتها التي يمكن وضع اليد عليها بالرجوع إلى آيات الذكر الحكيم، ومن منطلق القرآن يمكن حصر أهم مقاصد المعرفة وغاياتها في ثلاثة محاور:

المحور الأول: نفي الشرك ومعرفة الله وتوحيده.

المحور الثاني: التكامل المعرفي بين معرفة الخالق ومعرفة الخليفة.

المحور الثالث: الوحدة بين الإيمان والعلم والعمل الصالح.

فأما المحور الأول للمعرفة، بمعرفة التوحيد، ودعوة القرآن للإنسان إلى الأخذ به تصورا وإيمانا وعملا، ونيزد الشرك بالمقابل ومعرفة بطلانه ومناقضته للحق والحقيقة، يأتي الأمر بذلك حاسما في الاتجاهين مع بداية نزول الوحي في غار حراء على النبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وقال ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽¹⁾.

فمطلوب القراءة- أو المعرفة- في الآية الأولى هي معرفة الله وشكره⁽²⁾.

ومطلوب الآية الثانية، هو نفي الشرك وإثبات التوحيد لله عز وجل وعبادته على أساس ذلك العلم بلا شريك.

واقترن التكامل المعرفي في- المحور الثاني- بين الخالق والمخلوق في سورة العلق، فبعد القراءة باسمه تعالى، ذكرت الخليفة المتمثلة في الوجود الكوني الذي أعد لاستقبال الإنسان الخليفة في الأرض قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾⁽³⁾ فالأمر واضح حيث يتعلق بطلب معرفة الله عز وجل، ومعرفة الخلق، ومن ضمنه معرفة الإنسان المخلوق من علق على نحو متفرد ومكانة خاصة في هذا الوجود، أفصح عنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَكَفَّخْتُمْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾⁽⁴⁾.

وأما عن الوحدة بين الإيمان والعلم والعمل الصالح في المنظور المعرفي التوحيدي، فهو شأن يتفرد به القرآن في تلازم عناصر المنظومة العقديّة الإسلامية بشكل لا يقبل الانقسام ولا

(1) سورة محمد- الآية: 19.

(2) ماسد هراسان الكهلان- فلسفة التربية الإسلامية: 233.

(3) سورة العلق- الأيهان: 1-2.

(4) سورة الحجر- الآية: 29.

الانفصال، إلا في الحالات التي يكون فيها الإنسان يسيء الفهم لحقيقة العلم أو الإيمان أو الإسلام، أو يخالف تلك الحقيقة عمداً عصياناً أو تنكياً للضوابط السوي، دل على ذلك التلازم تلك الوحدة في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَفٍ خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾⁽¹⁾.

ومن ثمة «إن التوحيد في القرآن نظام معرفي ونظام المعرفة القرآني نظام توحيد، فالتوحيد معرفة وعلم، والمعرفة والعلم هداية وتوحيد... وعلى هذا تقرر أن أركان النظام المعرفي في القرآن ثلاثة: إيمان، علم، وعمل»⁽²⁾.

وهكذا تم وضع اليد على المللول العلمي والتأصيل الشرعي للمفاهيم المفتاحية للنموذج المعرفي التوحيدي ومنطلقاته فيما يتعلق بمفاهيم: الدين، والفطرة، والقراءة، والعلم، والإيمان، والعمل، والمعرفة. وتشكل هذه المفاهيم منظومة معرفية إسلامية قائمة على العلم والحجة والبرهان في النظر إلى وحدة الحقيقة باعتبارها مبدأ معرفياً ومنهجياً على مستوى علمي الغيب والشهادة، بالإضافة إلى مقومات النموذج المعرفي التي سيتناولها المبحث الموالي وهي:

- حقيقة التوحيد.

- وحقيقة الكون.

- وحقيقة الإنسان.

- وحقيقة الحياة.

وهذه هي مجالات تفعيل مفاهيم النموذج المعرفي التوحيدي تحقيقاً ودراسة، وتفسيراً وتحليلاً، وتنظيراً، وتقريراً، ونقداً.

(1) سورة العصر- الآيات: 1-3.

(2) محمود حايك الرشدان- حول النظام المعرفي في القرآن الكريم- مجلة إسلامية المعرفة عدد 10: 43.

المبحث الثاني: مقومات النموذج المعرفي في القرآن:

تمهيد:

لم يتوقف القرآن الكريم عن مدنا بالمفاهيم المفتاحية للنموذج المعرفي فحسب، وإنما زدنا كذلك بالمحالات التي نشغل فيها هذه المفاهيم، وهي ما اصطللحنا عليها في هذا للمبحث بمقومات النموذج المعرفي في القرآن، وهي أربعة:

- المقوم الأول: حقيقة التوحيد.

- المقوم الثاني: حقيقة الكون.

- المقوم الثالث: حقيقة الإنسان.

- المقوم الرابع: حقيقة الحياة.

وقد حدد القرآن نوع العلاقات بين هذه للمقومات وطبيعة ارتباطاتها كي تتميز بوضوح تام حقيقة الألوهية، عن حقيقة عبودية الخليفة المتمثلة في الكون، والإنسان، والحياة. ومن خلال منظومة المفاهيم المفتاحية، ومقومات الرؤية المعرفية لحقائق الوجود وارتباطاتها للمخصوصة يتشكل النموذج المعرفي التوحيدي، كوسيلة تفسير وأداة تحليل وتركيب ونقد، وتوليد لأنواع شتى من المعرفة الكاشفة عن سنن الله في الطبيعة والإنسان والمجتمع والحياة والتاريخ.

وتفصيل هذه للمقومات كما يلي:

المقوم الأول: حقيقة التوحيد:

يعني التوحيد في اللغة العربية: «وحدته توحيداً أي جعله واحداً... والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له»⁽¹⁾.

وقال الراغب الأصفهاني: «الوحدة: الإنفراد والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة»⁽²⁾.

وقال الجرجاني: «التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد»⁽³⁾.

(1) القموزي أبادي - القاموس المحيط: 343/1.

(2) الراغب الأصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن: 857.

(3) الجرجاني - التصريفات: 69.

وبالرجوع إلى معنى التوحيد في الإسلام كتابا وسنة، نجد له معنى دقيقا صيغ في أبلغ كلام وأقصره طولا، وأعمقه دلالة، في عبارة «لا إله إلا الله» عنوانا للتوحيد الكامل الذي بعثت به الرسل في التاريخ من آدم إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ وفي هذا المعنى يبين الله تعالى للرسول الخاتم مهمة الرسل الأولى وهي الدعوة إلى توحيد عز وجل بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لُوْحِي إِلَيْهِ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾.

وفي هذا المنظور تعتبر وحدانية الله تعالى هي المبدأ الأول في الإسلام، ولكل شيء إسلامي، ولكل حقيقة في الوجود.

ومعنى هذا المبدأ في العقيدة الإسلامية أن الإله هو الله، ولا إله غيره، وأنه تعالى متفرد في وحدانيته، في ربوبيته، وإلهيته وأسمائه وصفاته، مطلق الكمال ومزود عن النقص، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾⁽²⁾. وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽³⁾.

وكل موجود سوى الله تعالى مخلوق له بلا شريك، حيث توجد كل الموجودات بأمره وإرادته ومشيبته وحده، قال تعالى: ﴿إِلَهَ أَنْتَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ﴾⁽⁴⁾، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽⁵⁾، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁶⁾، ﴿...هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽⁷⁾، الله «هو الحق ومصدر كل حق وكل خير وكل جمال، وإرادته هي التي تحدد غاية وجود الكائنات، وهي القانون الذي يحكم الكون والمخلوقات ويقنن للسلوك والأخلاق»⁽⁸⁾.

(1) سورة الأنبياء - الآية: 25.

* لا تمنى لفظة "حقيقة" في هذا البحث معرفة كنه مقومات التصور الإسلامي العام للوجود كما تصورها عقول البشر، أو تحييلها، إنما المقصود بالحقيقة هو معناها الذي تصوره نصوص الوحي كتابا وسنة وتقرب مفاهيمه للمقل الإنسان.

(2) سورة الإخلاص - الآيات: 1-4.

(3) سورة الشورى - الآية: 11.

(4) سورة الأعراف - الآية: 54.

(5) سورة يس - الآية: 82.

(6) سورة الصافات - الآية: 96.

(7) سورة لسان - الآية: 11.

(8) المعهد العلمي للفكر الإسلامي - إسلامية المعرفة: 78.

وبناء عليه فالتوجه إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة من قبل كل الكائنات طوعا وكرها حقيقة كونية تتحقق بالضرورة الحتمية في الخليقة كلها، وتتحقق في الإنسان بالضرورة والاختيار.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾⁽¹⁾ وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾⁽²⁾.

أن يعقل الإنسان ويعي حقائق الإيمان بوحداية الله تعالى في هذه الحياة معناه: «أن يعيش واعيا على ربوبية الله الحق وألوهيته في عالم غايته الخير والحق والجمال والإعمار والحيوية لأن كل شيء فيه موجود بصنفته عز وجل، وإنفاذ إرادته، معتمد في بقاءه على ربوبته ومنتجه دائما بطبيعته نحو تحقيق الإرادة الإلهية»⁽³⁾.

وهكذا يصور التوحيد الحقيقية تصورا شاملا بما فيها الدنيا كلها والحياة كلها والتاريخ كله⁽⁴⁾، وبذلك يتحدد معنى التوحيد كتصور عام للحقيقة في المبادئ الخمسة الآتية بشيء من التفصيل:

المبدأ الأول: ثنائية الحقيقة:

يؤكد التوحيد أن الحقيقة مزدوجة، وتتوزع بين ملكوت كائن فوق الوجود للمادي ويعرف بعالم الغيب الذي يختص بحقيقة الباري عز وجل وملكوت مدرك بالحواس، ويعرف بعالم الشهادة الذي يضم الخليقة جميعا وهي ما سوى الله تعالى «وطبقا لمبدأ التوحيد، تعرف هاتان الحقيقتان بالله وغير الله، أو الخالق والمخلوقين»⁽⁵⁾.

ومن سمات هذه الثنائية أنها لغائية قاطعة لا تقبل النقص أو الاستثناء كما أنهما منفصلتان عن بعضهما انفصالا تاما كونيا ووجوديا، ويعني هذا الانفصال التام بين الحقيقتين، فلا الخالق

(1) سورة الإسراء - الآية: 44.

(2) سورة الحج - الآية: 18.

(3) المعهد العالي للفكر الإسلامي - إسلامية المعرفة: 75.

(4) إسماعيل راجي الفاروقي - جوهر الحضارة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر عدد 27: 10.

(5) إسماعيل راجي الفاروقي - إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية، مجلة المسلم المعاصر عدد 22: 37.

متصل أو متحد وجوديا أو حال متجسد في المخلوق، ولا المخلوق متحد أو متصل بالخالق، ولا هو يسمو بنفسه إلى مرتبة الخالق⁽¹⁾، وبهذا الفصل خالف التوحيد بعض مذاهب الصوفية وبعض مذاهب الهندوكية التي أذابت الدنيا في الله ولم تعترف بأية حقيقة سوى الله، فلا وجود لحقيقة أو كيان إلا الله وحده، وأن الخليقة مجرد وهم وخيال، كما خالف التوحيد المصريين والإغريق القدماء والطاوية في الصين الذين يعتبرون الله سبحانه وتعالى عما يصفون- قد ذاب في الكائنات، فقالوا: إنه هو فرعون بلحمه ودمه أو النيل بمائه أو الشمس بحرارتها وضوئها، أو هو مجموع المخلوقات... وقد خالفت الكنيسة المسيحية التوحيد حين ادعت أن الله حل في جسم بشر هو المسيح عليه السلام وتجسد فيه فأصبح المخلوق خالقا⁽²⁾، وأما اليهودية فقد جعلت الله في شكل جمعي يتمثل في «الإلهيم»، وتصف «الإلهيم» بأنه يتصل بالنساء من بني البشر، وبهذا اعتبرت اليهودية كفرها من التصورات الشركية فأبطلت مبدأ التوحيد وسموه الله فوق الوجود المادي.

كما تمثلت آلهة العرب قبل الإسلام في الأصنام والأوثان من الحجارة والخشب، يتقرب إليها المشركون بالقرابين ويتعبدون لها ويسبحون، ويسترضونها بالكهانة، وبذلك أنزلت الله إلى مرتبة جعلته فيها مجرد إله يستكمل به العدد، وطبقا لهذا المبدأ يفرق الإسلام فيه بين الخالق والمخلوقين «يظهر الدين تماما من كل شك يتعلق بوحداية الله وسموه فوق الوجود المادي وقد حقق هدفا مزدوجا بمقتضى ذلك هو الاعتراف بالله كخالق الأوجد للكون، والنظر إلى جميع الناس بطريقة متساوية باعتبارهم من خليفة الله، فهم يحظون بنفس الصفات الأساسية للإنسان كما يحظون بنفس الوضع في الكون»⁽³⁾.

المبدأ الثاني: الصلة بين الخالق والإنسان المخلوق:

تقتصر صلة الخالق عز وجل بالإنسان المخلوق معرفيا حسب مبدأ ثنائية الحقيقة على قوة العقل وحدها، وهي للملكة الفطرية التي تجعل الإنسان يدرك إرادة الخالق وحيا أو تعقلا «وحيا

(1) إسماعيل راجي الفاروقي - جوهر الحضارة الإسلامية: مجلة المسلم المعاصر عدد 27: 11.

(2) إسماعيل راجي الفاروقي - جوهر الحضارة الإسلامية: مجلة المسلم المعاصر عدد 27 بتصرف: 23.

(3) إسماعيل راجي الفاروقي - إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية: مجلة المسلم المعاصر عدد 22: 38.

إن أنزل الله كلامه المعبر عن إرادته، وتعقلا إن أمعن النظر في المخلوقات فاكشف سننها وهي إرادة الله سبحانه»⁽¹⁾.

ويؤكد هذا المبدأ على انقطاع الصلة بين الخالق والإنسان المخلوق بخلاف وجهة نظر مذاهب وأديان الشرك التي تجعل العلاقة بين الله والإنسان عن طريق الحلول، أو الإتحاد أو التأليه، ومن ثمة قصر التوحيد الصلة بين الله والإنسان على سبيلين:

أ- إما أن يأمر الله العبد فيسمع الكلام ويطيعه وهذا هو طريق الوحي.

ب- أو أن يعمل عقله وأدوات المعرفة فيعرف حقيقة نفسه وحقيقة كل شيء في الكون أن له صناعا خلقه وبمده بأسباب البقاء والاستمرار ويسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأن هذا الصانع هو الخالق المالك المنعم الإله المستحق للشكر والعبادة والطاعة بلا شريك، وهذا هو طريق التعقل.

المبدأ الثالث: غاية الخلق:

يقرر مبدأ التوحيد أن للخليقة غاية من وجودها على اختلاف أنواعها وأصنافها، صغيرها وكبيرها، حليلها وحقيقتها، فالله لم يخلق الكائنات عبثا، ولم يخلقها باطلا قال الله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾⁽²⁾.

وقال أيضا: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾⁽³⁾.

وإنما خلق الخليقة لغاية، وهي تحقيق إرادة الله⁽⁴⁾، وقد أعدها إعدادا فطريا كاملا للقنطرة على القيام بهذا الواجب، ضرورة، واختيارا.

(1) إسماعيل راسي الفاروقى - جوهر الحضارة الإسلامية: 11.

(2) سورة المؤمنون - الآيات: 115-116.

(3) سورة آل عمران - الآيات: 190-191.

(4) إسماعيل راسي الفاروقى - إعادة البناء الإسلامى والسلطة السياسية: مجلة المسلم المعاصر عدد 22: 39 وأنظر نفس الكاتب - مقال جوهر

الحضارة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر عدد 27: 11.

فأما الخليفة من دون الإنسان فإرادة الله تتحقق فيها بالضرورة لأنه فطرها على سنن مطردة تتحكم في نظام الكون المشهود وحوادثه، لا تملك أن تحيد عن أمر الله وقانونه قيد أملة. وأما إرادة الله في الإنسان فتتحقق على ضربين:

أ- فهي تتحقق فيه بالضرورة مثله مثل الكائنات الأخرى: من إحياء، ونمو وغذاء وممات... الخ.

ب- والضرب الثاني تتحقق إرادة الله فيه عن طريق الحرية والاختيار، أي حين يكون الإنسان قادراً على تحقيقها أو عدم تحقيقها، إمكانيتين متميزتين وهذا ما يعرف بالقوانين الأخلاقية التي تميز الإنسان عن غيره.

ومن هنا كان للإرادة الإلهية التي تتحقق باختيار الإنسان منزلة أعلى من منزلة الإرادة التي تتحقق بالضرورة.

فالإنسان لا يجازى مثلاً على تنفسه أو لون بشرته أو على الأرض التي ولد عليها أو على التاريخ الذي جاء فيه إلى الوجود، لأن هذه الأمور كلها تجري عليه من قبل الخالق دون اختيار منه، بل ومن دون مشورته.

وأما ما يجازى عليه فهو كسبه الذي يحصله من جراء طاعة تكاليف الله تعالى أو عصيانه من مثل: الإيمان، والكفر والأخلاق الحسنة أو السيئة... الخ.

وعن كل عمل اختياري صادر عن وعيه وإرادته، بحيث يمكنه القيام به أو الامتناع عنه، أو القيام بغيره دون إكراه.

ولما كانت الغاية من خلق الإنسان هي «العبادة» بمفهومها الشامل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنْ اللّٰهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁽¹⁾.

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾⁽²⁾.

والعبادة والخلافة من الأفعال التي تندرج في أعمال الإنسان الأخلاقية بحيث تتطلب من الإنسان أن يكون حر الإرادة مميزاً أثناء ممارسته تلك الأفعال والسلوكات، ولهذا السبب فإن

(1) سورة النازعات- الآيات: 56-58.

(2) سورة البقرة- الآية: 30.

السماوات والأرض والجبال عجزن عن حمل «الأمانة» الإلهية، وحملها الإنسان من دون الخليفة لأن الله تعالى خصه بالإرادة الحرة التي ميزته عن الكائنات، وأنزلته منزلة رفيعة في الوجود.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁽¹⁾.

المبدأ الرابع: قدرة الخلق على تحقيق غاياته:

تبين من المبدأ السابق أن الخليفة ما خلقت إلا لغاية محددة- الإنسان وغيره- وأن هذه الغاية بصورة محملة هي تحقيق الإرادة الإلهية في عالم الزمان والمكان بالضرورة وبالاختيار، وذلك بتحقيق مراد الله في إنفاذ القيم المادية والقيم المعنوية في الحياة الدنيا على حد سواء. طالما أن الخلق قد خلق لغاية، فلا بد أن تكون فيه الأهلية أو القدرة على إنجاز تلك الغاية، لأن الذي حدد غاية الخلق، هو الذي فطر الخليفة وزودها إما بالقدرة على التأثر في غيرها، أو بالاستعداد لقبول فاعلية المؤثر فيها ضمن سلسلة معقدة من الأسباب والمسببات تنتهي إلى إرادته تعالى الفاعلة في كل شيء، ولا يؤثر فيها مؤثر.

وعليه «ففي الإنسان قوة على تغيير نفسه، وتغيير مجتمعه وتغيير الطبيعة المحيطة به، وفي نفس الإنسان ومجتمعه ومحيطه الطبيعي قوة على تقبل فعل الإنسان»⁽²⁾.

فعلى مستوى قدرة تأثر الفرد في نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁽³⁾.

وأما عن قدرة الجماعة على تغيير ما بالنفوس، فيدل عليه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽⁴⁾، وبشأن قدرة الإنسان على إحداث التغيير في المحيط الطبيعي، وتقبل الطبيعة لفاعلية الإنسان أو تسخيره لها قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التَّشْوُرُ﴾⁽⁵⁾ وقال عن التسخير الإلهي

(1) سورة الأحزاب- الآية: 72.

(2) إسماعيل راسي الفاروقي- جوهر الحضارة الإسلامية: 11.

(3) سورة الشمس- الآيات: 7-10.

(4) سورة الزهد- الآية: 11.

(5) سورة الملك- الآية: 15.

للكون في خدمة الإنسان: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَا فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

المبدأ الخامس: مسؤولية الإنسان:

في مقابل الحرية التي فطر الله الإنسان عليها، وفي حدود القدرة التي زوده بها جعله مكلفاً مسؤولاً⁽²⁾ مادام الإنسان مكلفاً بإنفاذ أوامر الله، وهو قادر على ذلك حتى عليه الحساب ومن ثمة الجزاء، إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَةٌ هَاطِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ تَارَةً حَامِيَةً﴾⁽⁴⁾.

1- التوحيد المبدأ الأول للمعرفة:

ويترتب على رؤية التوحيد للحقيقة- في ضوء ما سبق- أن الله تعالى هو الحق، وهو مبدأ كل شيء في الوجود وغايته، ولذا لا يجب النظر إلى التوحيد كقيمة عقديّة أخلاقية إيمانية فحسب، بل لابد من النظر إليه كمقولة معرفية عند البحث عن الحقيقة وطلب للمعرفة⁽⁵⁾. لأن وجود الله عز وجل ووجدانيته وإرادته وأفعاله هي الأسس الأولى التي يتم بموجبها بناء كل الكائنات وكل المعارف وكل أنظمتها، وذلك بغض النظر عن أن يكون موضوع المعرفة هو عالم الذرة الصغير على ضالته، أو هو عالم المجرات والكواكب على اتساعه وعظمته، أم كان عالم أعماق النفس، أم ظواهر الحياة الاجتماعية والتاريخ. فالخليفة ومكوناتها، وما يعترها من أحداث وعلاقات مردها من الناحية المادية- في منظور النموذج المعرفي التوحيدي- إلى كليات أمر الله عز وجل ومشيبته وإرادته. «وبذلك فإن المعرفة الإسلامية تعتبر أن كل شيء في نطاق المعرفة إنما يحقق غاية أو أخرى أرادها الله تعالى وذلك حتى يصبح نظام الأسباب في هذا الكون نظاماً من الغايات على

(1) سورة الجاثية- الآية: 13.

(2) محمد المبارك- نظام الإسلام في العبادة والعبادة: 79.

(3) سورة الزلزلة- الآيات: 7-8.

(4) سورة القارعة- الآيات: 6-11.

(5) هبة رؤوف عزت- المرأة والعمل السياسي: 46 وأنظر صلاح إسماعيل عبد الحق وآخرون- بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية:

فمنها تقف الإرادة الإلهية لتحدد غاية كل موجود فرد، وغاية كل سلسلة من الغايات وغاية النظام العام كله»⁽¹⁾.

ومن ثمة ندرك إنه ليس على وجه الحقيقة موجود أو قيمة خارج النظام العام الذي خلقه الياري تعالى، وصار مصدرا له وغاية، وعليه فكل شيء يتصور أو يعرف أو يقوم خارج النظام الذي أوجده الخالق، فهو غير موجود، أو زائف، أو لا قيمة له أو أنه تصور خطأ على أنه خارج ذلك النظام⁽²⁾.

2- الفصل بين التوحيد والشرك:

تم عملية الفصل بين التوحيد والشرك في الإسلام منهجيا من منطلقين:

الأول: من منطلق التوحيد كقيمة عقدية إيمانية تستند إلى الوحي مباشرة في معرفة وحدانية الله تعالى.

والثاني: من منطلق التوحيد كقيمة معرفية تستند إلى الوحي وإلى الحقيقة في الإنسان وفي كل شيء من حقائق الكون والحياة.

إن الفصل بين التوحيد والشرك، باعتبار التوحيد كقيمة عقدية إيمانية كانت هي الغاية الأولى لكل رسول بعثه الله لتحرير الإنسان من كل التصورات الزائفة لإلهية الله تعالى، وبيان حقيقة التوحيد في تفرد عز وجل بالإلهية بلا شريك، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽³⁾.

وقد أكدت هذه الحقيقة كلمة التوحيد في قول الشهادة التي تحتزن كل معاني أصول الإيمان والإسلام «لا إله إلا الله» وتقوم عملية الفصل بين التوحيد والشرك عقديا ومعرفيا على منهج تتضمنه كلمة التوحيد هو منهج "التجريد والبيان"، أو (منهج النفي والإثبات).

فقول لا إله يعبر عن قاعدة التجريد أو النفي لإلهية ما سوى الله تعالى في الوجود وتعرمه سبحانه عن كل نقص.

(1) المعهد العالمي للفكر الإسلامي - إسلامية المعرفة: 79-80.

(2) إسماعيل راسي القاروقلي - أسلمة المعرفة: 64.

(3) سورة الأنبياء - الآية: 25.

والقرآن الكريم كله وصحيح سنة النبي ﷺ في باب الفصل بين التوحيد والشرك يعتمد على منهج التجريد والبيان في إحقاق الحق وإبطال الباطل فسورة الإخلاص، وآية الكرسي تتضمنان هذا المنهج بوضوح.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾.

ومن الجدير بالملاحظة أن منهج التجريد والبيان لا يتعلق بالفصل بين التوحيد والشرك فحسب وإنما هو منهج لرؤية الحق والباطل في كل شيء، في الدين، وفي الواقع على السواء. وبناء عليه يمكن القول بصورة عامة: «أن نظام المعرفة الذي يقوم عليه الدين في الإسلام نظام يقوم على المنهج في التجريد والبيان.

- التجريد: لتجريد الدين مما دخل فيه من أباطيل وأساطير.

- والبيان: لبيان الحق في نظرة الدين إلى الإلهية وفي نظرتة إلى الإنسان وفي نظرتة إلى العلم»⁽³⁾، بآيات الله الكونية.

وأما الفصل بين الشرك والتوحيد من منطلق التوحيد كقيمة معرفية، فيقتضي النظر في حقيقة الإنسان، والكون والحياة باعتبارها الخليقة التي خلقها الله تعالى حيث تتحدد من كل خصائص الربوبية والألوهية، وتثبت لها صفة العبودية لله تعالى طوعاً وكرهاً، بحكم الفطرة التي فطرها عليها الخالق عز وجل، ومن هنا فكل تأليه لمظهر من مظاهر الكون أو الحياة أو الإنسان هو افتراء على الحقيقة وظلم للنفس، وانحراف في الفكر والمنهج، وضلال في العقيدة والإيمان الحق.

(1) سورة الإخلاص - الآيات: 1-4.

(2) سورة البقرة - الآية: 255.

(3) علي عيسى عثمان - لماذا الإسلام؟ وكيف؟: 125.

وسرى عند تناول باقي مقومات النموذج المعرفي التوحيدي كيف أسس الإسلام بمنهج التحريد والبيان للحقيقة، فابعد الأسطورة والخرافة عن تصور حقيقة الغيب والشهادة، وأثبت الحق وأقام الإيمان والمعرفة بأمور الغيب والعالم المشهود على الحجة والبينة القاطعة فيما هي:

- حقيقة الألوهية.

-- حقيقة الكون.

- وحقيقة الإنسان.

-- وحقيقة الحياة.

هذه هي الحقائق المعبرة عن الصورة الصحيحة لنظام الدين في الإسلام وما ينبثق عنها من معرفة سليمة بضوابط منهجية وقواعد محددة.

المقوم الثاني: حقيقة الكون:

إن الإقرار بوحداية الله تعالى الخالق البارئ المصور للكائنات كلها يستلزم بالضرورة العقلية وحدة الخليفة في نظامها وغايتها الوجودية المعبرة عن حقيقة الكون كما يجليها العرض القرآني، ويدل عليها الواقع المشهود⁽¹⁾، وقد خلق الله الكون قبل خلق الإنسان، ولم يخلق الخليفة لها ولا عبثا وإنما أوجدها لغايات بعينها، «وأنه من خلال الأشياء المختلفة والكائنات الحية، والأحداث والعمليات تجلت صفات الله العظيمة في أنه الخالق الرازق الوهاب المصور الرحمن العدل المحيي للميت الحسيب الباعث»⁽²⁾.

ويتناول القرآن في حديثه عن الكون⁽³⁾ بما يجلي حقيقته كما هي عدة قضايا في الآتي:

أولا: قضية الخلق:

إن الكون كما يعرضه القرآن من حيث النشأة الأولى يبين أن مصدر خلقه وإبداعه من العدم على غير مثال سبق يعود إلى الله تعالى وحده، ولقد تكررت الإشارة إلى عملية الخلق

(1) أحمد فواد باشا- دراسات إسلامية في الفكر العظمي: 136، وأنظر: إسلامية المعرفة المعهد العالمي للفكر الإسلامي: 80.

(2) محمد معين صديقي- الأسس الإسلامية للعلم: 45.

(3) يقول محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: 92 "الكون هنا مصدر بمعنى اسم للفعل، فهو بمعنى المكون والمقصود كل ما عدا الإنسان من المظهر الكونية التي تراها من حركتنا".

بجملة كما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽¹⁾، ومفصلة: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾⁽²⁾.

فالخلق في الآية الأولى مطلق الخلق الذي يشمل كل الموجودات بإجمال - أي ما سوى الله عز وجل، وفي الآية الثانية من سورة العلق تعلق بخلق الإنسان تحديدا من علق.
فضلا عن أن عملية الخلق هذه لا تقع تحت الإدراك المباشر حين خلق الله الخلق قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُنْجِدُونَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾⁽³⁾، أي أن قضية الخلق: خلق الكون - وخلق الحياة - وخلق الإنسان غير خاضعة للإدراك المباشر أو المشاهدة من أي من الجن أو الإنس ولذا فلا يجوز لإنسان عالم يحترم الحقيقة ويقدر عقله أن يدعي أن الله قد خلق الكون بهذه الكيفية أو تلك، أو هكذا سيفنى الله الكون، أو هكذا سيعيد خلقه ثانية... الخ ومن هنا فعلماء الطبيعة والحياة لا يتجاوزون بشأن النشأة الأولى للكون مجرد افتراضات واحتمالات عديدة يصيب ما يصيب منها بعض الحقيقة ويخطئ ما يخطئ منها الكثير. والمجال مفتوح للبحث والدراسة والقرآن يحظ على ذلك في آيات كثيرة: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾⁽⁴⁾، وتأتي المعرفة هنا غير مباشرة بطبيعة الحال لما خلق البارئ عز وجل.

وبناء عليه فإن عماد المسلم بشأن قضية خلق الكون، وخلق الحياة وخلق الإنسان، هي آيات الله التي نزل بها الوحي كتابا وسنة وما نطقت به من الحقيقة أما النظريات العلمية التي يكتشفها الإنسان وكذا الحقائق الكونية التي يبلغها باجتهاده في كل زمان ومكان، فتتخبر من بينها فروضا معينة ترقى بها «إلى مقام الحقيقة بمجرد ورود إشارة لها في كتاب الله أو في حديث مروى بسند صحيح عن رسول الله ﷺ ونكون بذلك قد انتصرنا بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة للعلم، وليس العكس»⁽⁵⁾.

(1) سورة العلق - الآية: 1.

(2) سورة العلق - الآية: 2.

(3) سورة الكهف - الآية: 51.

(4) سورة الفاشية - الآيات: 17-20.

(5) زغلول الثعالب - من آيات الإحصاء في القرآن: 37.

ومن النتائج العقدية المترتبة عن الفصل بين الله والكون، باعتبار الكون مخلوقاً والله خالق
فكرة جوهرية في تصور التوحيد، هو توحيد الله تعالى وتجريد ما عداه من صفة الوجدانية،
ويستلزم ذلك إفراد الله بالعبادة وحده دون سواه من عناصر الكون وأجزائه⁽¹⁾

قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْقُدُورِ وَالْإِنْسَانِ أَلْأَبْغَاثُ لِلَّهِ الْمُلْكُ كُلُّ شَيْءٍ لَدَيْهِ بِإِذْنِهِ
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ إِنَّهُ كَانَ غَفِيرًا﴾⁽²⁾

ثانياً: سنة الله في الخلق:

إن سنة الله في الخلق، أو بالأحرى سنن الله في الخلق، هي مجموع القوانين التي تتحكم في
بنية الكائنات وأنظمة وجودها واستمرارها وارتباط بعضها ببعض واختلاف أنواعها وغاياتها،
وما يصدر عنها جميعاً من سلوكات وأفعال، بالضرورة أم بالاختيار حسب تقدير الباري عز
وجل وقضائه⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾⁽⁴⁾.

وبحال السنن في هذا المعنى يستوعب الخليفة وما يصدر عنها من أعمال ويعتبرها من
أحداث ويكتنفها من أحوال في الكون والحياة والإنسان⁽⁵⁾.

ويمكن تصنيف السنن إلى ثلاثة أنواع:

1- سنن كونية: وهي السنن التي تخضع لها جميع الكائنات الحية في وجودها المادي
وظائفها الحيوية بما فيها الإنسان في جانبه الجسمي من حيث حياته ونموه ومرضه ومهرمه
وموته، وكذا الجمادات مثل النجوم والكواكب والأفلاك.

2- سنن الفطرة: وهي نوعان⁽⁶⁾:

⁽¹⁾ محمد المبارك- الإسلام والفكر العلمي: 45.

⁽²⁾ سورة الزعد- الأيتان: 15-16.

⁽³⁾ فصحى الدين- خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم: 156.

⁽⁴⁾ سورة الفرقان- الآية: 2.

⁽⁵⁾ إبراهيم بن علي الوزير- دراسة السنن الإلهية والمسلم المعاصر: 7. وانظر: أحمد محمد حسين الدخشي- نظرية المعرفة في القرآن الكريم:

171.

⁽⁶⁾ هبة رؤوف عزت- المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية: 65.

الأول: فطرة الإنسان: وهي السنن التي تحكم فطرة الإنسان الفرد وما يحكم هذه الفطرة من خصائص تميزها عن سائر المخلوقات، وتجعل الإنسان واحداً في كل إنسان، بمعزل عن الجماعة، والحضارة، والدين، والتاريخ.

والثاني: فطرة الاجتماع الإنساني: وهي السنن التي بمقتضاها ينشأ الاجتماع الإنساني ويتطور ويتقوم بها العمران البشري ويزدهر ويسود الأمن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ويعم الرخاء وتغمر السعادة الناس في الدنيا حين تستقيم عقائدهم على الوحدانية وترقى سلوكياتهم الأخلاقية. وإما انهيار العمران البشري وخرابه بفعل سنن السقوط والانحلال من مثل: سنة الترف والهلاك، وفشو الظلم والحيف بين الناس وتطفيف الكيل، والانحراف الخلقى بصوره المختلفة، واتباع الهوى ونقض الميثاق، والاستبداد السياسي، وما يتبع هذه السنن من آثار وخيمة كالمعيشة الضنكى في الحياة الدنيا وما يلحقهم في الآخرة من عذاب أليم⁽¹⁾.

3- سنن التكليف: أو سنن التشريع، التي تنسجم مع ناموس الكون والفطرة الإنسانية، وتشمل في أحكام الشريعة أو الدين أمراً ونهياً وتوجيهاً وهداية⁽²⁾، وهي السنن الضابطة لسلوك الفرد والأسرة والجماعة والأمة والإنسانية ككل والمكلفة بمقتضى الفطرة الإنسانية بالاستجابة لها أو الصدود عنها، وعلى أساس الموقف من سنن التكليف إجابة أو رفضاً يتحدد المصير الأبدي للإنسان.

قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾.
وقال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽⁴⁾.

وقد اتسمت سنن الله في الخلق في العرض القرآني على اختلاف أنواعها بخصائص صارمة لا تتخلف تتمثل في الآتي:

(1) هبة رؤوف هوت- المرأة والعمل السياسي: 65، وأنظر- عبد الكريم زيدان- السنن الإلهية: 12.

(2) إبراهيم بن علي الوزيري- السنن الإلهية والمسلم المعاصر: 10.

(3) سورة الروم- الآية: 30.

(4) سورة البقرة- الآيات: 38-39.

الخاصية الأولى: خاصية العموم:

ويعبر عنها مفهوم سنن الله في الخلق، كونه، بمجموعة القوانين التي سننها الله عز وجل لهذا الوجود، وأخضع لها مخلوقاته على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها⁽¹⁾ ولو تأملنا في مكونات عالم الشهادة المحيط بنا، وما يعمل فيه من ظواهر وأحداث، وما ينتج عن ذلك من تعاقب الليل والنهار، وتتابع فصول السنة بانتظام ودوران الكواكب في أفلاكها بإحكام، فلا تصطدم ولا تحيد عن مداراتها أبداً، وهبوب الرياح وتكون السحب ونزول الأمطار على الأرض ونمو النبات لدنا كل ذلك على خاصية العموم.

ولقد اكتشف الإنسان أن ظواهر الطبيعة وما يكتنفها من وقائع يتداخل بعضها مع بعض في سلسلة من العلاقات تعكس الحكمة والانسجام والتوازن الذي تسير على منواله الحياة التي يحيها كل كائن في هذا الوجود، حيث تنتفي الصدفة في عالم تكوين الكائنات وحركتها الدائبة، وإنما كل الذي يحدث، يحدث «وفق قانون عام دقيق وثابت صارم لا يخرج عن أحكامه شيء»⁽²⁾.

ولبيان حقيقة خاصية العموم في سنن الله التي فطر الكائنات عليها، نقصر على ذكر مثال واحد من عالم الخلايا الحية يوضح جريانها كلها دون استثناء على نسق واحد، سواء كانت خلايا بشرية أو حيوانية أو نباتية مما يدل دلالة قاطعة على أن تكوين المخلوقات يخضع كغيره من المساحات الكونية إلى خاصية العموم بإحكام وأطر ثابتين: «فكل خلية تتركب من مادة صغية وراثية تتجمع في النواة، وتحمل صفات المخلوق، وتنقلها بالتزاوج والتكاثر من جيل إلى جيل في النوع نفسه، وتحيط بالنواة مادة هيولية تتم فيها النشاطات الحيوية المختلفة.. ويحيط بالمادة الهيولية هذه غلاف أو غشاء يحدد الخلية، ويعطيها شكلها الذي يميزها عن غيرها من الخلايا.

وهذا الأسلوب في تكوين الخلايا يسود أنواع المخلوقات كلها حتى المجهري منها كالطفيليات والجراثيم»⁽³⁾، وقبل ذلك دلنا القرآن الكريم في العديد من الآيات على خاصية

(1) أحمد محمد كمان- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق: 52.

(2) عبد الكريم زيدان- السنن الإلهية: 7.

(3) أحمد محمد كمان- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق: 56-57.

العموم أو الشمول هذه في خلق الله للكائنات، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَأَشْمَسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽²⁾.

وفي خلق الإنسان ومراحل تكوين الجنين تعبير واضح عن خاصية العموم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁽³⁾.

الخاصية الثانية: خاصية الثبات:

وتعني خاصية ثبات سنة الله في الخلق، أنها لا تتبدل ولا تتحول كما أخبر عنها البارئ عز وجل في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁽⁴⁾. والملاحظ أن ثبات السنن منذ أن خلق الله السموات والأرض جارية على نسق واحد لا تتخلف إلا أن يشاء الله غير ذلك، مما يوحي هذا الثبات برحمة الله وفضله على العباد، حتى يتمكنوا من معرفة نظام السنن وتسخيرها والانتفاع به، فكيف لهم بتسخير عالم لا ثبات فيه ولا استقرار، لا يحكمه قانون ولا تضبطه سنة؟⁽⁵⁾.

غير أن الله سبحانه وتعالى إذا شاء خرق السنن الجارية في الحياة، فكان له ذلك وحده لأنه خالقها ومسبب أسبابها، وقد حصل ذلك في معجزات الأنبياء والرسل التي أيدهم بها كحجج بالغة على أهم رسل الله وأنبيائه، فهذه النار التي من خصائصها التي يعرفها الإنسان خاصية الإحراق وهي خاصية عامة وثابتة ومطرودة، في كل زمان ومكان، فإذا ما في قصة إبراهيم عليه السلام بأمر من الله تعالى وتأييد منه لرسوله في مواجهة قومه للمشركين، وإقامة الحجة عليهم بأسماعهم وأبصارهم أن ما يدعوههم إبراهيم إليه هو الحق من عند الله وما هم عليه

(1) سورة الأنبياء- الآية: 30.

(2) سورة يس- الآيات: 38-40.

(3) سورة المؤمنون- الآيات: 12-14.

(4) سورة فاطر- الآية: 43.

(5) احمد محمد كتمان- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق: 68.

من اعتقاد فاسد هو الباطل، فإذا بخاصية الإحراق تنزع من النار وتصر بردا وسلاما على إبراهيم أثناء محاولة حرقه، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَلَمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾⁽¹⁾.

الخاصية الثالثة: خاصية الاطراد:

ويعني الاطراد لغة: التتابع والتسلسل فسنة الله في الخلق عامة ثابتة مطردة والاطراد المقصود في السنن هو جريان الحوادث واقتران الأسباب بالمسببات في الكون للمشهود على نسق واحد يفيد التتابع والتكرار والانتظام باستمرار ما انتفت الموانع الحائلة دون ذلك: «فجميع السنن التي فطر الله عليها أمور الخلق قابلة للتكرار والإعادة- بإذن الله- كلما توافرت شروطها، وانتفت الموانع، التي تحول دون تحقيقها.. فالمطر يهطل بإذن الله كلما تلبدت الغيوم في السماء وهبأت الظروف الجوية المواتية، والحجر يسقط إلى أسفل كلما ألقينا به في الفضاء، واليد تحترق كلما لامست النار... وهكذا»⁽²⁾.

وفي القرآن الكريم ما يؤكد حقيقة اطراد سنن الله في الكون والحياة منها قوله تعالى: ﴿وآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾⁽³⁾، كما يعبر القرآن عن اطراد السنة كذلك حاضرا ومستقبلا، حين يتكلم على جريان السنة بصيغة الفعل المضارع الدال على الحال والاستقبال أي الاستمرار⁽⁴⁾، كما في قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنفِثُ سَحَابًا مِّمَّسَّةً فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلًا وَأَلْقَىٰ فِي الْفُجِّ مِنَ السَّمَاءِ حِجَابًا فَتَخْرُجُ مِنَ الْوُجُوهِ مِنَ الْأَرْضِ الْأَنْبُسُ فَتَنْجَسُونَ﴾⁽⁵⁾.

هذا عرض وجيز عن خصائص سنة الله في الخلق فيما يتعلق بالحياة الطبيعية في الكون وما تميز به من صفات العموم والثبات والاطراد، وعند الانتقال إلى ساحة القطرة الإنسانية الفردية

⁽¹⁾ سورة الأنبياء- الآيات: 66-70.

⁽²⁾ أحمد محمد كمان- لزمتنا المضارعة في ضوء سنة الله في الخلق: 77.

⁽³⁾ سورة يس- الآية: 33.

⁽⁴⁾ محمد المبارك- الإسلام والفكر العلمي: 52.

⁽⁵⁾ سورة الروم- الآية: 48.

والاجتماعية فسيكون لحديث السنن حضورا متميزا، إذ الساحة الإنسانية بمكوناتها للتنوعه قطاع خاضع بدوره لسنن الله في الخلق ضمن نظام متفرد يناسب فطرة الإنسان للمركبة.

ثالثا: تسخير الكون:

إن العرض القرآني لحقيقة الكون- جملة وتفصيلا- غاية هداية الإنسان عقديا ومعرفيا

وعمليا:

1- الهداية العقديّة:

وتتمثل في التوحيد الخالص لله تعالى، وذلك بمعرفة تقرير التباين للمطلق بين الخالق والمخلوق، أي بين الله والكون في كل شيء، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَى بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾⁽¹⁾ وقال في نفي أدنى شبهة أو مماثلة بينه عز وجل وبين الخليفة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

2- الهداية المعرفية:

وتتمثل في الوقوف على حقيقة تفرد الباري عز وجل في خلق الكون وحده بلا شريك- كما مر سابقا- ومعرفة سنن الله في الخلق وخصائصها آيات شاهدة على بارئها سبحانه، ونعم تفضل بها على الإنسان كي ينتفع بالكون في حياته الدنيا ويتمتع بمباهجه وخيراته الوفيرة قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ لُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَكَحْمِلٍ أَثْقَالِكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْبِ إِلَّا نَسِيَ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَىٰ

(1) سورة الملق- الآيات: 1-2.

(2) سورة الشورى- الآية: 11.

(3) سورة الإخلاص- الآية: 4.

(4) سورة الأنعام- الآية: 101.

اللَّهُ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١﴾

3- الهداية السحرية (أو العملية):

إن الله تعالى خلق الكون وفق سنن جعلته يخضع لإرادة الإنسان وفاعليته وتقبل التأثير فيه إيجاباً وسلباً، كما خلق الإنسان على هيئة يقدر معها على معرفة سنن الكون والحياة ويسخرها في الخير والشر سواء، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾^(٢)، هذا عن الإنسان، أما عن تسخير الكون للإنسان بطرق مباشرة وغير مباشرة، فهي من الأمور المشاهدة في استخدام الإنسان لطاقات الكون وخبراته والانتفاع بها عن طريق العمل في الفلاحة والصناعة والتجارة وغير ذلك، أما في الاستفادة غير المباشرة بأمر الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم والبحار والأهوار والأمطار وما إليها، فيقول تعالى في الهداية السحرية العملية للكون مخاطباً الإنسان بقوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الزُّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً حَلِيقَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَالْهَارَا وَسَبُلًا لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَلَمْ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

وهكذا كلما ذكر القرآن الكون أو جزءاً من أجزائه أشار إلى انتفاع الإنسان به واستثماره أو نبيه إلى ضرورة السعي إلى استعماله فيما ينفعه، ومن هذا المنظور تتحدد صلة

(١) سورة النحل - الآيات: 3-10.

(٢) سورة الملك - الآية: 2.

(٣) سورة النحل - الآيات: 11-18.

الإنسان بالكون على أنه كونا «مسخرا للإنسان يتفكر فيه وينتفع به وذلك من الله تشریف له وتكريم واستخلاف له وثمكين»⁽¹⁾.

ولا يليق بالإنسان بعد ذلك أن يرفع من قيمة أي كائن في الكون إلى مقام ربوبية الله تعالى ثم يتخذها إلها أوربا، فكيف به يعبد المسخرات وهو أفضل منها وأكرم عند الله؟

المقوم الثالث: حقيقة الإنسان:

خلق الله تعالى الكون وهياً لاستقبال الإنسان، وأمد الإنسان فطرياً بقدرات مادية، وقوى روحية ومعرفية وإرادية تجعله يتبوأ مكانة رفيعة بين مفردات الخليقة التي تحيط به في الكون، كما يلاحظ تناسبا ضروريا بين حاجات الإنسان الفطرية، وبناء الخليقة المصممة بقصد خدمة تلك الحاجات، ففي الإنسان مثلا: الحاجة إلى الماء والهواء والغذاء وفي الطبيعة التي تحتضنه ما يستجيب لتلك الحاجات بطرق مباشرة وغير مباشرة.

وفي ظل هذا التناسب والتساند بين فطري الإنسان والكون، يباشر الإنسان⁽²⁾ مهامه لتحقيق الغاية من وجوده في الأرض بإنجاز الاستخلاف وأداء أمانة التكليف وعبادة الله وحده وعمارة الأرض وإصلاحها.

ويقتضي بيان حقيقة الإنسان في منظور الإسلام التطرق إلى:

طبيعة التكوين الفطري للإنسان ظاهرا وباطنا، ومعرفة غاية وجوده ووسيلة تحقيق هذه الغاية المنبثقة عن حقيقة صلة الإنسان بالله خالقه وصلته بالكون، وصلته بأخيه الإنسان.

أولا: التكوين الفطري للإنسان:

لقد صور القرآن الإنسان باعتباره كائنا مرتبطا ارتباطا وثيقا بالأرض⁽³⁾، ويشترك الكائنات التي تسكنته للعمورة الكثير من صفاتها، ويتميز عنها، بصفات خاصة به⁽⁴⁾، فهو يشترك مع الخليقة من حيث أصل وجوده على الأرض أنه مخلوقاً قد خلقه الله مثلها، قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾⁽⁵⁾.

(1) محمد المبارك - الإسلام والفكر العلمي: 42.

(2) إسماعيل راسي الفاروق - أسئلة المعرفة: 69.

(3) موريس بوكاي - ما أصل الإنسان: 190.

(4) محمد المبارك - نظام الإسلام في العقيدة والعبادة: 53.

(5) سورة العلق - الأيتان: 1-2.

إلا أن الإنسان ذو طبيعة مزدوجة تتكون من تآلف عنصرين مختلفين:

1- العنصر المادي.

2- والعنصر الروحي.

1- العنصر المادي:

أ- عنصر التراب:

ذكرت آيات عديدة من القرآن الكريم أن الإنسان يتكون من مكونات موجودة في الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿فَبِأَلَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾⁽²⁾ وقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾⁽⁴⁾.

وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْتَوِينَ﴾⁽⁵⁾.

واضح أن مادة خلق الإنسان المذكورة في هذه الآيات تعود إلى الأرض والتراب وهذا ما يؤيده الواقع، ويقره العلم الذي يدرس المركبات الكيميائية في جسم الإنسان⁽⁶⁾.

"قلو أنك أخذت قبضة من تراب الأرض وقطعة من جسم الإنسان، وأجريت على كل منهما عمليات التحليل الكيماوي لوجدت العناصر التي يتركب منها جسم الإنسان، مأخوذة من العناصر التي يتركب منها التراب، مع اختلاف مقدار كل عنصر تبعاً لأهمية الوظيفة التي يؤديها الجسم... فالكالسيوم، والفسفور مثلاً يكونان الهيكل العظمي، ولذا يوجدان بنسبة أعلى من نسبة كثرة من العناصر... الخ"⁽⁷⁾.

إلى جانب وحدة العنصر الترابي الذي يجمع بين الإنسان والكون، هنالك وحدة ملحوظة بين مكونات الطبيعة التي تقوم بها في وجودها واستمرارها بما في ذلك الإنسان، هي قانون

(1) سورة هود- الآية: 61.

(2) سورة الحج- الآية: 5.

(3) سورة السجدة- الآية: 7.

(4) سورة الفرقان- الآية: 54.

(5) سورة الحجر- الآية: 26.

(6) موريس بوكاي- ما أصل الإنسان؟: 192.

(7) النهي الخويل- آدم عليه السلام: 19-20.

الزوجية، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

" وإذا كانت هذه الزوجية بادية في الذكورة والأنوثة بالنسبة للحيوان وأصناف من النبات، فإن العلم الحديث كشف عن زوجية في تركيب المادة كلها جامدة وحية، وهي المتمثلة فيما تتكون منه الذرة من شحنات كهربائية موجبة وأخرى سالبة"⁽²⁾.

ب- عنصر النبات:

يدخل النبات في تركيب الإنسان باعتباره يشترك معه في الخصائص الترابية ويتغذى عليه طيلة حياته الدنيا.

والإنسان في نموه في الأرض شبيه بنمو النبات، مع اختلاف دورات النمو والحياة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾⁽³⁾.

ج- عنصر الحيوان:

يتغذى الإنسان بدوره على لحوم الحيوانات وألبانها وهذه الأخيرة تتغذى على حشائش الأرض ونباتاتها، فالمواد العضوية الترابية قاسم مشترك بين النبات والحيوان والإنسان، ويشبه الإنسان الحيوان في كثير من صفاته وخصائصه وتناسله وتفاعله مع عناصر الحياة في الطبيعة، فهو من هذه الزاوية نوع من أنواع الحيوان قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتَالِكُمْ﴾⁽⁴⁾، وقال تعالى في الأصل الواحد لحياة الأحياء على الأرض وهو عنصر الماء: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾⁽⁵⁾.

2- العنصر المعنوي الروحي:

إن حقيقة العنصر المادي بأبعاده الترابية والحيوانية والنباتية ليست هي كل الحقيقة في الفطرة الإنسانية إنما هي شطر مهم، يليه الشطر الأهم المتعلق بحسن تسوية خلقة الإنسان

(1) سورة يس - الآية: 36.

(2) أبو الوفاء النخازان - الإنسان والكون في الإسلام: 53.

(3) سورة نوح - الآية: 17.

(4) سورة الأنعام - الآية: 38.

(5) سورة النور - الآية: 45.

واستقامتها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁽¹⁾، كما يميز الإنسان إلى جانب ذلك بقوى معرفية تمثل في حواس قابلة للنمو تعين على تكوين خاصة العقل والتفكير المؤدي إلى تحصيل العلم والتقدم فيه باستمرار⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽⁴⁾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عُلْمَهُ الْبَيِّنَاتِ﴾⁽⁵⁾ وهذا خلافا للحيوان الذي يتمتع بالسمع والبصر، غير أن الواقع أثبت أن حواسه تلك لا تنمو نحوما يؤدي إلى العلم⁽⁶⁾. وأما الميزة الكبرى التي تجعل من الإنسان إنسانا متميزا عن سائر الخليقة هو انضمام البعد الروحي إلى البعد الترابي في تكوينه الفطري، فيجعل منه خلقا آخر، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لِذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾⁽⁷⁾.

فهذه الآيات تعبر عن الإنسان في كل إنسان كما هو في الواقع المشهود الذي يعبر عن هذه الخصائص والقوى المادية والروحية والمعرفية والإرادية التي يسعى من خلالها في الحياة الدنيا بحرية كاملة قولاً وعملاً، سلباً وإيجاباً صلاحاً وفساداً.

وأما عن حقيقة الروح فلا سبيل إلى إدراك كنهها بالعقل، في رواية للبخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: [«بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في خَرِيبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَيَّ عَسِيبُ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُّوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَجِيءُ فِيهِ شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِنَسَائِلِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟

(1) سورة التين - الآية: 4.

(2) محمد المبارك - نظام الإسلام في العقيدة والعبادة: 54-55.

(3) سورة الصلح - الآية: 78.

(4) سورة البقرة - الآية: 31.

(5) سورة الرحمن - الآية: 3-4.

(6) محمد المبارك - نظام الإسلام في العقيدة والعبادة: 55.

(7) سورة السجدة - الآية: 7-9.

فسكت فقلت أنه يوحى إليه ففقت فلما انجلي عنه، فقال: ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً..» قال الأعمش هكذا في قراءتنا⁽¹⁾.

ولما كان شأن الروح شأنًا غيبيا لا يدرك بالحواس مباشرة، ولكن تدرك آثاره الظاهرة في الواقع المحسوس، وتتجلى تحديدا في النشاط الإنساني المتعلق بالوعي والإدراك والإرادة، أي الممارسة المعنوية للقيم في الحياة من مثل: أمور الإيمان بالله، وأعمال البر والتقوى والعدل والرحمة والصدق والتضحية، وما إلى ذلك من القيم المعنوية المعيرة عن النشاط الروحي⁽²⁾.

ومن هنا يستكمل الإنسان في منظور الإسلام تكوينه الفطري الذي يبدأ بعنصر التراب فالحيوانية، فالعقلية فالروحية، ويترتب عن هذه العناصر وتكاملها في كيانها وتفاعلها بحيث تكون الترابية فيه خادمة للحيوانية، والحيوانية خادمة لعقله، وعقله خادم لروحه⁽³⁾.

ثانيا: غاية وجود الإنسان في الأرض:

إن طبيعة التكوين الفطري للإنسان تؤهله بالجعل الإلهي إلى أن تكون الغاية من وجوده في الأرض غاية مركبة وهي "الخلافة" قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽⁴⁾، فالخلافة هي غاية الوجود الإنساني، ومضمون الخلافة وفحواها هو الأمانة التي حملها الإنسان قبلها، عمقتضى استعداد الفطري- كما سبق بيانه- وعجزت السموات والأرض والجبال عن تحملها لأنها تفتقر إلى التكوين الفطري الذي يتميز الإنسان به من حرية وإرادة وقدرة تلك الصفات التي تمكنه من أداء مسؤولية الاستخلاف عن الله في الأرض قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁽⁵⁾.

وهذا المفهوم للأمانة يتحدد فحواها أو مضمونها بالعمل الأخلاقي المعبر عن حرية الإنسان وقدرته وإرادته في طاعة الله وعبادته التي لأجلها خلق الله تعالى الإنسان، قال تعالى:

(1) صحيح البخاري- كتاب العلم، باب قول الله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا، حديث رقم: (125): 58/1.

(2) محمد قطب- دراسات في النفس الإنسانية: 44.

(3) محمد المبارك- نظام الإسلام في العبادة والعبادة: 37.

(4) سورة البقرة- الآية: 30.

(5) سورة الأعراب- الآية: 72.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنْ
اللَّهُ هُوَ الرِّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁽¹⁾.

والأمانة كذلك هي اختبار لإرادة الإنسان بالعمل الصالح والإحسان فيه، ولأجل ذلك خلق الباري عز وجل الموت والحياة⁽²⁾، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾⁽³⁾.

وعليه فإن تركيز معاني الأمانة والعبادة والابتلاء والعمل الصالح وتداخلها يحدد للضمون الحقيقي لمفهوم خلافة الإنسان عن الله في الأرض، وغاية وجوده بحيث تصير الخلافة تعني: تسخير الخلائق والكائنات وإدارة شؤونها وإعمار الحياة وإصلاحها ومن ثمة فالخلافة في تصور العقل للمسلم هي نعمة وتكريم للإنسان تجعله في موضع القدرة والسيطرة في الكون، وهي مسؤولية مناطها في الجوهر حرية الإرادة والقرار وقدرة الإدراك وطاقته العلم⁽⁴⁾.

ثالثاً: تحقيق غاية الوجود الإنساني:

تمثل الخلافة الإنسانية وموهبتها والغاية منها الوجه الآخر لمسؤولية الإنسان الأخلاقية⁽⁵⁾ للقيام بمهمة تسخير الكون وإدارته باعتبار تكوينه الفطري، وقواه المادية والروحية والمعرفية والإرادية، فالإنسان وسيلة نفسه في تحقيق الغاية من وجوده.

كما يساعده على إنجاز مهامه الاستخلافية قابلية الكون والحياة لتأثيره وفاعليته فيما يصفه القرآن بالتسخير لمكونات الطبيعة وأحداثها بطرق مباشرة وغير مباشرة " فالدنيا كلها من قمر وشمس من حيوان ونبات، من جبل وحر، مسخرة لعمل الإنسان، قابلة لتأثيره فيها"⁽⁶⁾.

وقال الله تعالى في ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة النحل - الآية: 56-58.

(2) إسماعيل راجي الفاروقي - نظرية الإنسان في القرآن الكريم: 470.

(3) سورة الملك - الآية: 2.

(4) عبد الحميد أبو سليمان - أزمة العقل المسلم: 121.

(5) عبد الحميد أبو سليمان - قضية التنهية في الفكر الإسلامي: 18.

(6) إسماعيل راجي الفاروقي - نظرية الإنسان في القرآن الكريم: 470.

(7) سورة لقمان - الآية: 20.

وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾⁽¹⁾.

غير أن جهود الإنسان الدائمة لتحقيق الغاية من وجوده يتهددها خطران:

الخطر الأول: الخطأ في معرفة إرادة الله.

الخطر الثاني: الوقوع في المعصية.

وهذان الخطران من لوازم حرية الإنسان النابعة من تكوينه الفطري الذي جعله الله تعالى عليه «إذ يمكن للإنسان بكل ما أوتي من هذه المواهب أن يخطئ في معرفة إرادة الله، ويمكنه أيضاً- وهذا هو معنى الحرية الأخلاقية- أن يعصي، فإذا أخطأ أو عصى كان لا بد له من مصحح أما الخطأ فتصحيحه في الوحي، وفيما أنزله الله تعالى من كلام وأوامر ونواه، من حلال وحرام، وأما المعصية فتصحيحها بالإيمان والهداية»⁽²⁾، أي بالترام الصراط للمستقيم علماً وتوبة. ومن هنا يجتمع للإنسان مؤيدات ثلاث في تحقيق الغاية من وجوده وهي الخلافة والعمارة في الأرض برعاية الله وتسديده:

المؤيد الأول: قدرات الإنسان الفطرية للمادية والروحية والمعرفية والإرادية.

المؤيد الثاني: الكون المسخر لفاعلية الإنسان وتأثيره.

المؤيد الثالث: الهداية الإلهية المسددة للإنسان بالوحي

وإذا قام الإنسان بهذه الأعمال البناءة، انطلقاً من سنن الفطرة في نفسه، وسنن التسخير في الكون المحيط به، كل ذلك في كنف سنن الهداية وتجرى الصواب والإخلاص في جهوده لتحقيق الإحسان في العمل، و«نتيجة هذا العمل لا بد وأن تكون عمراناً يزيد من قيمة الخلق، ويزيد من قيمة الدنيا، ويزينها ويجملها»⁽³⁾.

ومسؤولية الإنسان عن اختياره وقدرته على العمل والإنجاز لأهداف الغاية من وجوده تستبعبها نتائج في الحياة الدنيا والآخرة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. قال تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ لِنَفْسٍ إِلَّا وَمَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾⁽⁴⁾.

(1) سورة النحل - الآية: 12.

(2) إسماعيل راسي الفاروقى - نظرية الإنسان في القرآن الكريم: 471.

(3) إسماعيل راسي الفاروقى - نظرية الإنسان في القرآن الكريم: 471.

(4) سورة البقرة - الآية: 286.

وقال أيضا: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽¹⁾.

ومن هنا فإنه ما لم يكن هناك حساب على العمل الإنساني، فإن مسؤولية الفرد وتقواه وصلاح أخلاقه وفسادها تصبح ضربا من العبث، فبدون حساب لن تكون هناك مسؤولية والقرآن يؤكد مرارا وتكرارا على وجود حساب للإنسان عن أعماله في الدنيا والآخرة.

المقوم الرابع: حقيقة الحياة:

إن تناول قضية الحياة في سياق عناصر مقومات النموذج المعرفي التوحيدي، ضرورة عقدية ومعرفية في نفس الوقت، فهي تطلع الإنسان المسلم على حقيقة الحياة الدنيا التي يحياها ويتحمل مسؤولية الأمانة الإلهية التي قبل تبعاتها بمحض اختياره وإرادته، نظرا لاستعداده الفطري لذلك، كما يتعرف على حياة الكائنات التي تقاسمه رحلة حياته، والأهم من ذلك كله أن يعرف حقيقة حياة الباري عز وجل الكاملة كل الكمال والمتزهة عن أي نقص، ثم معرفة الحياة الآخرة وما ينتظر الإنسان فيها من نعيم مقيم أو عذاب أليم.

أولا: مفهوم الحياة في المنهج القرآني:

تعلق وصف الحياة في القرآن الكريم تارة بالخالق سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴾⁽²⁾، وتارة بالخلقة في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽³⁾ فالحياة التي تتمتع بها الكائنات هي من خلق الباري تعالى وأن أصل الأحياء جميعا من الماء قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾⁽⁴⁾ هذا عن الحياة في الدنيا أما الحياة الآخرة كما في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُبَدِّلُ الصَّلَاةَ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَى الْمَسْجِدِ هَذَا وَمَا بَدَّلْتَهُ إِلَّا لِيُحَدِّثَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَدِيكَ وَمَا يَضُرُّكَ مَا بَدَّلْتَ ذَلِكَ إِنْ كُنْتَ تَارِكًا لِتِلْكَ الْأُمُورِ الْمُحَدِّثَةِ إِذْ تَقُولُ لِمَ يُعَذِّبُنِي اللَّهُ فَإِنَّكَ تُبَدِّلُ الْأُمَّةَ وَمَا اللَّهُ مُبَدِّلِ الْأُمَّةِ إِلَّا خَلَا لَهَا نَهْيًا وَأَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ النَّاسَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽⁵⁾ «يعني بها الحياة الأخرى الدائمة»⁽⁶⁾ أي حياة دار الجزاء.

(1) سورة الزلزلة - الآيات: 7-8.

(2) سورة البقرة - الآية: 255.

(3) سورة الملك - الآية: 2.

(4) سورة الأنبياء - الآية: 30.

(5) سورة النحر - الآية: 24.

(6) الرافض الأصمهان - مفردات ألفاظ القرآن: 269.

وأما الفروق الأساسية بين حياة الله عز وجل وحياة الخليفة قاطبة: فإن الحياة التي يوصف بها الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، هي حياة ذاتية لم تأت من مصدر آخر كحياة الخلائق الممنوحة لها من الخالق فهو سبحانه يتفرد بكمال حياته التي لا يعثر عليها نقص.

لأنها هي الحياة الأزلية الأبدية التي لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية، فهي متجردة عن معنى الزمان المصاحب لحياة الخلائق المكتسبة المحددة البدء والنهاية، وحياته تعالى مفرجة عن اتصافها بالخصائص التي تتميز بها حياة الأشياء، لأنه - سبحانه - ليس كمثل شيء (1).

وفي هذا المنظور يتميز مفهوم حياة الخالق عز وجل الذي يتفرد بالكمال ولا يشترك معه فيه أي كائن سواه، ويتزه عن أي نقص يتلبس به في حياته كل مخلوق، في حين أن الخليفة جميعا تخضع في خلقها وحياتها لقانون الزوجية الذي وحدت عليه، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثَبِّتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (2).

ثانيا: مفهوم الحياة الإنسانية في المنهج القرآني:

الحياة على مستوى الخليفة ليست لها وليست قوة مدبرة، ولا تتمتع بإرادة مستقلة، أي مطلقة عن كل قيد وهي ليست فوضى أو وحدت صلبة وتمضي بلا وجهة أو هدف في الحياة، إنما الحياة خليفة أنشأها الله سبحانه بعلمه وقدرته ولغايات بعينها (3)، تستوي في ذلك حياة الإنسان مع حياة الكائنات كلها من حوله، كبيرها وصغيرها، حليلها وحقيرها.

قال عز وجل: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (4).

1- قيمة الذات الإنسانية:

سبق عرض حقيقة الذات الإنسانية كما صورها القرآن، في موضوع حقيقة الإنسان، حيث تفرد الإنسان في تكوينه الفطري عن الكائنات كلها بخصائص لم تجتمع إلا فيه. لقد

(1) سيد قطب في خلال القرآن: 287/1.

(2) سورة يس - الآية 36.

(3) سيد قطب - مقومات التصور الإسلامي: 357.

(4) سورة الأعلى - الآيات: 1-2.

استجمعت ذاته عنصر التراب إلى نفخة روح الله مع عنصر العقل والإدراك وما ينتج عن ذلك كله من قدرة وإرادة تجعل لحياة الإنسان معنى ودورا ومكانة متميزة بين مفردات الخليقة. وقد استحق الإنسان بفضل قيمته الذاتية الفطرية في العقيدة الإسلامية التي «تفسر الوجود على أنه ثنائية طرفاها إله خالق وكون مخلوق، فإن هذا الطرف الثاني تتساوى الموجودات فيه من حيث وضعها الوجودي، إذ هي مشتركة كلها في القصور الذاتي الذي صارت لها معلولة لله، ولكنها لا تتساوى من حيث وضعها القيمي، بل هي تصبح بدورها من هذه الجهة ثنائية ذات طرفين في ميزان التقدير: إنسان وكون، وهما طرفان متفاوتان في القدر وإن كانا يتساويان في المخلوقية لله»⁽¹⁾.

وإلى هذا التفاضل بين الإنسان والكون، الذي يعتلي فيه الإنسان موقعا رفيعا بين مفردات الخليقة، يبوئه مقام الخلافة في الأرض وتسخير طاقاتها في العمران والبناء الحضاري قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽²⁾.

«فالتكريم هو الإعلاء والإعزاز، وهو شامل للإنسان بمقتضى مطلق الإنسانية فيه، غير متعلق بعوارضها مهما كان نوعها، ومن مظاهر تكريمه تخصيصه بأن يسخر البر والبحر لما فيه نفعه وخيره، وأن يسخر مطايب ما في الكون لتكون رزقا له، فصار بذلك في مكانة أعلى من مكانة الكون، وصار أفضل من المخلوقات الكونية التي تشاركه الوجود في عالم الشهادة»⁽³⁾.

وعلى هذا النسق من بيان القرآن لحقيقة الذات الإنسانية ورفعة مكانتها في الخليقة، يتقدم بنا البيان الإلهي في القرآن الكريم كاشفا عن حقيقة الحياة الآخرة ومترلة كل منهما من الأخرى ومهمة الإنسان في الحياة الأولى، ومصيره في الحياة الثانية، وأثر ذلك كله على تصور الإنسان لمعنى الحياة وما يقوم به من سعي وينجزه من أعمال إيجابية كانت أم سلبية.

(1) عبد المجد النجار - قيمة الإنسان: 6-7.

(2) سورة الإسراء - الآية: 70.

(3) عبد المجد النجار - قيمة الإنسان: 8.

2- حقيقة الحياة الدنيا والآخرة:

من الحقائق الثابتة في القرآن الكريم، أن حديثه عن الحياة الدنيا لم يكن في أي موضع منه مفصلاً عن بيان حقيقة الحياة الآخرة- بطرق مباشرة أو غير مباشرة- ذلك أن الله تعالى قد حدد الحكمة من خلق الإنسان في الحياة الدنيا لأجل اختباره أو امتحان إرادته الحرة والمسئولة فيما يعتقد من عقائد، وما يقوم به من أعمال، كي يجد ما قدمت يداه غدا يوم القيامة فيجزيه ربه الجزاء الأوفى، إن النظرة الإسلامية تكشف عن حكمة الله في خلق الحياة والموت بالنسبة إلى الإنسان، وهي وضعه موضع الامتحان في الحياة الدنيا، فإذا اجتاز حياته بنجاح كان مصيره في الحياة الأخرى بعد البعث إلى جنة النعيم، له فيها كل ما لذ وطاب ورضوان من الله أكبر. وإذا اجتاز رحلة امتحانه كافرًا بربه... كان مصيره في الحياة الأخرى بعد البعث إلى دار العذاب الأليم خالداً فيها أبداً، وإذا اجتاز رحلة امتحانه مؤمناً عاصياً كان عرضة للعقوبات التي استحقها على مقدار معاصيه، ويغفر الله ما يشاء ولمن يشاء وفي هذا قرر القرآن في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾. وقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ الْإِنسَانِ حِينٍ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِلَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ لُعْلَفَةٍ أَمْشَاجٍ لِّيَبْلِيهِ فَجَعَلْنَا لَسَمِيْعًا بَصِيْرًا إِلَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيْلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُوْرًا﴾⁽²⁾.

فمؤهلات الإنسان الفطرية هي التي جعلته بحكمة الله تعالى في وضعية الابتلاء في مرحلة الحياة الدنيا واختبار إرادته، حتى يرى على حالة من الإسلام والشكر، أو العصيان والكفر، وأن صنيعه ذلك سوف يراه حين ينتقل إلى الحياة الآخرة يوم الحساب، قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽³⁾.

وعليه فمفهوم الحياة الشامل للدنيا والآخرة مقوم أساس من مقومات العقيدة الإسلامية وما ينبثق عنها من نموذج معرفي يهدي الإنسان للتي هي أقوم في تصور الحياة الدنيا والآخرة.

ومن أولى حقائق هذا التصور أن الحياة الدنيا ليست أبدية دائمة، بل إلى زوال، ففي قصة خلق آدم قبل النزول والاستقرار في الأرض، تقرر تلك الحقيقة، إن الحياة الدنيا مستقر ومتاع

(1) سورة الملك- الآية: 2.

(2) سورة الإنسان- الآيات: 1-3.

(3) سورة الزلزلة- الآيات: 7-8.

إلى حين، يصير بعدها الإنسان إلى الحياة الآخرة، إما إلى حنة وإما إلى نار قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽¹⁾.

وأما الحقيقة الثانية بخصوص الحياة الآخرة، إنها الحياة الباقية ومنتعها وخيراتها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وهي في ميزان الله تعالى ينبغي أن تكون الغاية المقصودة وتسخير الحياة الدنيا كلها من أجل الفوز برضوان الله ونعيمه فيها، ولذلك جاءت آيات كثيرة ترسخ هذه الحقائق في منهج الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾⁽²⁾.

وقال: ﴿بَلْ كُذِّبُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁽³⁾، ﴿كَلَّا بَلْ لِحَيَاتِنَا الْمَآجِلَةُ وَكَذَّبُوا بِالْآخِرَةِ﴾⁽⁴⁾، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَكَلَمَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾⁽⁵⁾.

إن تفضيل الآخرة على الحياة الدنيا عند الله واضحة في هذه الآيات، كما أن إنباط الإنسان للدنيا على الآخرة باذي المعنى واضح المعالم ونتائجه على مصير الإنسان في الآخرة وخيمة لا ريب في ذلك، ومن هنا كان التحذير للإنسان واضح في هذه الآيات وغيرها بأن يجعل الإنسان من الدنيا مبلغ علمه وأكبر همه.

(1) سورة البقرة - الآيات: 35-39.

(2) سورة الضحى - الآية: 4.

(3) سورة الأعلى - الآيات: 16-17.

(4) سورة القيامة - الآيات: 20-21.

(5) سورة التازعات - الآيات: 37-41.

وخلصة الأمر أن موقع الحياة الدنيا من الآخرة على ضوء ما سبق - أنها دار زائلة ومطية إلى الدار الباقية على الإنسان المؤمن أن يقف منها الموقف الذي بينه عز وجل في محكم تربيته وأن لا يتخذ الحياة الدنيا غاية تنسيه استعداده للحياة الباقية.

كما أن الله سبحانه لم يطلب من الإنسان الذي خلقه في الدنيا لاختباره أن يهمل الأرض ويحتقر شأنها، بل أمره بأخذ نصيبه منها الذي لا يطغيه، أو يتجاوز حدود الله فيعصيه بحبه للدنيا أو كفره بالآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ لِنَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ﴾⁽¹⁾.

«لقد خلق الله طبيات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتحدد، وتحقق خلافة الإنسان على هذه الأرض. على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها، والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنع، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها، فهو طاعة من الطاعات يجزى الله عليها بالحسن»⁽²⁾.

أما من جعل الدنيا غايته الأولى والآخرة واستكفى بما لاذها وشهواتها عن طلب الآخرة، فقد توعدده الله في الآجلة بعذاب أليم، إلا أنه وفاه حقه في العاجلة، وليس له بعد ذلك إلا النار. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا نُوْفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْعَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾.

ولقد ارتبط الاغترار بالحياة الدنيا عند الكافرين الذين استهزؤوا بالدين واتخذوه لعبا ولها⁽⁴⁾ قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَلْبِسُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا

(1) سورة القصص - الآية: 77.

(2) سيد قطب - في ظلال القرآن: 2711/5.

(3) سورة هود - الآيات: 15-16.

(4) محمد المبارك - النظرة الإسلامية إلى الكون والإنسان والحياة: 274.

وَعَرَّفَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَلْوَمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا⁽¹⁾ ومما يجب أن نخلص إليه من تصور متكامل للحياة الدنيا والآخرة ونزن نسبة الدنيا إلى الآخرة بميزان القسط والعدل ونسلم بحكم الله العليم في حقهما هو عين الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله هداية لعباده في الدنيا والآخرة.

وعند ذلك فالإنسان لما يمشي في الأرض يصنع ويحمل الحياة ويعمرها ويعمل فيها ونصب عينيه الالتزام بما ينحيه في الآخرة من عذاب الله، وإتباع منهجه في شؤونه كلها، هو الطريق الذي يحقق به غاية وجوده الإنساني في الخلافة في الأرض وإنشاء الحضارة الصحيحة الراشدة⁽²⁾.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) سورة الأعراف - الأيتان: 50-51.

(2) محمد قطب - لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهج حياة: 103.

المبحث الثالث: المعرفة ووحدة الحقيقة في النموذج المعرفي التوحيدي:

وبذلك تتبلور الرؤية المعرفية عن وحدة الحقيقة في النموذج المعرفي التوحيدي من خلال نظرة القرآن الكريم الخاصة إلى المفاهيم السابقة حول الدين، والفطرة، والقراءة، والعلم، والإيمان، والمعرفة والعمل، إلى جانب منظومة مقومات هذا النموذج المتمثلة في الكليات المتعلقة بحقيقة التوحيد وحقيقة الكون، وحقيقة الإنسان، وحقيقة الحياة، وما ينبثق عن هذه الحقائق من مقولات تحليلية تضبط التصور السليم لكل حقيقة ولطبيعة صلاحها المتداخلة والمتواشحة مع بعضها البعض في نسق محكم يميز عالم الغيب عن عالم الشهادة، حيث يعرف معه الحد الفاصل بين التوحيد والشرك على مستوى العقيدة، وتذكر على ضوئه أسس المعرفة ووحدة الحقيقة القائمة على قواعد: «التطابق المنطقي بين العقل والحقائق المطلقة والواقعية وما يأتي به الوحي...»⁽¹⁾.

ويعبر هذا التطابق للمنطقي على عناصر ممارسة الفعل المعرفي فيما يمكن تسميته "بالعقلانية الإسلامية" التي توأم بين مدركات العقل الإنساني وحقائق الواقع والوحي وفهم بعضهما بعض.

وتستند العقلانية الإسلامية منهجياً إلى عقيدة التوحيد التي تعني معرفياً أن «الله وحده هو الخالق، وهو الموحد لكل شيء، هو الفاعل لكل حادث، هو الغاية من كل شيء، هو الأول والآخر فإذا شهد الإنسان بشهادة "لا إله إلا الله" عن وعي وإيمان بمدلولها، أيقن أن كل ما يحيط به من حوادث طبيعية كانت أو اجتماعية أم نفسانية، كلها من فعل الله وتحقيق لغاية من غاياته... فإذا رأى الإنسان أمر الله في كل شيء وحادث، كان لا بد له من تبعه لأنه أمر الله فإذا تبعه في الطبيعة كانت العلوم الطبيعية، ذلك أن أمر الله فيها هو السنن التي فطرت عليها والتي لا تبدل لها، وإذا تبع غاية الله في نفسه أو في مجتمعه كانت العلوم الإنسانية والاجتماعية»⁽²⁾.

(1) إسماعيل واهي الفاروقي - أسلمة المعرفة: 72.

(2) إسماعيل واهي الفاروقي - جوهر الحضارة الإسلامية: 15-16.

1- مبدأ المعرفة ووحدة الحقيقة:

يرجع مدلول مبدأ المعرفة ووحدة الحقيقة في العقلانية الإسلامية إلى مبدأ وحدانية الله تعالى في حقيقتها الإيمانية، ولكي ندرك "وحدة الحقيقة" معرفياً من هذا المنطلق، لابد من معرفة القواعد الأساسية التي تبني عليها تلك الوحدة وهي:

القاعدة الأولى: رفض ما يخالف الحقيقة.

القاعدة الثانية: رفض استمرار المتناقضين.

القاعدة الثالثة: الانفتاح وتقبل الدليل المخالف.

القاعدة الأولى: رفض ما يخالف الحقيقة:

تفرض وحدة الحقيقة المطلقة في منظور الإسلام أنه لا يوجد تعارض بين حقائق الواقع، وما يأتي به الوحي على اعتبار أن مقررات الوحي بصدد الواقع لابد أن تكون منسجمة معه وموافقة له بحكم أن الواقع المشهود من صنع الباري عز وجل، وكذلك الوحي فمن تزيله، وبالتالي فإن البيان الإلهي بخصوص حقائق الواقع لا يتعارض مع معطياته الثابتة وهذه القاعدة تحمي العقل المسلم من الظن «أي من تكويرين أي ادعاء لا يسنده دليل أو إثبات، والقرآن الكريم صريح في وصف المعرفة غير المؤكدة أنها مثال على "الظن" أو للمعرفة المضللة التي يحظرها الله مهما كان هدفها ضئيلاً»⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَوْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾⁽²⁾.

وإذا حصل تعارض أو تفاوت بين الحقيقة الموحاة وحقيقة الواقع، فإن من واجب المسلم أن يتأمل ويدقق في فهمه للوحي، كما يستلزم الاستيثاق من صحة إدراكه لحقائق الواقع طبقاً لإيمانه بمبدأ وحدة الحقيقة⁽³⁾.

(1) إسماعيل الفاروقي وولاء الفاروقي - أطلس الحضارة الإسلامية: 136.

(2) سورة الحجرات - الآية: 12.

(3) المعهد العالمي للفكر الإسلامي - إسلامية المعرفة: 91.

القاعدة الثانية: رفض استمرار المتناقضين:

تنطلق هذه القاعدة- أيضا- من مبدأ وحدة الحقيقة المطلقة في منظور الإسلام وهي تقرر أن لا وجود لخلاف مطلق بين الوحي والعقل، وهي ترفض من ثمة استمرار التناقض بينهما، ولهذا يلجأ المسلم أثناء التناقض عليه إلى إعمال العقل وإمعان النظر فيه كي يكشف ما من شأنه أن يزيل التناقض، كما يستدعي الأمر- ذاته- رجوع قارئ الوحي إلى الوحي ويتمعن فيه من جديد ما قد يوصله إلى ما غاب عنه من معنى يساعده على رفع التعارض بين الوحي والعقل لأن «استمرار المتناقضين نهائيا لا يتقبله إلا ضعيف العقل. إنما المسلم المتعقل هو الذي يصر على اتفاق مصدرَي المعرفة»⁽¹⁾، ولا يعني التعقل هنا تقدم العقل على الوحي، بل يعني رفض أي تناقض أساسي بينهما⁽²⁾.

القاعدة الثالثة: الانفتاح وتقبل الدليل المخالف:

إن وعي العقل المسلم بوحدة الحقيقة المطلقة أو طبيعة القوانين والسنن الإلهية التي خلق الله الخليفة عليها مجال واسع في طلب للمعرفة الإنسانية، لا يتهي ولا يقبل الغلق «وذلك لأن سنن الله في خلقه غير محدودة فمهما عرفنا منها ومهما تعمقنا في هذه المعرفة، فلا يزال هناك دائما المزيد منها ليكتشف»⁽³⁾.

فكلما تقدم الإنسان الباحث عن الحقيقة في ملكوت الله ظل حكمه على الأشياء مؤقتا، غير أنه يظل صالحا، حتى تأتي أدلة جديدة تمحص أيلولته إلى الشك أو التفتيد أو تأكيد صحته⁽⁴⁾.

وبهذا يسمح هذا للموقف المرن للعقلانية الإسلامية من الانفتاح على الرأي الآخر والدليل للمخالف انطلاقا من مبدأ وحدة الحقيقة المطلقة الذي يحمي العقل للمسلم من السطحية والتنطع الفكري لأنه يعرف يقينا بأن الحقيقة في صورتها النهائية أكبر من أن يلزمها بحكم نسبية للمعرفة

(1) إسماعيل راسي الفاروقي- جوهر الحضارة الإسلامية: 13-14.

(2) إسماعيل الفاروقي والمياء الفاروقي- أطلس الحضارة الإسلامية: 136

(3) إسماعيل راسي الفاروقي- أسلمة المعرفة: 73.

(4) المعهد العالمي للفكر الإسلامي- إسلامية المعرفة: 93.

في إطار الجهد الإنساني، ولهذا فالباحث المسلم يختم عمله العلمي دوماً بقوله: «والله أعلم»
 وقال تعالى: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾ وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.
 فكل عالم يوجد من هو أعلم منه لي أن ينتهي العلم في كماله إلى عالم الغيب
 والشهادة⁽³⁾ سبحانه وحسبنا أن نقتدي بأعد الكائنات بالله تعالى وهم الملائكة والرسل ونقول
 كما قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁴⁾.
 وفي إطار هذه الرؤية المعرفية للنموذج المعرفي التوحيدي، نتناول بالبحث والدراسة
 حقلاً معرفياً ظل موحداً منذ أمد بعيد أمام العقل المسلم، وهو حقل فلسفة الدراسات الإنسانية
 والاجتماعية، مع أنه مجال أصيل وخصب وله جذوره الضاربة في عمق الوحي الرباني الذي
 يرعى حركة الإنسان في التاريخ. وسيتقصر البحث على البعد الاجتماعي والسياسي لعقيدة
 التوحيد، حيث يتوخى أهدافاً تعتمد التأصيل والتعبير عن المفاهيم الاجتماعية السياسية الذاتية
 للإسلام، كما يسعى إلى ترشيد الحياة الاجتماعية السياسية العملية الواقعية التي تتجه نحوها
 حركة الأمة مستقبلاً في دورة حضارية جديدة بإذن الله.

(1) سورة الإسراء- الآية: 85.

(2) سورة يوسف- الآية: 76.

(3) عبد الرحمن بن ناصر السعدي- تفسير الكرم الرحمن: 426.

(4) سورة البقرة- الآية: 32.

الفصل الثاني

البعد الاجتماعي لعقيدة التوحيد

المبحث الأول: تصور الحياة الإنسانية وغاياتها في الفلسفة المادية.

المبحث الثاني: تصور علاقات الحياة الإنسانية وغاياتها في الرؤية القرآنية.

المبحث الثالث: طبيعة الحياة الاجتماعية الإنسانية في القرآن.

المبحث الرابع: نشأة المجتمع الإنساني.

المبحث الخامس: مقومات المجتمع الإسلامي.

المبحث السادس: خصائص المجتمع الإسلامي.

المبحث السابع: أسس بناء النظام الاجتماعي الإسلامي.

تمهيد:

يهدف هذا الفصل إلى التبصير بالبعد الاجتماعي للتوحيد المعبر عن وصل العقيدة الإسلامية بمفاهيم الحياة الإنسانية العامة، وبناء شبكة العلاقات الاجتماعية بين الإنسان وأخيه الإنسان على أسس العدل والإحسان وهذا الوصل بين عقيدة التوحيد وشعب الحياة الإنسانية العامة ليست ابتداعا أو اختراعا في الدين، وإنما هي طبيعة الدين الإسلامي وبنيتة العقدية والتشريعية والأخلاقية تقتضي أن تصطبغ الحياة الإنسانية بصبغته وتنتهج نمجه القويم. ولا أدل على ذلك من أن التكاليف الشرعية في مخاطبة المؤمنين معظمها جاء بصيغة الجمع كما جاء بصيغة الأفراد. حيث أن جوهر للممارسة الدينية القائمة على التوحيد في الإسلام تأتي الفصل المصطنع بين جوانب الحياة على مستوى الفرد والجماعة نظريا وعمليا.

هذا فضلا عن أن الإسلام- الوحي- هو المنهج الرباني الشامل الذي يستجيب للفطرة الإنسانية بأبعادها المادية والروحية الفردية والاجتماعية، الاقتصادية والتربوية السياسية والفنية، ودينها القيم على الحياة في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿قَالِمٌ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنِ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾

غير أن واقع صلة المسلم للعاصر بدينه القيم واهية ومتباينة مع النموذج المثالي للحياة المهنية بالإسلام، ويرجع شطر من هذه المفارقة بين الحق وبين حياة المسلمين الحالية إلى تخليهم التدريجي عن دينهم من ناحية، ويعود الشطر الباقي إلى التبديل الثقافي وغزو مفاهيم وتصورات الغرب المادية لمنظومة حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية وما يتصل بها من مبادئ وقيم تتناقض مع الإسلام كليا أو جزئيا.

ولهذا يسعى هذا الفصل إلى بلورة مفاهيم الحياة العامة في الإسلام وحصر مقوماتها الفلسفية من منظور النموذج المعرفي التوحيدي حتى يتبلور نمط الحياة الاجتماعية الذي يقسدر

(1) سورة الروم- الآية: 30.

على تحقيق غايات الإسلام ومقاصده في الواقع الإنساني وتنظيمه تنظيمًا يكفل له الرشد في جميع المجالات ويحميه من الاختراق الثقافي والغزو الحضاري، ويسمو به إلى أفق تصورات العقائد الإسلامية الإيجابية في مجال العلاقات الإنسانية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: تصور الحياة الإنسانية وغاياتها في الفلسفة المادية:

أولاً: التصور الغربي العام للوجود:

لقد كان تصور الحياة الإنسانية في ضوء الفلسفة المادية والعلوم الإنسانية الحديثة النشأة في الغرب فرعاً عن التصور الغربي العام للوجود الذي ما برح منذ عصر النهضة الأوروبية يخضع لسלטان العلم التجريبي، لأن كل حضارة إنسانية في التاريخ تقوم على تصور عام للوجود، وتبعاً لذلك التصور يفهم كل شيء فيها ويقيم⁽¹⁾.

وتتشكل عناصر أي تصور عام للوجود من كليات أو حقائق كبرى، يمكن حصرها في: الرؤية إلى الله، والكون (الطبيعة)، والإنسان، والحياة.

وتتميز التصورات المختلفة العامة للوجود عن بعضها البعض في عدة وجوه:

- تتميز عن بعضها أولاً بسبب اختلاف المصدر هل هي من مصدر الوحي الرباني للمبرأ من الخطأ، المتكامل في عناصره، التام في بنيته المتوازن في علاقاته كما هو حال التصور الإسلامي العام للوجود، أم أن مصدرها غاية التصورات الإنسانية العقلية والحسية أو الحدسية وتجارب الإنسانية في التاريخ ما صفا منها وما كدره، كما هو حال التصور الغربي العام للوجود في التجربة الأوروبية الحديثة الذي عانى من اضطرابات في تكوينه وفي مصادره، إذ استند قبل عصر النهضة إلى مرجعية فلسفية مادية وثنية مع اليونان والرومان، ثم إلى مرجعية دينية محرفة مع الكنيسة المسيحية، وإلى مرجعية إنسانية عقلية مادية وضعية بعد عصر النهضة، وإلى مرجعية علمية مادية علمانية جزئية وشاملة، وهو ما يعرف اليوم في الغرب بعصر ما بعد الحداثة، يكون معها «الانتقال من عالم متماسك فيه معيارية (حتى لو كانت مادية)، إلى عالم مفكك بلا معيارية، هو الانتقال من عصر التحديث (والحداثة)، إلى عصر ما بعد الحداثة»⁽²⁾.

وعلى هذا الأساس تختلف التصورات في ترتيب عناصرها طبقاً لمصادرها، فتثبت أصولاً وتلغي أخرى، أو ترفع مكانة عنصر وتزله تارة أخرى. وتنشأ علاقات العناصر وترتبط ببعضها بناء على سلم القيم في نسقها العام.

(1) روبرت. م. آخروس، وهورج. ن. ستانلي - العلم في منظوره الحديث: 15.

(2) عبد الوهاب المسوي - العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: 385/2.

1- عناصر التصور الغربي العام للوجود:

لقد حصر الغرب تصوره العام للوجود بعد عصر النهضة في عناصر محدودة، تمثلت في: الطبيعة، والإنسان والحياة، وأن فهم الطبيعة ومكوناتها وسننها وأحداثها وإدراك حقائقها أمور لصيقة بما لا تتعداها ولا تطلب من خارجها.

وذلك لأن الطبيعة قد وجدت هكذا بنفسها من غير موجد أو خالق لها. وهي تسير وفق قوانين ذاتية من دون مقدر أو منشي لسننها ويمكن للإنسان أن يتعرف عليها بوسائله الخاصة كلما أمعن في دراستها وسر أغوارها بعقله وأدوات الحس فيه.

وأما عن حقيقة الإنسان في هذا التصور، فهو جزء لا يتجزأ من الطبيعة ونسوع من أنواعها، بل هو مجرد حيوان اجتماعي مفكر تحركه غرائز. نفسية ذات طبيعة مادية

وأما ما يميز الإنسان من قيم معنوية سائدة في محيطه الاجتماعي، ومثل أخلاقية وحقوقية وجمالية تحكم علاقاته الإنسانية ما هي إلا حوادث كالحوادث الطبيعية نشأت مثلها في المحيط الطبيعي الإنساني ثم تطورت فهي ليست ثابتة.

وما مظاهر النمو والتطور والتغير والحركة في ذوات مكونات الطبيعة من نبات وحيوان وإنسان وجماد وطاقة وما يكتنفها من علاقات أو ارتباطات إلا تعبيراً عن الحياة وقوانينها الطبيعية لا غير⁽¹⁾.

ولا مرأى في أن التصور الغربي العام للوجود بمفاهيمه تلك، يستبطن خلفية عقديّة ورؤية كونية تمتد جذورها إلى عمق النظام القديم في الفيزياء الحديثة، وهو "نظام نيوتن" وما قبله. وقد عرفت تلك الرؤية الكونية المنبثقة عن النظام القديم بالمادية العلمية التي تؤكد أن لا وجود إلا للمادة، وأن الأشياء جميعاً قابلة للتفسير بلغة المادة فحسب، وهكذا يتحتم أن تكون حرية الاختيار وهما من الأوهام مادامت المادة غير قادرة على التصرف الحر.

(1) محمد المبارك - بين التناقض الغربية والإسلامية: 99.

ولما كانت المادة عاجزة عن أن تخطط أو تهدف إلى أي شيء، فلا سبيل إلى العثور على حكمة وراء الأشياء الطبيعية، بل إن العقل ذاته يعتبر نتاجاً ثانوياً لنشاط الدماغ»⁽¹⁾.

ورغم أن تطور العلم في الكونيات والفيزياء الذرية - خاصة - قد أدى بعد اكتشاف نظرية النسبية عند انشأتين في بداية القرن العشرين إلى انتقال العلم من النظرة القديمة مع نيوتن إلى النظرة الجديدة التي أبطلت مقومات النظام القديم، إلا أن الغرب بقي على سعيد الرؤية الكونية والتصور العام للوجود يتأرجح بين النظرة العلمية القديمة والنظرة العلمية الجديدة، على حد تعبير مؤرخ الحضارات المعاصر thomas berry إذ يقول: «فالقضية كلها قضية نظرية، ونحن الآن بالذات نواجه مشكلة لأنه ليس لدينا نظرة مقبولة، فلا النظرة القديمة تؤدي دورها على الوجه السليم، ولا نحن تعلمنا النظرة الجديدة»⁽²⁾.

ثانياً: معنى الحياة الإنسانية وغاياتها في الفلسفة المادية:

أدى المفهوم المادي للإنسان في ضوء منظومة التصور الغربي العام للوجود إلى اعتبار الإنسان جزءاً لا يتجزأ من العالم المادي الطبيعي، خاضعاً لقوانينه كغيره من الكائنات الأخرى، ولا يملك أن يتجاوز الضرورات المادية للحياة، وبالتالي فلا معنى لحياته، ولا غاية تتجاوز مطالبه المادية وضرورات البقاء، وقد كانت هذه الرؤية المادية للإنسان محصلة التطور التاريخي في الفكر الغربي التي انطلقت مع أول فلاسفة الغرب في القرن الخامس قبل الميلاد، وهم السوفسطائيون في أثينا، الذين وضعوا مبدأ أخلاقياً مادياً يتمحور حول مادية الإنسان وهو أن «الخير يتحدد مع امتلاك الرغبات الجامحة وامتلاك الوسائل لإشباعها»⁽³⁾ هذا المبدأ الذي يميز فلسفة للمذاهب الاجتماعية في المجتمعات الغربية الحديثة الذي يقوم على التخلي عن عقيدة التسامي والوحدانية في الإيمان بالله تعالى، واستبعاد القيم المطلقة من الحياة، وتقرير تقديس استكفاء الإنسان واستغناؤه عن الله وهدايته، والعلو بالفردية فوق جماعية الأمة، وقد عبر الفكر الغربي عن

(1) روبرت. م. آخروس، وجورج. ن. ستانلي - العلم في منظوره الجديد: 15.

(2) روبرت. م. آخروس، وجورج. ن. ستانلي - العلم في منظوره الجديد: 15.

(3) رجاء جارودي - كشف حساب الفلسفة الغربية في هذا القرن: 632.

«الاستكفاء» أو الاستغناء منذ عصر النهضة في قوله «فاوست» للكاتب مارلو: «أيها الإنسان: بعقلك القادر تصبح إلهًا، تصبح سيد العناصر جميعًا ومهيمنًا عليها»⁽¹⁾.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) رجاء حارودي - ميشال رجاء حارودي - ميشال إشبيلية: 10.

المبحث الثاني: تصور علاقات الحياة الإنسانية وغاياتها في الرؤية القرآنية:

تضطلع الرؤية القرآنية- أولا- بمهمة حصر عناصر التصور الإسلامي العام للوجود في:

الله سبحانه وتعالى والإنسان والكون والحياة الدنيا والآخرة. كما عرضت سابقا،

وتحدد- ثانيا- نماذج العلاقات التي تربط بين هذه الأطراف جميعا على النحو الآتي⁽¹⁾:

أولا: العلاقة بين الله الخالق وبين الإنسان هي: علاقة عبودية.

ثانيا: العلاقة بين الإنسان وبين الكون هي: علاقة تسخير.

ثالثا: العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان هي: علاقة عدل وإحسان.

رابعا: العلاقة بين الإنسان وبين الحياة هي: علاقة ابتلاء.

خامسا: العلاقة بين الإنسان وبين الحياة الآخرة هي: علاقة مسؤولية وجزاء.

ويستفاد للإنسان فردا أو جماعة وأمة من مجمل إنفاذ هذه العلاقات وبناء نسيج شبكية العلاقات الاجتماعية من خيوطها، الارتقاء بإنسانية الإنسان إلى الصلاح والإصلاح والقيام بمسؤولياته وإنجاز مهام الخلافة والعمارة وأداء الأمانة والرفاء والتطلع من ثم إلى السعادة في الدنيا والفلاح في الدار الآخرة.

وقد تم عرض حقيقة عناصر التصور الإسلامي العام للوجود تفصيلا في مبحث مقومات النموذج المعرفي التوحيدي في الفصل الأول، إلا أن بيان طبيعة العلاقات بين عناصر هذا التصور وتميزها عن بعضها ومعرفة تداخلها وتكاملها لتكون نمط الحياة الإسلامية في كنف الرؤية التوحيدية القرآنية على مستوى الفرد والجماعة والأمة تحقيقا للمقاصد العليا الشرعية للإسلام في التوحيد والتزكية، وال عمران، هي المنطلق الذي يجلي الصورة الحقيقية لذاتية الإسلام الأصيلة في تفسير الوجود وتغيير النسب بين الأشياء والعلاقات على مستوى الزمان والمكان وتربية الإنسان النموذج والأمة الخيرة، أو الأمة القطب، لبناء الحضارة وال عمران والإصلاح في الأرض.

(1) ماعد حرسان الكيلاني- فلسفة التربية الإسلامية: 83.

أولاً: العلاقة بين الله الخالق وبين الإنسان هي: علاقة عبودية.

من المسلمات البدئية في عقيدة التوحيد أن الله تعالى رب كل شيء ولا رب غيره، وهو رب الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم على السواء قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁽¹⁾.

1- العبودية الضرورية والعبودية الاختيارية:

ومن مفاهيم أصول الإيمان المتعلقة بركن القضاء والقدر، أن الناس يخضعون في حركة حياتهم الوجودية إلى ضربين من السلوك التعبدية في مزاولة أنشطتهم اللاإرادية والإرادية.

الضرب الأول: ويشمل الأعمال الخارجة عن سلطان التحكم الإرادي للناس والكائنات المختلفة ومن ثمة فلا مسؤولية تكليفية أو جزائية تطالبهم جراء القيام بتلك الأعمال مثل:

«أصل وجودهم، نمو أجسادهم، حركة خلاياهم، القبض والبسط في قلوبهم، الأعمال العجيبة المدهشة التي تقوم بها أجهزة الكبد الطحال الرئة الكلى الأمعاء والأعصاب وغير ذلك»⁽²⁾.

وجعل هذه الأعمال لا تتوسط فيها إرادة الإنسان أو الكائن المخلوق بل جميعها خاضع لقدرة الله وقضائه بشكل مباشر ويندرج في هذا النوع من العبادة الضرورية الجبرية للرب جل جلاله سائر المخلوقات في الكون التي لا تملك في مسارها الوجودية إرادة ما في أداء الفعل أو الامتناع عنه، كما هو حال النجوم والمجرات الدائبة الحركة في نظام محكم لا تنفك عن إتباعه، وكذا بنية الذرة وحركة كهارجها، ونمو الخلايا وانتظام مكوناتها وما إلى ذلك من أشكال مكونات الطبيعة والحياة التي تسير مسوا جبرياً.

وأما الضرب الثاني: فهو «العبودية الاختيارية» هذه العلاقة بين العبد والله تعالى تتوسطها إرادة الإنسان الحرة بتقدير الله الذي جعلها في فطرة الإنسان تلازمه في حياته وأفعاله وعلاقاته بينه وبين الله عز وجل، وبينه وبين نفسه وبينه وبين محيطه الاجتماعي الطبيعي.

(1) سورة الصافات - الآية: 2.

(2) عبد الرحمن حسن حبيكة المهدي - اجلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة: 170.

وعلى قدر توظيف الإنسان لإرادته الاختيارية في علاقاته وفق مراد الله تعالى بالجواز الأعمال والحركات الظاهرة والباطنة التي إن شاء عملها وإن شاء تركها بما يحض إرادته واختياره، يتحقق بالعبودية الاختيارية التي تستلزم المسؤولية والجزاء، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

وإن موهل الإرادة الاختيارية التي زود الباري تعالى بها فطرة الإنسان جعلته في موقع المبثلي أو المتحن خلال عمره المقدر له في هذه الحياة الدنيا. أي الأعمال سيعمل كي يحقق عبوديته الاختيارية لربه فيكون من المؤمنين الشاكرين الذين ينالون بفضل الله جزاء النعيم المقيم. وأما من سخر إرادته الحرة في رحلة امتحانه نحو رفض "العبودية الاختيارية" وتمرده على ربه واستكباره في الأرض رغم ما يتمتع به من مسخرات في نفسه وفي محيطه الإنساني والكوني، وهي من عطاء ربك، فإن هذا النوع من الناس الجاحد لأفضال الله الكافر بأنعمه ليس أهلا للمنحة العظيمة التي منحه الله إياها، وهي منحة الإرادة الحرة ومنحة تسلط على الكائنات في ذاته وفي الكون من حوله، فحسبه جهنم يساق إليها يوم الدين، مجبورا مضطرا⁽¹⁾.

بهذا القدر من البيان يتضح الفرق بين نوعي العبودية الضرورية والعبودية الاختيارية في حق الإنسان الذي جاء به الله عز وجل إلى الحياة الدنيا ليختاره في أعماله التي يقوم بها بمحض إرادته واختياره الحر. قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾.

فالغاية من خلق الحياة والموت بالنسبة للجن والإنس هي ابتلاء واختبار الإرادة الحرة فيهم بطلب الرب عز وجل من عبادته المتحنين عبادتهم له وحده.

ومن الآيات القرآنية الدالة على مطلوب الله عز وجل من المتحنين أن يعبدوا ربه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنْ أَلَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁽³⁾.

(1) عبد الرحمن حسن شبكة الميطان - ابتلاء الإرادة...: 172 وما بعدها.

(2) سورة الملك - الأيات: 1، 2.

(3) سورة النازعات - الأيات: 56-58.

«فاللام في عبارة (ليعبدون) ليست تعليلية لبيان الغاية من الخلق بل هي لبيان المطلوب في رحلة امتحان المخلوقين لغاية امتحانهم ولو كانت هذه اللام للتعليل ولبيان الغاية من الخلق ما استطاع أحد من الجن والإنس أن يعصي الله في شيء لأن مراد الله يستحيل أن يتخلف.

إن مراد الله هو امتحانهم وهذا قد تم وتحقق، ومراد الله في أن يطلب منهم أن يعبدوه قد تحقق، فقد شرع لهم الشرائع، ووضع لهم الأحكام، ووجه لهم مطلوبه منهم وبلغهم شرائعه وأحكامه ووصاياه في كتبه وعلى السنة رسله.

وأراد الله أن يكشف بالامتحان إيمان الصادقين وإسلام الطائعين المنقادين وكفر المجرمين ومعاصي الفاسقين ومراد الله فيهم يجري تحقيقه على الوجه الأمثل، لا يتخلف منه شيء.

فكفر الكافرين ومعاصي العصاة أمور تخالف مطلوب الله فيهم ولا تخالف مراد الله فيهم إذ مراد الله امتحانهم لكشف أحوالهم الإرادية في دائرة عبوديتهم الاختيارية له وهذا المراد يتحقق على الوجه الأمثل بطاعة من يختارون لأنفسهم الطاعة، ومعصية من يختارون لأنفسهم المعصية»⁽¹⁾.

وقد جر الفهم الخاطئ لمعنى اللام في (يعبدون) عند الكثير ممن يعتبرون اللام تعليلية لبيان الغاية من خلق الجن والإنس هي العبادة في حين أن الغاية من الخلق حسب آيات سورة الملوك وغيرها في القرآن هي: الابتلاء.

وأما العبادة فهي مطلوب الله تعالى من الممتحنين عند الابتلاء أو الامتحان في رحلة الحياة الدنيا والعبادة المطلوبة في سورة الذاريات هي من النوع الثاني أي العبادة الاختيارية ولذلك كان الناس بإزائهم بين مؤمن وكافر ومطيع وعاص في تجربة الحياة العملية.

وكان معنى العبادة في اللغة «كمال الطاعة لكمال المحبة» أي تعبير العبد عن صلة قلبية بمن يعبده بأفعال ظاهرة وباطنة وحميمية تبلغ درجة الكمال.

(1) عبد الرحمن حسن حنكة المبعوث - ابتلاء الإرادة... 50 وما بعدها.

وحسب هذه المعاني دلت العبادة اصطلاحاً على أنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأفكار والمشاعر والعواطف في حياة الأفراد والجماعات، وفي جميع الميادين الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغير ذلك»⁽¹⁾.

ولذلك اتفقت مهمة رسل الله جميعاً على دعوة من بعثوا فيهم إلى عبادة الله عز وجل وحده كما دلت على ذلك دعوة كل رسول أرسله الله إلى قومه، فكان أول ما يدعوهم إليه هو توحيد الله لا إله إلا هو.

قال الله عز وجل مخاطباً الرسول ﷺ بشأن دعوة من سبقه من الرسل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽²⁾.

و بنفس الدعوة توجه خاتم الأنبياء والرسل إلى الناس كافة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾⁽³⁾.

2- فطرية العبادة: فضلاً عن ذلك فإن العبادة فطرة في النفس الإنسانية وحاجة تترع بمقتضاها إلى التأله أو التبعيد في كل أحوالها بالحق أو بالباطل، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَالثَّوْرَةَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁴⁾.

و قال عن فطرية العبادة في النفس الإنسانية: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾⁽⁵⁾.

«صبغة الله، أي: فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالإنسان مدفوع بفطرته إلى العبادة»⁽⁶⁾.

(1) ماجد حرسان الكيلاني - فلسفة التربية الإسلامية: 85.

(2) سورة الأنبياء - الآية: 25.

(3) سورة البقرة - الآية: 21.

(4) سورة الروم - الآيات: 30، 31.

(5) سورة البقرة - الآية: 138.

(6) عبد الرحمن حسن حبيكة الميفاني - ابتلاء الإرادة...: 217.

3- العبادة حق الله على العباد: تتضمن المعاني السابقة عن وحدانية الله في ربوبيته

التي تعني تفرده سبحانه بالخلق والملئق والرزق والإحياء والإماتة والحساب والجزاء لعباده من الجن والإنس يوم الدين بحيث يكون وحده حقيقا بالعبادة ولا يجوز توجيهها لغيره مطلقا مادام هو الرب ولا رب غيره في الوجود، «إذ توجيهها لغير الله إما كفر به كفرا كلياً، وإما كفر به كفرا جزئياً وهو ما يسمى شركاً في إلهيته، أو في إلهيته وربوبيته معا»⁽¹⁾.

ويؤكد هذه الحقيقة حديث رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ؓ فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عنه، قال: [«بيننا أنا رديف النبي ﷺ، ليس بيني وبينه إلا آخرة الرجل فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ» قلت: «لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ قلت: «لبيك رسول الله وسعديك.

قال: «هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: «الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك. فقال: ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟». قلت: الله ورسوله أعلم قال: «حق العباد على الله أن لا يعذبهم»]⁽²⁾.

هذا الحق الإلهي على العباد هو توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، هو العلاقة أو الرابطة الإيمانية التي يمتحن الله بها الثقلين، وهي علاقة عرضة لأن تحترق وتفسد عند الإشراك أو الزيغ العقدي بأي شكل من أشكال الضلال وفساد الاعتقاد.

ثانياً: العلاقة بين الإنسان والكون: علاقة تسخير.

التسخير لغة: «سخر: السين، والخاء، والراء، أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستدلال، من ذلك قولنا سخر الله عز وجل الشيء وذلك إذا دَلَّه لأمره وإرادته، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾⁽³⁾. ويقال رجل سُخِّرَ: يسخر في العمل....»⁽⁴⁾.

(1) عبد الرحمن حسن حنكة المبدأ - ابتلاء الإرادة: 216.

(2) صحيح البخاري - كتاب اللبس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، حديث رقم: (5622)؛ 2224/5.

(3) سررة الجاهلية - الآية: 13.

(4) ابن فارس - معجم مقاييس اللغة: 592/1.

و قد سبق في بيان حقيقة الإنسان وحقيقة الكون من مبحث النموذج المعرفي التوحيدى أن الله تعالى خلق الكون على نظام قابل للتسخير وتقبل فاعلية الإنسان فيه، وخلق الإنسان على نحو يقدر معه على تسخير الكون. بموجب خصائصه الفطرية: من علم وقدره وإرادة وحاجة إلى الانتفاع بالمسخرات في حياته الدنيا⁽¹⁾.

و بهذا صار الكون رهن إرادة الإنسان يتصرف فيه لتوفير غذائه وحاجاته وراحته.

وتتنوع أشكال التسخير للمخلوقات بتنوع ذواتها، من تسخير مباشر كما في حالة الغذاء والمتعة، أو تسخير غير مباشر حينما يسخر الله تعالى حسب سنته في خلق الشمس والماء والهواء والأرض، كي تمد الإنسان بما تقوم به حياته من احتياجات البقاء والاستمرار إلى أجل مسمى. وبالتدبير مليا في مطالب الإنسان وما به يستمر في الحياة وبالنظر إلى مفردات الخليفة وما تستجيب لتسخيره به لتلك المطالب والحاجات بعينها نلاحظ أن الخليفة مملكة من المقاصد والغايات تتكامل فيها مفردات الكائنات وتتساند في نظام محكم «لقد شاء الله تعالى أن تكون العلاقات والأسباب والغايات المتبادلة بين مفردات الخليفة هي مادة هذا التسخير، وبتوفا لا يكون للتسخير حدود ولا معنى»⁽²⁾.

ولما كانت الخلافة الإنسانية في الأرض بمقتضى الجعل الإلهي هي الغاية الابتلائية من الوجود الإنسانى زوده الله تعالى بوسائل تحقيق هذه المهمة في نفسه ومحيطه الاجتماعى والكونى وقد دل التاريخ والواقع المشهود على هذه الحقيقة في تجارب الإنسان الحضارية، بما قرره قوله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾⁽³⁾.

ومن هنا تعتبر العلاقة بين الإنسان والكون علاقة تسخير، والإنسان فيها عبد لله وسيد في الكون المسخر والمدلل له بأمر الله، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَنْشُوا فِي مَنَاقِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ﴾⁽⁴⁾.

ثالثا: العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان: هي علاقة عدل وإحسان.

(1) جودت سعيد- رياح التغيير: 136.

(2) المعهد العالى للفكر الإسلامى - إسلامية المعرفة: 88.

(3) سورة البقرة- الآية: 286.

(4) سورة الملك- الآية: 15.

لا تقتصر علاقات الإنسان في حياته الدنيا على علاقة العبودية بربه، أو علاقة التسخير للكون فحسب، وإنما تمتد علاقاته إلى أخيه الإنسان الذي يولف معه حياته الاجتماعية في صورها الأولى، كالأُسرة مثلاً أو جماعة العمل أو المجتمع، وهي كلها دوائر احتكاك يقسم فيها الإنسان علاقات شتى تساعد على الاعتماد على غيره في حصوله على حقوقه وأداء واجباته، وتمتعه بنعم الحياة وتبادل المنافع المادية والمعنوية مع وسطه الإنساني والاجتماعي، فيتشكل بمقتضى تلك الصلات والشائج بين الإنسان وأخيه الإنسان إما حيف وطغيان وهذا ما نبه إليه الوحي وحذر منه الإنسان في أول ما نزل من القرآن قال الله تعالى: ﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا طَغِيًّا﴾ (1). وإما عدل وإحسان، وهذا ما أمر الله به الإنسان في كل الأحوال، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (2).

«والعدل معناه: الإنصاف أما الإحسان فمعناه: التفضل والزيادة في المعاملة الحسنة» (3).

وقد جعل القرآن العدل هو الحد الأدنى الذي تقوم عليه علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وألا يتظالم الناس ولو كان بينهم خصومات وشحناء وأمروا أن يفضوا نزاعاتهم على أساس العدل، وأن لا يزلوا عن حده.

حين تهيج النفوس وتفقد صوابها فتميل إلى إتباع الهوى ومظنة التحيز. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (4).

والعدل كقيمة إيمانية اجتماعية ووشيجة إنسانية هي القسط والإنصاف بين الناس بغض النظر عن صلة القرب أو البعد منهم، أو كونهم كافرين أو مؤمنين.

ولا يحمل الإنسان المؤمن بغض قوم أن يحيف عليهم، كما يفعل من لا عدل عنده ولا قسط، بل «اعدلوا هو أقرب إلى التقوى» «أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل

(1) سورة العلق - الآية: 6، 7.

(2) سورة النحل - الآية: 90.

(3) ماخذ هرمان الكيلاني - فلسفة التربية الإسلامية: 143. وانظر: علي عزت بيحوفيتش - الإعلان الإسلامي: 70.

(4) سورة المائدة - الآية: 8.

به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فمجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، جزاء عاجلا، وآجلا⁽¹⁾.

وتمد مساحة الأمر بإقامة العدل لتغطي مجالات الحياة الإنسانية بكاملها:

فعلى مستوى الفرد مع نفسه، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾⁽²⁾.

وفي دائرة الأسرة وبناء علاقتها على العدل، قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾⁽³⁾، أي بناء رابطة التعدد في الزواج على العدل بين الزوجات.

وتمد الأمر بالعدل ليشمل دوائر النفس والأسرة والأقرباء في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرَضُوا فَلِإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽⁴⁾.

وباتساع دائرة الاجتماع إلى الأمة خوطب الفرد أو الجماعة الذين لهم علاقة بها أن يقيموا العدل فيها ويقسطوا، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَسَادًا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽⁵⁾ ثم جاء الأمر الإلهي ليعم الدائرة الإنسانية كافة بقيمة العدل بلا استثناء في كل الظروف والأحوال. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾⁽⁶⁾ وقال أيضا: ﴿لِلذَّكَاءِ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا

(1) عبد الرحمن بن ناصر السعدي- تفسير الكرم الرحمن: 224. وانظر: محمد نجيب أبو عحوة- المجتمع الإسلامي: 69 وما بعدها.

(2) سورة النساء- الآية: 135.

(3) سورة النساء- الآية: 3.

(4) سورة النساء- الآية: 135.

(5) سورة الممتحنات- الآية: 9.

(6) سورة النساء- الآية: 58.

أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ^(١).

وتأتي علاقة الإحسان متممة لعلاقة العدل بين الإنسان وأخيه الإنسان حين تخلو العلاقات بين الناس من الإحن والخلافات الحادة، فعلاقة الإحسان أعلى درجة من مستوى العدل «والإحسان هو العلاقة المطلوبة حين تكون علاقة الإنسان بالإنسان مباشرة لا وسيطا بين طرفين آخرين، فالإحسان هو العلاقة التي يجب أن تربط الحاكم بالمحكوم، والغني بالفقر، والعالم بالجاهل، والقوي بالضعيف، والرئيس بالمرؤوس، والمقيم بالمسافر، والزوج بالزوجة، والولد بالوالدين»^(٢).

كما تتسع دائرة الإحسان في كتاب الله لتشمل: النفس، والأسرة، والأقارب، والأمة وسائر الناس، وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ﴾^(٣)، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٤).

ومن هنا تكون علاقة العدل الإحسان من الروابط الاجتماعية والقيم الإيمانية التي أمر بها التوحيد لإقامة الحياة الإنسانية الراشدة كي يستفيد منها في المجتمع الإسلامي المؤمن وغير المؤمن ماديا ومعنويا سواء بسواء.

^(١) سورة الشورى - الآية: 15.

^(٢) ماجد عرسان الكهلاني - فلسفة التربية الإسلامية: 148.

^(٣) سورة الإسراء - الآية: 7.

^(٤) سورة البقرة - الآية: 83.

رابعاً: العلاقة بين الإنسان والحياة هي: علاقة ابتلاء.

من القضايا الجوهرية في الرؤية التوحيدية القرآنية للإنسان أنها حددت بدقة الغاية من خلقه في الحياة الدنيا وحصرتها في مفهوم الابتلاء، وأن مدار حياة الإنسان هي امتحان إرادته بالإيمان والإسلام والعبادة حتى يعود إلى الله تعالى فيحاسبه على أعماله ويجزيه الجزاء الأوفى.

قال الله تعالى في بيان الغاية من خلق الحياة والموت بالنسبة للإنسان: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽¹⁾، وقد جعل اختبار إرادة الإنسان وأعماله في نوعين من الابتلاء بالشر والخير، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَكَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾⁽³⁾.

ويرتبط ابتلاء الإنسان في حياته باختباره على مستوى عبوديته لله تعالى، وعلى مستوى جهوده في معرفة سنن الله الكونية وتسخيرها في العمارة والشهود الحضاري، كما يشمل اختباره في مدى القدرة على بناء العلاقات الاجتماعية، وإقامتها على أسس القسط والعدل والإحسان بما يوافق مراد الله وهدايته، حتى يميز الخبيث من الطيب وأهل الفلاح والنجاح من أهل الضلال والخسران: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى لِمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽⁴⁾.

1- ميادين اختبار الإنسان:

وتستغرق مجالات ابتلاء الإنسان جميع أعمال إرادته الحرة، ويعني ذلك: «هو امتحانها لكشف ما تختار من عمل إرادي ظاهر أو باطن في رحلة الحياة الدنيا، إذ وهبها الله عز وجل للمخلوق مصحوبة بالصفات، التي توهمه لأن يكون في هذه الحياة الدنيا مخلوقاً ممتحناً مختبراً.

(1) سورة الملك- الآية: 2.

(2) سورة الأنبياء- الآية: 35.

(3) سورة الإنسان- الآيات: 2-3.

(4) سورة البقرة- الآيات: 38-39.

وبعد الامتحان يأتي الحساب والجزاء، وإلا كان الامتحان عبثاً والله عز وجل مره
عن العيث⁽¹⁾، قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى
اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ
بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾⁽²⁾.

وقد جاء في سنة رسول الله ﷺ استعمال مادة «بلاء» بمعنى الامتحان والاختبار، غير أن
ورودها كان في باب الامتحان بالمصائب.

روى الترمذي عن مصعب بن سعد عن أبيه، قال قلت: يا رسول الله أي الناس أشد
بلاء؟ قال: [«الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً
اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه
يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»]⁽³⁾ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وفي كل الأحوال فإن الإسلام يوجه إرادة الإنسان المؤمن ويندبه إلى أن يكون على
بصرة من أمره فيما يتقلب فيه من خير أو شر، باعتباره ذلك من سنن الله الماضية في الحياة،
فيكون في حال الخير شاكراً لأنعم الله مطيعاً له، وفي حال الشر صابراً على البلاء محتسباً، أو
مدافعاً للأقدار بالأقدار.

فحين يتمتع الإنسان بموفور المال والجاه والصحة وغير ذلك من عورات الحياة، فهو في
وضعية المبتلى بالخير، فإما أن يشكر الله مصدر هذه النعم، ومن مظاهر الشكر وعلاماته
تسخرها في طاعة الله وعبادته وفي الإحسان إلى الناس وعدم الإسراف، أو أن يطغى بسذلك،
فتتخذها وسائل لمعصية الخالق وظلم الناس والإفساد في الأرض، وما إلى ذلك.

وحين يُسلب هذه النعم أو بعضها فيبتلى بالشر، فإما أن يصبر فيحتسب فيما لا طاقة له
به، أو يسعى إلى تجاوز الأقدار النازلة بساحته بأقدار أخرى تزيل الشر أو بعضه، وأمره في كل
الحالات آيل إلى الخير، ما دام يعتقد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه،
رفعت الأقلام وحقت الصحف.

(1) عبد الرحمن حسن حنكة الميخان - ابتلاء الإرادة: 74.

(2) سورة المؤمنون - الآيات: 115-117.

(3) سنن الترمذي - كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصبر على الابتلاء، حديث رقم: (2398): 601/4.

الحديث عنها هو إقرار حقيقة «مسؤولية الإنسان عن أعماله في الحياة الأولى»⁽¹⁾، أي الحياة الدنيا ميدان ابتلائه واختبار أعماله، في مقابل الحياة الآخرة مجال حسابه وجزائه.

1- إحصاء أعمال الإنسان في الدنيا وتسجيلها عليه:

أشارت آيات قرآنية عديدة إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا كَسْتَسِيخٌ مَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾، ﴿بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾⁽³⁾، ﴿إِن رُّسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَّا تَمْكُرُونَ﴾⁽⁴⁾، ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾⁽⁵⁾، ﴿فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾⁽⁶⁾، ﴿إِن اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽⁷⁾.

2- مسؤولية الإنسان عن أعمال الدنيا في الحياة الآخرة:

إن ما أحصاه الله على الناس من أعمالهم في الدنيا وسجلته في صحائفهم رسله يؤكد مسؤوليتهم ويلقاه الإنسان يوم الحساب بلا ريب، قال الله تعالى عن ذلك: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ حَسِيبًا﴾⁽⁸⁾، ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾⁽⁹⁾، ﴿وَلَقَفُوهُمْ إِنْهُمْ مُسْتَوْلُونَ﴾⁽¹⁰⁾، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾⁽¹¹⁾.

(1) محمد المبارك - نظام الإسلام العقيدة والعبادة: 136.

(2) سورة الجاثية - الآية: 29.

(3) سورة الزحرف - الآية: 80.

(4) سورة يونس - الآية: 21.

(5) سورة الزحرف - الآية: 19.

(6) سورة المائدة - الآية: 6.

(7) سورة النساء - الآية: 1.

(8) سورة الإسراء - الآية: 13-14.

(9) سورة الكهف - الآية: 49.

(10) سورة الصافات - الآية: 24.

(11) سورة النجم - الآيات: 39-41.

الحديث عنها هو إقرار حقيقة «مسؤولية الإنسان عن أعماله في الحياة الأولى»⁽¹⁾، أي الحياة الدنيا ميدان ابتلائه واختبار أعماله، في مقابل الحياة الآخرة مجال حسابه وجزائه.

1- إحصاء أعمال الإنسان في الدنيا وتسجيلها عليه:

أشارت آيات قرآنية عديدة إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَسْخِجُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾، ﴿بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾⁽³⁾، ﴿إِن رُّسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾⁽⁴⁾، ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾⁽⁵⁾، ﴿فَيَبْئُتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَلْحَافًا لِلَّهِ وَكُفْرًا﴾⁽⁶⁾، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽⁷⁾.

2- مسؤولية الإنسان عن أعمال الدنيا في الحياة الآخرة:

إن ما أحصاه الله على الناس من أعمالهم في الدنيا وسجلته في صحائفهم رسله يؤكد مسؤوليتهم ويلقاه الإنسان يوم الحساب بلا ريب، قال الله تعالى عن ذلك: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا أَفْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾⁽⁸⁾، ﴿وَوَضَّحَ الْكِتَابَ لِقَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾⁽⁹⁾، ﴿وَلَقَّبُوهُمْ إِلَهُم مُّسْتَوْلُونَ﴾⁽¹⁰⁾، ﴿وَأَن تَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَن سَعَىٰ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأُولَىٰ﴾⁽¹¹⁾.

(1) محمد المبارك- نظام الإسلام العقيدة والعبادة: 136.

(2) سورة الجنانية- الآية: 29.

(3) سورة الزخرف- الآية: 80.

(4) سورة يونس- الآية: 21.

(5) سورة الزخرف- الآية: 19.

(6) سورة المائدة- الآية: 6.

(7) سورة النساء- الآية: 1.

(8) سورة الإسراء- الآية: 13-14.

(9) سورة الكهف- الآية: 49.

(10) سورة الصافات- الآية: 24.

(11) سورة النجم- الآيات: 39-41.

إن تعميق التوجيهات القرآنية لعلاقة الإنسان بالحياة الآخرة وتعهده وجدانه بإحباءات هذه الحياة ترهيباً وترغيباً هو المنهج السديد في بناء المحتوى الداخلي للإنسان وإعداده للصلاح والإصلاح وسلامة القلب وحسن العمل وأداء الواجبات وصيانة الأمانات في الحياة العامة. وبهذا نمسكنا صيغ نماذج علاقات الحياة الإنسانية في الإسلام بمعنى واسع للحياة يجمع الدنيا إلى الآخرة ويقرر غاية الإنسان الابتلائية في العبادة والتسخير والعدل والإحسان والمسؤولية عن الأعمال وترقب الحساب والجزاء في محكمة العدل الإلهية يوم الدين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: طبيعة الحياة الاجتماعية الإنسانية في القرآن الكريم:

أولاً: الفطرة:

لقد تبين من مبحث مقومات النموذج المعرفي التوحيدي الذي عالج حقائق التصور الإسلامي العام للوجود: الخالق سبحانه، والخليقة، التي ضمت، الكون والإنسان والحياة. أن البارئ عز وجل وحده الخالق، وهو الفاعل في الوجود لكل حادث، وقد زود مفردات الخليقة على اختلاف تكوينها وعلاقتها بغايات ومقاصد، تفسر طبيعتها وتقرر حقيقتها. فتغدو نظرية العقل المسلم المعرفية بحسب الرؤية التوحيدية للوجود أن الكون بما فيه ومن فيه من كائنات وحوادث مردها إلى إرادة الله وأوامره. «فتوحيد الله يعني انفراده بتسبب الأشياء والحوادث وهذا يعني تجريدتها عن كل قوة أخرى»⁽¹⁾ أي استبعاد كل تفسير وهمي، أو خرافي للوجود. ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾⁽²⁾ من هذه الفرضية الأساسية في النظر إلى الكون والحياة والإنسان من حيث تكوين الخليقة في منظور التوحيد يتأسس النظر العلمي لفطرة الكون وحوادثه، وفطرة الإنسان ومظاهر سلوكه الفردية والاجتماعية على حد سواء. إلا أن النظر العلمي إلى كل قطاع من الحياة الطبيعية أو الإنسانية الاجتماعية يختلف باختلاف طبائع الفطر والسنن الحاكمة.

فإرادة الله تعالى في الخلق تتحقق على نوعين* قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾⁽³⁾.

النوع الأول: تتحقق بالضرورة في فطرة كل مخلوق ماعدا الإنسان.

النوع الثاني: تتحقق فيه بالضرورة والاختيار وهو الإنسان لأنه مطلوب منه العبادة، قال

الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁽⁴⁾.

(1) إسماعيل راسي الفاروقى - جوهر الحضارة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر عدد 27: ص 16.

(2) سورة طه - الآية: 50.

* نظر تفصيل ذلك في بحث: العبودية الضرورية والعبودية الاختيارية ص 86 وما بعدها من هذا البحث.

(3) سورة الأعراف - الآية: 54.

(4) سورة الفاربات - الآيات: 56-58.

ثانيا: حقيقة سنن⁽¹⁾ الحياة الاجتماعية في القرآن:

تخضع الحياة الاجتماعية الإنسانية في القرآن إلى سنن ثابتة وعامة مطردة مثلها مثل الكائنات الأخرى التي تعمر الكون من نبات وحيوان وحماة، وما يصدر عنها من أحداث وما يحصل بينها من علاقات وتفاعلات، ذلك لأن الحياة بجميع صورها في محيط الخليفة لم توجد عبثا ولا صلفا، «وإنما كل شيء خلقه الله بقدر.. فلكل شيء في هذه الحياة سنة وقانون ينظمه.. ومهمة الإنسان في الاستخلاف وال عمران كشف هذه السنن وتسخيرها والارتكاز عليها في مسيرته الحضارية»⁽²⁾.

وتعرف هذه القوانين التي تجري وفقها الحياة في نظام محكم بسنن الآفاق والأفئدة والأمم، ويمكن تقسيمها حسب مجالاتها المختلفة بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: السنن الكونية: وهي القوانين التي تحكم الجانب المادي من الكون وتظهر بتوجيه الكائنات في الوجود وتستمر على أساسه وتتفاعل بأسبابه ومسبباته في دورة الحياة من المبدأ إلى المصير. وتشمل هذه السنن النبات والحيوان والجماد وحتى الإنسان في جانبه المادي وما يعتره من تغيرات وتبدلات محسوسة وملحوسة من نمو وتدرج في مراحل الحياة وتقلب بين الصحة والمرض وحتى الوفاة⁽³⁾.

(1) السنن: في اللغة مفردا سنة: وتعني "السيرة حسنة كانت أو قبيحة" كما جاء في لسان العرب لابن منظور: 2124/3. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، وهذا أمر الله تعالى بالاعتبار»، انظر مجموع الفتاوى: 69/13.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار: «السنن جمع سنة، وهي الطريقة الشبعة والسر الشبعة أو المثال الشبع» انظر تفسير المنار: 140/4.

(2) عمر عبيد حسنة- الوراثة الحضارية: 65.

(3) هبة الكرم زهدان- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد- 7.

والنوع الثاني: سنن الفطرة الإنسانية:

وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: سنن فطرة الإنسان: وهي السنن الجارية التي تحكم جيلة الفرد ظاهراً وباطناً، بحيث تشكل طبيعته البشرية الواحدة في كل زمان ومكان والتي يعبر عنها القرآن بـ "الإنسان"⁽¹⁾.

وقد جمعت سورة السجدة الخصائص المميزة للفطرة الإنسانية بغض النظر عن مستغرات الزمان والمكان والاجتماع الإنساني، منذ أن جاء إلى الوجود أبو البشرية آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والإنسان هو الإنسان بسماته الثابتة الآتية. قال الله تعالى:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾⁽²⁾.

إن هذه الآيات تجمع القوى الفطرية التي يحيا بها الإنسان في الدنيا وهي بمثابة قوانين مطردة وثابتة وعامة في كل الناس، وبها يتفاعل مع قوانين الكون والحياة وسنن التشريع والتكليف الرباني للقيام بمهام الخلافة والعمارة في الأرض.

وهذه المواصفات الثابتة في كل إنسان حسب الآيات الكريمة السابقة تنحصر في الآتي:

- 1- الأصل الواحد للبشر. (الطين أو التراب)
- 2- نظام التكاثر الواحد في البشر. (الماء)
- 3- ومن التسوية الواحدة في البشر. (هيئة وحواس ومكونات باطنية وظاهرية).
- 4- ومن النفخة من روح الله في كل البشر.
- 5- ومن وجود نفس أدوات المعرفة في كل البشر (السمع والبصر والأفئدة).

(1) هبة رؤوف عزت- المرأة والعمل السياسي: 65.

(2) سورة السجدة- الآيات: 7، 8، 9.

6- ومن وجود الإرادة اللازمة لكل إنسان والحرية: (هي ما يجعله من المؤمنين

الشاكرين أو من الجاحدين الكافرين).

«هذا الإنسان الذي يتميز بهذه الخصائص هو الإنسان في كل إنسان. وهذا الإنسان هو ما يخاطبه القرآن في الإنسان...»⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

القسم الثاني: سنن فطرة الاجتماع الإنساني:

وهي السنن التي تجري على الاجتماع الإنساني في نشأته وموضوعه وحركته وتغيره وسكونه أو سقوطه وتدهوره، وقد تعرض لها القرآن في قصص الأنبياء باعتبارها قواطين حاكمة لمسيرة الإنسان في المجتمع والتاريخ، ومنها على سبيل المثال: سنن التدافع والاختلاف، وسنن الربط بين النصر والعقيدة على العدو الكافر، وسنة الترف والهلاك، وسنة غياب العدل وانقراض الأمم، وسنة الله في الأسباب والمسببات، وسنة الله في الطغيان والطغاة، وسنة الله في الذنوب والسيئات، وسنة الله في التقوى والعمل الصالح، وسنة الله في طلب الدنيا والآخرة، وسنة الله في ارتباط الطاعة بالأحداث الكونية، وسنة الله في ارتباط المعصية بالأحداث الكونية⁽³⁾... الخ.

وقد دل الوحي كتابا وسنة على وجود سنة الله يعامل بها البشر بناء على تصرفاتهم وأفعالهم في الحياة وموقفهم من دين الله وأنبياؤه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة. كالرعاية والضييق في العيش، أو السعادة والشقاء والعز والذل والرقى والتأخر والقوة والضعف ونحو ذلك من الأمور الاجتماعية في الدنيا وما يصيبهم في الآخرة من عذاب أو نعيم⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ علي عيسى عثمان- لماذا الإسلام؟ وكيف؟: 35.

⁽²⁾ سورة الروم- الآية: 30.

⁽³⁾ انظر: زينب محمد عطية- أصول العلوم الإنسانية عن القرآن الكريم: 1469/2 وما بعدها، وانظر أيضا: هبة رؤوف عزت- المرأة والعمل السياسي: 65، وانظر كذلك: عبد الكريم زيدان- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد: 18، 19.

⁽⁴⁾ عبد الكريم زيدان- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد: 12، 13.

وقد عبر القرآن عن السنن الاجتماعية بطرق مباشرة، وغير مباشرة، كتعبيره عن عموم وثبات لا يتغير كسنة تعامله مع السابقين، في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁽²⁾، أو بطرق غير مباشرة عن تلك السنن كما في قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾⁽⁴⁾.

والنوع الثالث: السنن التشريعية:

أنزل الله تعالى شرائعه على وفاق تام مع سنن الفطرة الإنسانية فرديا واجتماعيا، وقبل ذلك كونيا، حيث تعمل كل من سنن الكون والفطرة والشريعة في تآلف وانسجام محكم في رعاية الإنسان ماديا ومعنويا، لأن الخلق التكويني للباري تعالى، والأمر التشريعي منه، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁵⁾ وما «علاقة النظام التشريعي الذي جاء نتيجة أمر من الله، بالنظام التكويني الذي جاء ثمرة إبداع وخلق منه إلا كعلاقة الوعاء بغطائه أو كعلاقة الدار بأثاثها؟ من ذا الذي يرى لطف الله وحكمته فيما أبدع ونسق، ثم يرتاب في هذا اللطف وهذه الحكمة فيما قد أوحى وأمر به؟»⁽⁶⁾.

تلك هي الوحدة والتواضع بين سنن الله الكونية والفطرية والتشريعية والتكامل بين وظائفها وغاياتها في تقدير الله للأسباب والعلاقات البيئية بين مفردات الخليقة والسنن التي تجري عليها.

وتأسيسا على ذلك يكون قطاع الفطرة الإنسانية هو علم دراسة تكوين الإنسان الفرد أو الجماعة، وسائر نظم حياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية أما الوحي الإلهي فيعني بالإنسان من حيث حقيقته الفطرية وغاياته في الحياة الفردية، وغاياته الاجتماعية

(1) سورة الأحزاب - الآية: 62.

(2) سورة فاطر - الآية: 43.

(3) سورة الكهف - الآية: 59.

(4) سورة الرعد - الآية: 11.

(5) سورة الأعراف - الآية: 54.

(6) محمد سعيد رمضان البوطي - المرأة: 224.

العمرانية وما يحكمها من ضوابط وقيم الخير والعدل والصلاح، «وفق ما قدرته الحكمة الإلهية من حاجة الإنسان ليحقق غاية وجوده ويحيا حياة قويمة في الدنيا ويوم يقوم الناس لسرب العالمين»⁽¹⁾. ومن هذا المنظور كان علم الفطرة، وعلم الشريعة وجهان لعملة واحدة، حيث تبنى مقاصد الشريعة على وصف الشريعة الأعظم وهو الفطرة⁽²⁾.

ثالثا: الثابت والمتغير في الحياة الاجتماعية:

إن بيان حقيقة السنة ومفهومها في الحياة الاجتماعية فيما سبق لا يحملنا على تصور أن طبيعة الحياة في التصور الإسلامي ثابتة في كل شيء، وليس فيها مجال للتغيير، بل الحقيقة هي أن الحياة الاجتماعية الإنسانية فيها الثابت وفيها المتغير على حد سواء.

فما الذي يثبت وما الذي يتغير في حياة البشر؟ وما هي أسس ذلك الثبات أو التغيير وما هي معاييرها؟ وما هي مرجعية ذلك؟ أهو الدين الحق، أم الواقع والتاريخ، أم غير ذلك؟ الإجابة عن هذه الأسئلة حول الثابت والمتغير في الاجتماع الإنساني هو ما يعطي صورة صحيحة أو خاطئة عن طبيعة الحياة الاجتماعية في الماضي والحاضر والمستقبل، وقبل أن نتعرض لمنظور الإسلام في النظر إلى الثابت والمتغير، نعرض على تصور طبيعة الحياة الاجتماعية عند أحد رواد علم الاجتماع الغربي الحديث وهو «إميل دوركهايم Emile Durkheim» الذي عبر عن صور الثبات والتغيير في الحياة الاجتماعية الإنسانية من منظور الداروينية الاجتماعية كالآتي:

يضطرب تصور الثبات عند «دوركهايم» بشكل واضح في التعبير عن حقيقة نظريته إلى الحياة الاجتماعية الإنسانية، فهو أحيانا ينفي ما هو ثابت حقا وصدقا وواقعا فطريا في الإنسان، كما جاء في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع: «ومن هذا القبيل أن بعض هؤلاء العلماء يقول بوجود عاطفة دينية لدى الإنسان وبأن هذا الأخير مزود بمجد أدنى من الفريزة الجنسية والبر بالوالدين، ومحبة الأبناء، وغير ذلك من العواطف، وقد أراد بعضهم تفسير نشأة كل من الدين والزواج والأسرة على هذا النحو، ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه التزعجات ليست

(1) هبة رؤوف عزت - المرأة والعمل السياسي: 66.

(2) محمد الطاهر بن عاشور - مقاصد الشريعة الإسلامية: 56 وما بعدها.

فطرية في الإنسان»⁽¹⁾، ثم هو يرجع مختلف أنماط السلوك الاجتماعي عند الإنسان إلى ما يعرف عنده بمصطلح «الضمير الجمعي» الذي يوجد خارج الأفراد، قائلًا: «إن ضروب السلوك والتفكير الاجتماعيين أشياء حقيقية توجد خارج ضمائر الأفراد، الذين يجبرون على الخضوع لها في كل لحظة من لحظات حياتهم»⁽²⁾، وهذا تصريح بنوع من الثبات في تفسير الظواهر الاجتماعية لا يستقيم في كل الأحوال، غير أن تحكّم «الضمير الجمعي» في الأفراد من خارجهم له ثبات نسبي على بعض مسلكياتهم وتفكيرهم، وإلى هذا يشير «ولكن لما كان هذا العمل المشترك (الذي تنشأ عنه الظواهر الاجتماعية) يتم خارج شعور كل فرد منا- وذلك لأنه نتيجة لعدد كبير من الضمائر الفردية- فإنه يؤدي بالضرورة إلى تثبيت وتقرير بعض الضروب الخاصة من السلوك والتفكير، وهي تلك الضروب التي توجد خارجة عنا، والتي لا تخضع لإرادة أي فرد منا»⁽³⁾.

ثم هو ينهي تصوره للحياة الاجتماعية من حيث النشأة والتكوين إلى مقايستها بالاجتماع الحيواني واعتبار- هذا الأخير- مرجعية ثابتة لفهم الحياة الإنسانية وتفسيرها، واستبعاد ما نفتقده عند الحيوان من قيم إنسانية ثابتة في تاريخ الإنسان واجتماعه، من مثل: الدين والزواج والأسرة والأخلاق وما إلى ذلك من القيم المعنوية. يقول: «أضف إلى ذلك أنه لم يَقم قط برهان على أن الميل إلى الاجتماع كان غريزة وراثية وجدت لدى الجنس البشري منذ نشأته. وإنه لمن الطبيعي جدا أن ننظر إلى هذا الميل على أنه نتيجة للحياة الاجتماعية التي تشربت بها نفوسنا على مر العصور والأحقاب. وذلك لأننا نلاحظ في الواقع أن الحيوانات تعيش جماعات أو أفراد تبعاً لطبيعة مساكنها التي توجب عليها الحياة في جماعة أو تصرفها عن هذه الحياة»⁽⁴⁾، إن التفسير الدارويني لدى دوركهام في هذا النص لا غبار عليه بل يعتبره المرجعية في النظر إلى الحياة الاجتماعية الإنسانية بلا موارد، ومن ثمة فلا منلوحة من اضطراب النتائج مع فقدان

(1) دوركهام- قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود فاسم: 168 وما بعدها، نقلا عن محمد قطب- حول التأسيس الإسلامي للعلوم

الاجتماعية: 103. وانظر: هلي أحمد حمدي- الإنسان والمجتمع في الفكر الإسلامي: 35.

(2) المرجع السابق لدوركهام: 22، نقلا عن محمد قطب، نفس المرجع: 103.

(3) المرجع السابق لدوركهام: 25، نقلا عن محمد قطب، نفس المرجع: 103.

(4) المرجع السابق لدوركهام: 173، نقلا عن محمد قطب، نفس المرجع: 104.

الرؤية الحقيقية للفطرة الإنسانية في بعدها الفردي والاجتماعي عند تحديد الثابت من المتغير في الاجتماع البشري.

إن تماقت هذه النظرة إلى طبيعة الحياة الاجتماعية الإنسانية عند الوضعيين ممن علماء الاجتماع يعود إلى مشكلة مرجعية طلب الحقيقة الاجتماعية من غير مصادرها، ولذلك نقرر مبدئياً أن العلم بطبيعة الفطرة الإنسانية في جميع مظاهرها يمكن الرجوع فيه إما إلى الوحي، والوحي الخاتم تحديداً، أي الإسلام، أو إلى الواقع واستقراء الثابت والمتغير في الحياة البشرية مما دلت عليه التجربة والملاحظة في التاريخ أو في الحاضر الإنساني المعيش، والجمع بين المصدرين أولى.

1- ثوابت الحياة البشرية الاجتماعية:

أ- ثابت الدين: فعلى مستوى مرجعية الوحي فإن القرآن يقرر أن الدين ثابت من ثوابت الفطرة التي خلق الله تعالى عليها الكائنات كلها بما في ذلك الإنسان، قال تعالى: ﴿فَأَلِّمُوا وَلَدَكُمْ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾⁽²⁾، وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾⁽³⁾.

ب- ثابت الزوجية:

وعن سنة الزوجية الثابتة وما ينشأ عنها من اجتماع أسري، وهي أول أشكال الاجتماع الثابتة في تاريخ الإنسان، نواة الحياة الاجتماعية الدائمة. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽⁴⁾، وقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنَ

(1) سورة الروم - الآية: 30.

(2) سورة الإسراء - الآية: 44.

(3) سورة الحجج - الآية: 18.

(4) سورة الروم - الآية: 21.

وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَقْبَابًا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ⁽¹⁾. وثبات قانون الزوجية، دليل حسي على استمرار النسل وتواجد سلالات البشر يخلف بعضها بعضاً، منذ أن أسكن الله آدم وزوجه على ظهر الأرض. وأما النظام الاجتماعي الأسري وإن تعددت أشكاله وتغيرت أنواعه عبر الحضارات والثقافات فلا زالت الأسرة بحاجة للمادية والمعنوية هي المحضن الذي يحفظ استمرار المجتمعات والثقافات وانتقال القيم والعادات من جيل إلى جيل.

ج- ثابت التدين:

ويؤكد التاريخ ثابت التدين في تجارب البشرية قاطبة بحيث لم يتحلف التدين عن حياة البشر في أي عصر، أي كان مصدر الدين سواء تعبد الناس بالدين الحق أم اتخذوا ملأ ونحلاً وضعية باطلة، فالعبرة بثبات التدين كمتطلب إنساني فطري وحاجة بشرية مستمرة تعبر عن نفسها في أشكال ومظاهر متعددة.

د- ثابت الأخلاق:

ومن ثوابت الحياة الاجتماعية «القيم الأخلاقية» التي جعل منها الدين معايير وضوابط تحفظ للإنسان إنسانيته، فلا تسمح له بالتردي إلى الحيوانية أو التنازل عن الكرامة الآدمية، ولا هي تتركه بلا هداية فيتطاول حتى يدعي الألوهية بغير حق.

إن قيم الإسلام التوحيدية هي الضمان الوحيد لبقاء الإنسان إنساناً، أما في غيرها من المذاهب والأديان المحرفة فلا إنسانية ولا كرامة، وإنما غابة من التصورات المضللة عن حقيقة الفطرة وطبيعة ما هو ثابت أو متغير في كيان الإنسان وواقعه المستسلم للأهواء والقوضى والتخرصات العلمية مهما ادعت من لبوس المنهج والعلم والموضوعية، ومما إلى ذلك من افتراءات على الحقيقة كما هي شرعاً، وواقعاً.

2- متغيرات الحياة البشرية الاجتماعية:

وأما بخصوص التغير في الحياة الاجتماعية الإنسانية فهو حقيقة يقرها الشرع ويؤكد حدوثها الواقع التاريخي والاجتماعي الإنساني ماضياً وحاضراً.

(1) سورة النحل - الآية: 72.

ولكن هذا التغير لا ينال أصول الفطرة الثابتة ودوافعها إلى العمارة وتسخير الحياة برمتها لرفاهية الإنسان وسيادته في الأرض، بل يتعلق التغير تحديداً بوسائل تحقيق غايات ودوافع الفطرة الإنسانية في بعدها الفردي والاجتماعي.

فلو ضربنا مثلاً: بظاهرة اجتماعية إنسانية وحدثت في كل التاريخ البشري المدون، وهي: دافع القتال الذي يعد من الدوافع الأصلية في النفس البشرية، «خلق الله ليحفظ الأرض من الفساد.. وهو يأخذ اثماً من اثنين حسب «عقيدة» صاحبه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾⁽¹⁾. وكان القتال في القدم يدور بالسهم والرمح والسيف وما أشبهه.. وصار اليوم بالدفاع والدبابات والمصفحات والقنابل الذرية والنوية، وما يمكن أن نجد في المستقبل من أدوات الدمار.. فما الذي تغير؟⁽²⁾.

إن الجواب حسب المثال واضح وضوح الشمس وهو أن وسائل الحرب وأدواته هي التي تطورت من الرمح الحجري إلى السلاح النووي، وأما الثابت فهو الدافع إلى القتال أو سببه التدافع التي من أحد صورها القتال، وقد يكون الحوار، أو التنافس في حيازة كل أسباب القوة التي تمكن الإنسان من ممارسة العدل والإحسان أو الظلم والطغيان.

قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾.

إذن فمن هذا المنطلق أن طبيعة الحياة الاجتماعية الإنسانية في منظور القرآن الكريم حقل تحكمه سنن مطردة متناغمة مع سنن الله التكوينية والتشريعية وأن حركة الحياة دائرة في هذا المجال بين الثبات في الأصول والتغير في المظاهر والأدوات والأشكال بما يحقق مقاصد الحياة الإنسانية في الخلافة والعمارة في الأرض: قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾⁽⁴⁾.

(1) سورة النساء- الآية: 76.

(2) محمد قطب- حول التفسير الإسلامي للتاريخ: 252.

(3) سورة البقرة- الآية: 251.

(4) سورة هود- الآية: 61.

رابعاً: معادلة الفردية والجماعية:

من الحقائق البارزة في نظرة القرآن الكريم إلى طبيعة الحياة الاجتماعية الإنسانية إقراره بطري معادلة قطبي الوجود البشري في العالم: الفرد، والجماعة⁽¹⁾. وحرصه الشديد على إقامة التوازن والتكامل بين طري المعادلة. وهذا خلاف ما تتيحه التجربة الأوربية الغربية الحديثة والمعاصرة بشأن تصور العلاقة بين الطرفين على أنها علاقة خصام أو صراع مستمر.

وقد أفرزت تجربة الغرب مذاهب فلسفية واجتماعية بحسب النظرة إلى الإنسان: بعضها اتجه نحو الفردية الجائحة كالمذهب الرأسمالي الذي أطلق العنان لذوات الإنسان الفرد وأهوائه وأنانيته على كل صعيد، واعتبر تلبية مطالب الفرد بلا قيود ولا حدود هي الضامن الأسس لمصلحة الجماعة والمجتمع. وقد نتجت أوضاع مأساوية في الواقع عن هذا المذهب أفضت إلى جنوح ورد فعل وتطرف معاكس، انحاز إلى الجماعية الطاغية في تاريخ الغرب. وهو ما عرّف بالاشتراكية العلمية أو الماركسية، أو المذهب الجماعي المادي الذي شن حرباً لا هوادة فيها على الفرد والفردية واعتبرها خطراً وشراً مستطيراً، على الجماعة والمجتمع أن يسحقهما ويتخلص منهما بكل وسيلة. «ففي كلتا الحالتين لا تتفق مصالح الفرد والمجتمع.. ولا يصطلحان!»⁽²⁾: لا حرم أن هذه النظرة إلى قطبي الحياة الإنسانية الفردية والجماعية تنم عن قصور في إدراك حقيقة العلاقة المعيرة عن القطرة الإنسانية في بعديها الفردي والجماعي كما خرجت من يد بارئها سبحانه، وقد تكفل الرحي في الرسالة الخاتمة بحل هذه للمعضلة إلى الأبد، والإنسانية مدعوة إلى أن تتفكر وتتدبر في الانتقال مع القرآن إلى التي هي أقوم بشأن تصور معادلة الفرد والجماعة والعلاقة بينهما وتنظيم الحياة السعيدة في كنف الإيمان والاستقامة علسي منهج الله وتحقيق الوثام والإحسان في داخل ذات الإنسان الفرد بين المادة والروح، وبين الإنسان وأخيه الإنسان في إطار الجماعة والمجتمع والإنسانية قاطبة.

ولكي ينجلي الحق ويستبين السبيل إلى طبيعة التكامل والتوازن بين الفرد والجماعة في منظور النموذج المعرفي التوحيدي يجد ربنا ذكر الحقائق الآتية:

(1) حماد الدين خليل - رؤية إسلامية في قضايا معاصرة: 60. وانظر: عمر حمودة الخطيب - المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية:

(2) محمد قطب - حول التاصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية: 121.

من الحقائق القطرية التي فطر الباري عز وجل الخليفة عليها- كما بينا آنفا- سنة الزوجية هذا القانون العام الذي يقوم على الارتفاق والتساند والتوازن والتكامل بين الزوجين أو المتناقضين في الحياة، فتعرف الزوجية في عالم الإنسان والحيوان والنبات بالذكر والأنثى، وفي عالم الجماد بالموجب والسالب. وتعرف في عالم المعنويات كما في الأفكار بالحق والباطل، وبالخطأ والصواب، وبالرضا والغضب والسرور والحزن، وبالفردية والجماعية⁽¹⁾... الخ.

قال الله تعالى: ﴿مَبْحَأَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽³⁾.

مادامت الكائنات كلها من خلق الله تعالى وحده، فهي خاضعة في تكوينها ماديا ومعنويا وفي علاقتها إلى نظام واحد، «وهي كلها تسبح بحمده وتسبيحها إتياع لازب دائم لقوانينه الأزلية، إذ كل ما في الوجود يخضع لقوانين تتناول تركيبه الذاتي وعلاقته بغيره من الموجودات، يستوي في ذلك ما على الأرض، وأفلاك السماوات وما فيهن، والإنسان حيثما كان»⁽⁴⁾، قال الله تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁽⁵⁾.

ويتمتع الإنسان في فطرته بتوعين من الغرائز: غرائز مادية، وغرائز معنوية. هذه الغرائز هي قوام إنسانيته حين يستجيب في حياته لإشباعها بلا إفراط ولا تفريط.

فمن النوع الأول غريزة حفظ النوع (النسل)، وغريزة حفظ الحياة (الطعام)، ومن النوع الثاني، غريزة الانتماء، وهي الميل إلى الاجتماع بالآخرين، ومعها غريزة إحساس الإنسان بفرديته في كيانه البشري.

(1) ماجد عرسان الكيلاني- فلسفة التربية الإسلامية: 245.

(2) سورة يس- الآية: 36.

(3) سورة الماريات- الآية: 49.

(4) محمود أبو السعود- الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة المسلم المعاصر عدد 13: 30.

(5) سورة الإسراء- الآية: 44.

ومن هنا كان الأفراد مثلهم مثل مكونات الذرة التي تسبح كهارجها في نظام واتساق وتكامل لا يبغي بعضها على بعض. فالفرد هو جوهر المجتمع يتواصل مع غيره من أفراد مجتمعه في توازن وتكامل واتدماج وتعاون وتآلف.

وهذا تعتبر ظاهرة الفردية والجماعية ذات شأن كبير في الحياة البشرية تستدعي المحافظة على توازن كيان المجتمع وتكامل عناصر الحياة فيه وبناء علاقاتها على الوفاق والانسجام والتعاون، وإلا انفرط عقد الحياة الاجتماعية وتعذرت الحياة في ظل الصراع والتنافس المحموم بين سيطرة الفرد حيناً وسيطرة الجماعة حيناً آخر، كما دلت عليه تجارب الإنسانية في التاريخ قديماً وحديثاً.

وقد عامل الإسلام نزعتي الفردية والجماعية في كيان الإنسان بحكمة وأمسك للميزان، بحيث لا تطغى فردية الإنسان على جماعيته إلى حد الأنانية المرذولة التي تفضي به للاستغناء فيظلم الآخرين ويعتدي على حقوقهم. قال الله تعالى: ﴿كَأَلَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (1) وحق يقول للناس ظلماً وزوراً وافتراء على نفسه وعلى الله كما قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (2) و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (3)، ولم يسمح الدين الحق للجماعة أن تلغى كيان الفرد أو تعدم فعالياته وحقوقه الفردية ظلماً وزوراً، وإنما تتواشج معه في رابطة رحمة تحنو عليه وترعى فيه بعده الفردي وبعده الجماعي على حد سواء، لألهمنا نزعتان فطريتان أصيلتان في كيانه (4).

ومن ثم كان «الإنسان الذي لا شخصية له في ذاته ولا وجود، لا ينشئ إلا مجتمعا مستضعفا خانعا يصلح لأن يحكمه «فرد» متسلط دكتاتوراً ثم يتهاوى حين يذهب ذلك الدكتاتوراً.

(1) سورة العلق - الأجزاء: 6، 7.

(2) سورة النازعات - الآية: 24.

(3) سورة القصص - الآية: 38.

(4) نعمان عبد الرواق السامرائي - في التفسير الإسلامي للتاريخ: 103.

والإنسان الذي تبرز شخصيته- بانحراف- إلى حد الأنانية المزدولة والطفيسان، لا يستطيع أن يعيش في وفاق مع الجماعة.. إلى أن يتشتت المجتمع ويؤول إلى البرار. وعليه فلا بد من إخراج إنسان متوازن في فرديته ومتوازن في ميله إلى الجماعة وتعاونه معها.

وحينئذ يصبح المجتمع أشخاصا حقيقيين لا أصفارا ولا نكرات، أشخاصا لهم وجود واقعي، متساندين في الوقت ذاته ﴿صَفَا كَأَنَّهُمْ بِنَانٌ مَرصُوصٌ﴾⁽¹⁾،⁽²⁾.

المبحث الرابع: نشأة المجتمع الإنساني:

لقد اتضح مما سبق أن القرآن الكريم قد تناول حقيقة الإنسان الفطرية من حيث مؤهلاته التي تجعله قادرا على الدخول في الحياة الاجتماعية على الأرض والقيام بمهام الخلافة والعمارة وأداء مسؤولية الأمانة التي نيطت به في رحلة الحياة الدنيا. وتعود نشأة المجتمع الإنساني في التاريخ البشري إلى العوامل الآتية:

أولا: سنة التكاثر:

يرجع القرآن الكريم نشأة المجتمع الإنساني ابتداء إلى سنة التكاثر التي تحكم نظام ظهور الخليقة برمتها. «جرت سنة الأزل على أن يجتمع في جنس الكائنات الموجب والسالب أو الذكر والأنثى، وباجتماع الصنفين يتكاثر الأحياء»⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنَ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾، وقال: ﴿بِأَيِّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾⁽⁵⁾، وقال: ﴿بِأَيِّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ..﴾⁽⁶⁾، وقال: ﴿هُسُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذُلُولًا فَامشَوْا فِي مَتَابِعِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التَّشُورُ﴾⁽⁷⁾. ما

(1) سورة الصف- الآية: 4.

(2) محمد قطب- منهج التربية الإسلامية: 164/1، 165.

(3) محمود أبو السعود- الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة المسلم المعاصر عدد 19: 40.

(4) سورة يس- الآية: 36.

(5) سورة النساء- الآية: 1.

(6) سورة الحجرات- الآية: 13.

(7) سورة الملك- الآية: 15.

تقرره هذه الآيات من حقائق ظاهرة لا خفاء فيها، أن أصل الناس جميعا هو الخلق الإلهي، وأنهم يعودون إلى نفس واحدة من حيث خلقهم، وأنهم قد خلقوا على فطرة سليمة تمكنهم من نسج علاقات اجتماعية لا غنى لهم عنها في تدبير حياتهم على الأرض التي جعلها الله لهم مستقرا ومتاعا إلى حين.

ثانيا: حاجة الإنسان الفطرية إلى المجتمع:

إن قيام المجتمع البشري على أساس سنة التكاثر أو التناسل بين الذكر والأنثى نتيجة طبيعية تخضع لها كل المجتمعات البدائية، والمتحضرة، والمؤمنة، والكافرة في التاريخ. ويضاف إلى ذلك أن عامل التكوين الفطري للإنسان يدفعه إلى الاجتماع، حيث تتكون الفطرة الإنسانية من نوعين من الغرائز كلها تدفع الإنسان عند إشباعها إلى ضرورة الاجتماع بالآخرين من بني جنسه.

أ- الغرائز المادية: مما يلاحظ في واقع الناس مرارا وتكرارا أن إشباع الغرائز المادية السئ ركبت في الإنسان لا يمكن تحقيقها إلا في حالة التجمع الذي يقتضي بدوره التعاون وتبادل المنافع والخدمات والأمن على الحياة مما قد يتهدها من أخطار داخلية أو خارجية تستدعي تعاقد الجميع على قانون ونظام وسلطة تحفظ ذلك وتنفذه.

ب- الغرائز المعنوية:

يتزع الكائن البشري في التعبير عن غرائزه المعنوية التي تدفعه إلى الاجتماع. مسن مثل: المودة والحب والرحمة والسكن والتدين. ويظهر ذلك في أول أشكال الاجتماع البشري في التاريخ الإنساني وهو «الاجتماع الأسري»: إذ يستحيل إشباع هذه الرغبات الفطرية عند الفرد الواحد، لأن الحب والرحمة والسكن والولاء، وما إلى ذلك، علاقات تربط بين اثنين من الناس فأكثر ضمن قيم وموجهات للسلوك تتبع نسقا معياريا من داخل الدين الحق أو من بدائله الأخرى.

ومن هذا للمنظور: «فالمجتمع البشري ضرورة تقتضيها ضرورة أبعده عمقا هي، إشباع الغرائز الإنسانية، والتجمع أيضا انسياق مع قانون الوحدة الكوني، لذلك كان الأصل فيه أنه خير- أي التجمع- وإن كان ما قد يشوبه من عوارض توهن من ترابطه أو تعمل على تشتته

فهو شر، إذ بما لا شك فيه أن معيار الخير والشر في أمر ما هو مقدار تمثيه مع القسوتين الأزلية أو مفارقتها لها»⁽¹⁾.

ثالثاً: ضرورة الدين للاجتماع الإنساني:

ومما يجدر الانتباه إليه أن غرائز الإنسان بنوعيتها عند تصرفها في تحقيق الاجتماع الإنساني تتعرض من قبل الإنسان ذاته إما إلى الإفراط، وإما إلى التفريط في إجرائها بحكم تمتع الإنسان فطرياً بالحرية والإرادة والقدرة على فعل الأمر وتقيضه.

ولكي يصرف الإنسان هذه الغرائز ويتحقق الاجتماع المفضي إلى إشباع رغباته بعدل وتوازن، يحتاج إلى ضابط من خارجه يحكم تصرفاته ويوجهها الوجهة السليمة التي تساعد على تحقيق إنسانيته وذلك بإتباع إرادة الله وهدايته، تكويناً، وتشريعاً. وهذا ما وعد الله تعالى به الإنسانية منذ فجر التاريخ البشري على الأرض. قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ لِي فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽²⁾.

فالهداية الربانية بدأت مع آدم أول بشر نبى في الإنسانية، وتوالت النبوات والرسالات في الناس حتى ختمت الهداية بالرسالة الخاتمة التي نزلت على محمد بن عبد الله ﷺ للناس كافة.

ومن ثمة يمكن القول بيقين أن دين التوحيد هو أصل المجتمع الإنساني الذي بدأ باجتماع أبي البشرية آدم عليه السلام وزوجه حواء وما تلاهما من ذريتهما التي تعد عمليات الأنفس اليوم⁽³⁾، تنقلب بين الإيمان والكفر على مدار تاريخ الإنسان في الأرض، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁽⁴⁾.

(1) محمود أبو السعود - الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق: 41.

(2) سورة البقرة - الآيات: 35، 36، 37، 38، 39.

(3) النبهان عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المبكى: 187.

(4) سورة النعام - الآية: 2.

المبحث الخامس: مقومات المجتمع الإسلامي:

أولاً: مقومات المجتمع القرآني:

تلك هي عوامل نشأة المجتمع الإنساني في منظور القرآن، وفي الواقع على حد سواء، إلا أن الحديث عن مقومات المجتمع القرآني في الرسالة الخاتمة يتخذ منحى متميزاً عن سائر أنواع الاجتماع الإنساني، إذ يركز في تكوينه على عقيدة التوحيد الإيمانية الشاملة ذات المصدر الرباني والمجال الفسيح الذي يستوعب كافة أوجه الحياة الدنيا في منظور أخروي⁽¹⁾.

ومن هنا فإن تحديد المنطلقات القرآنية الثابتة بشأن فطرة الاجتماع الإنساني المختزنة في مفهوم الأمة تستدعي الكشف عن المبادئ الجوهرية القرآنية المكونة للحياة الاجتماعية في أصغر وحداتها من النظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً وأنثى وإلى الأسرة مروراً بالتشكيلات الاجتماعية الوسيطة، ووصولاً إلى الأمة في نهاية الأمر ومكوناتها في منظور عقيدة التوحيد.

المقوم الأول: الوحدانية:

تم تحديد مفهوم التوحيد على أساس أنه المفهوم المركزي والجوهرية للإسلام ولكل شيء إسلامي، وهو الناظم لمفاهيم الغيب والشهادة على اعتبار أن قول الشهادة «لا إله إلا الله»، هو الذي ينفي الألوهية عن كل شيء ويثبتها بكل معاني الكمال والجلال والجمال لله تعالى وحده بلا شريك⁽²⁾.

وقد حقق الإسلام هدفاً مزدوجاً بمقتضى ذلك، حيث قرر: أن الله هو الخالق الأوحيد للكون، وأن الناس سواسية باعتبارهم من خليقة الله. فهم يتمتعون بنفس الخصائص الإنسانية، كما يتمتعون بنفس الوضع في الكون⁽³⁾.

ويمكن اعتبار هذا المعنى للتوحيد معنى غيبياً، حيث يفصح عن علاقة بين الله والخليقة من إيجاد وتدبير ورزق وإحياء وإماتة وما إلى ذلك، والخليقة تتلقى الفعل الإلهي وتتأثر بالإمداد الرباني بأسباب الحياة حسب تقدير الله ومشيئته.

(1) من عبد المنعم أبو الفضل - الأمة القطب: 24.

(2) انظر مبحث حقيقة التوحيد في الفصل الأول: 40 وما بعدها.

(3) إسماعيل راجي الفاروقي - إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية، مجلة المسلم المعاصر عدد 22: 28.

وهناك ناحية قيمية للتوحيد تعود فيها المبادرة والفعل للإنسان، من خلال الفعل الأخلاقي الفردي والجماعي الذي يستجيب فيه العبد لربه بطاعته وعبادته وحده كما أمر وشرع.

ويعبر التوحيد بشهادته المختصرة «لا إله إلا الله» عن ثلاثة معاني على المستوى القيمي: المعنى الأول: أن الخليفة المتمثلة في الطبيعة ومكوناتها تنسم بالصلاح والكمال للمعبر عن الإرادة الإلهية التي جعلت من القيم الأخلاقية التي قدمت إلى الأرض عبر رؤية الإنسان وأفعاله الأخلاقية في علاقاته بالكون والإنسان والحياة الغرض الإلهي من الخليفة قاطبة. ويترتب على ذلك أن تمنع الإنسان بالقيم للمادية والمعنوية في الحياة الدنيا لا يعد إلما لأن جميع تلك القيم هي أثر من آثار الله أحرى بمقتضاها سنة الحياة. والاحتفاظ بها وتدعيمها يتوقف على إرادة الإنسان في الانسجام مع مراد الله في التسييح له وعبادته.

وهذا خلاف نظرة المسيحية إلى الحياة البشرية التي تعتبرها «مجموعة هائلة من الآثام».

والمعنى الثاني: في منظور التوحيد وبمقتضى التكوين الفطري للإنسان بأبعاده للمادية والروحية وقدراته المعرفية والإرادية، أنه ما وقع في مأزق إلا واستطاع أن يخرج نفسه منه لأن دورة الحياة الدنيا برمتها مجال لاختبار قدرات الإنسان وإرادته في السعي والابتلاء بالخير والشر، ومن ثم فهو لا ينتظر مقدا أو مسيحا خلاصا، كما هي عقائد النصارى التي تعتبر الإنسان «كتلة خطيئة Massa Peccata»، تقدمه لإلهها تفسيرا لصلبه كعملية إنقاذ وتخليص⁽¹⁾. وقد علمنا الإسلام أن الإقبال على أداء الواجبات في معترك الحياة هو السبيل القويم لتحصيل السعادة في الدنيا بدلا من الخلاص، ونيل ثواب الدنيا والآخرة بما يتناسب مع سعي الناس وأعمالهم. قال الله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ⁽²⁾.

والمعنى الثالث للتوحيد على المستوى القيمي يرتكز على اعتبار أن إرادة الله تعالى الخسرة واحدة بالنسبة لجميع المخلوقات ولذا يجب عليهم جميعا الالتزام بها، ويستلزم ذلك عدم التفرقة بين الأماكن والأشخاص القائمين بالفعل الأخلاقي.

(1) إسماعيل راسي الفاروقي - جوهر الحضارة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر عدد 27: 18.

(2) سورة النحل - الآية: 97.

«أما فيما يتعلق بأنه ليس من الممكن أن تكون ثمة تفرقة بين نقاط الزمان والمكان باعتبارهما محور العمل السياسي المتشعب، وأنه لن تكون ثمة تفرقة بين الناس باعتبارهم القائمين بالأفعال الأخلاقية، وكون الحياة الأخلاقية بالضرورة عالمية واجتماعية في نفس الوقت، فإن ذلك كان بمثابة اكتشاف جديد لم يعرف أو يمارس قبيل ظهور الحركة الإسلامية إلى الوجود»⁽¹⁾.

المفهوم الثاني: وحدة الإنسانية:

تنبثق خاصية الوحدة الإنسانية في منظور الرؤية الإيمانية التوحيدية من حقيقة أن الله تعالى هو الخالق وحده لجميع الخليفة بما فيها الإنسان، فيرتب عن ذلك أن علاقة الباري عز وجل بالبشرية هي علاقة خالق بمخلوق، لا يستثنى منهم أحدا. في مقابل ارتباط الناس بخالقهم برباط العبودية له طوعا وكرها، وما يترتب عن تلك الصلة الإرادية الاختيارية الواعية من أعمال فردية أو جماعية هي معيار التفاضل والتمايز بين الناس في كل زمان ومكان، ومدى انسجامها مع شرعة الله ومنهاجه. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾⁽²⁾، تحدد الآية بوضوح تام وحدة الإنسانية التي بدأت في الظهور إلى الوجود من زوج من الناس، هما الذكر والأنثى، أساس الاجتماع الإنساني في التاريخ، أو ما نسميه بالأسرة، ثم ما تلا هذه الخلية الاجتماعية من توسع وظهور أشكال اجتماعية أخرى تمثلت في القبيلة والعشيرة والشعوب وما إلى ذلك، فهذا التنوع والاختلاف في الأنماط الاجتماعية لا يمثل حواجز بين هذه الكيانات ولا يعزلها عن بعضها البعض، بل ذلك دافع إلى التعارف والتعاون بينها جميعا، والتنافس في الخيرية والتحقق في ظل منهج الله تعالى بالتقوى والعمل الصالح، حتى يعبر الإنسان في ظل هذه الفوارق عمن حقيقة الوحدة الإنسانية والكرامة الآدمية على أساس مبدأي وحدانية الله تعالى والمساواة بين الناس، بغض النظر عن النسب واللون واللغة والثقافة والطبقة وما إلى ذلك من القيم المعروفة في الحياة. ويمكن فرز التصور السليم لحقيقة مبدأ وحدة الإنسانية من التصور السقيم لها بالاعتماد على الآتي:

(1) إسماعيل راحي الفاروقي - إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية، مرجع سابق: 42.

(2) سورة المصمات - الآية: 13.

أولاً: إن الأساس الأخلاقي الذي يعتمد عليه الإسلام في المحافظة على وحدة الإنسانية في مختلف الظروف والأحوال، هو أنه جعل مقياس الإرادة الإنسانية الحرة في ممارسة الأفعال وبلوغ التقوى المعبرة عن جماع الصفات الحميدة التي يكسبها الإنسان كفسرد أو كجماعة مدفوعان بخشية الله في السر والعلن في معترك الحياة. غير أن هناك من سنن الفطرة في الفرد والجماعة وفي المجتمع البشري عناصر تلاق وافتراق بين الناس، يحسن النظر إليها بتبصر وإنزالها منزلتها اللائقة بما كي لا تضر بوحدة الإنسانية التي هي من الثوابت العظيمة، التي فطر الله الناس عليها، ولكنها عرضة للنقض من قبل الإنسان حين تغم عليه الرؤية بشأن مكوناتها، أو حين يبدل مراتب عناصرها ومنزلتها عمداً.

وثانياً: فالإسلام لا يقبل تقسيم الناس على أساس العرق أو اللون أو اختلاف الألسنة أو مكان الميلاد، كما يستبعد التقسيم الطبقي أو المكانة الاجتماعية، وباستبعاده لهذه المعايير الظاهرية المادية كأساس لتصنيف الناس والحكم الأخلاقي عليهم، لم يزد في نفس الوقت أصالة هذه القيم في الحياة الاجتماعية الإنسانية لأنها من مشمولات أقدار الله تعالى في الحياة. ولذلك قرر القرآن الموقف الصريح من هذه المسائل في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، وقد جعل القرآن مقياس التفاضل وتحصيل الكرامة عند الله في الناس منوطاً بالإيمان والعمل الصالح المعبر عنه بالتقوى، في قوله تعالى: ﴿...إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾، فلن تكون هناك تقوى بدون إيمان وعمل صالح. وهذا ما هو في مقدور كل إنسان عاقل حر قادر على التكليف بصورة من الصور، لأن الله تعالى لا يكلف الإنسان إلا ما يطيق. قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾⁽³⁾.

ومن ثم كانت الفوارق الفطرية بين الناس في إطار الزمان والمكان آيات وعلامات دالة على عظمة الله وحكمته في الخلق والتدبير في ملكه سواء تعلق الأمر بالسنة الكونية أو سنن

(1) سورة الروم - الآية: 21.

(2) سورة الروم - الآية: 22.

(3) سورة البقرة - الآية: 286.

الاجتماع في الأنفس. ولذلك جعل الإسلام هذه الاختلافات بين الناس حقائق ثابتة لا يريد القضاء عليها بل هي نافعة في الحياة الاجتماعية إذ لولا هذا الانقسام بين القبائل والشعوب في الحياة الاجتماعية لما كان للتعارف والتعاون حاجة أو معنى، إذ الأصل هو البحث عن التكامل والتوازن في العلاقات الاجتماعية لكي يتخذ الناس بعضهم بعضاً سحيراً في كشف الوحدة الإنسانية وتبادل المنافع، «ولكنه مع ذلك يرفض كل ما ولدته هذه الفوارق بين الناس من عصبية السلالة واللون واللغة والزرعات القومية والوطنية وبعدها خطأ وضلالاً، فكل فرق بين الرجل والرجل على أساس الغنى والفقر والشرف والضعف والرحم والغربة مما سببه اختلاف النسب والأسرة والبيئة يعده الإسلام من باب خرافات الجاهلية وضلالاتها... فهذا هو تصور الإسلام للإنسانية؛ ومن هنا قوله أنه لا يمكن أن يكون فرق جوهرى بين إنسان وإنسان لأجل اختلافهم في النسب واللون والوطن واللغة، بل إنما يتأتى ويظهر هذا الفرق الجوهرى بين مختلف أفراد البشر لأجل أفكارهم وأخلاقهم وغاياتهم في الحياة»⁽¹⁾، وقد أكد هذه الحقيقة رسول الله ﷺ في حديث خطبة حجة الوداع، عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ أيام التشريق، فقال: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. أبلغت؟ قالوا: بلى. بلغ رسول الله ﷺ...»⁽²⁾.

المقوم الثالث: وحدة نظم الحياة الاجتماعية:

بإضافة مقوم وحدة نظم الحياة الاجتماعية في نموذج المجتمع القرآني إلى مقومى الوحدة الإلهية ووحدة الإنسانية نضع أيدينا على الإطار الشامل لتصور نظام اجتماعي إسلامي متميز يقوم على قواعد ثابتة ومعالم بارزة تفرقه عن غيره من النظم الاجتماعية الأخرى.

«وبعني النظام System في هذا المجال مجموعة القواعد المستقرة في مجتمع ما، والتي تنظم وتحدد علاقات الأفراد بعضهم ببعض ثم علاقاتهم بالمجتمع ككل، ثم علاقة مجتمعهم بسائر المجتمعات، وبعبارة أخرى:

(1) أبو الأعلى المودودي - نظام الحياة في الإسلام: 36، 37، وانظر: سيد قطب - نحو مجتمع إسلامي: 92 وما بعدها.

(2) مسند أحمد - كتاب حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم: (22978): 750/6.

يشمل هذا اللفظ ما يعبر عنه بالنظام الاجتماعي والنظام السياسي والنظام الاقتصادي والنظام الجمالي، وهي الميادين الأربعة التي تضم نشاط أفراد أي مجتمع بشري»⁽¹⁾.

أما الوحدة المنشودة بين هذه النظم التي تتعلق بالحياة الواقعية لأي مجتمع إنساني فهي وحدة الفكر والمرجعية التي تستمد منها تلك النظم مفاهيمها وغاياتها كي تجسد في الواقع المعيش مقاصد الشريعة والمنهاج الإسلاميين.

ولا ريب أن اشتقاق هذه النظم من معين شرعة واحدة وهي شرعة التوحيد أن تضيفي عليها صبغة الوحدة في النظر إلى الإنسان في مجتمعه ووحدة الحكم على تصرفاته في مجالات الحياة العامة كلها، اجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا، وجماليا أي معنويا وأخلاقيا.

واقتراد الوحدة بين الشريعة أو العقيدة وأنظمة الحياة في ظل أي مذهب اجتماعي له آثار سلبية على شخصية الفرد والمجتمع وعلى إنجازاته الحضارية مما يجعل الحياة عقيما ويهدر القسيم المادية والمعنوية لأمد طويل، وهذا يخالف لطبيعة الإسلام التي تأتي الفصل بين الشريعة والمنهاج وعلاقات الإنسان الفردية والجماعية، كما تدلنا التجارب الواقعية عند حدوث هذا الفصل. إذ غالبا ما يكون الركود في الفكر والحياة والسقوط الحضاري العام هي السمات الملازمة لهذه الوضعية المرضية حتى نستدعي القانون الرباني ثانية في التغيير من داخل أنفس القوم أو بمجموع الأمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽²⁾ عندها تدخل الإرادة الربانية في تعديل حركة المجتمع والتاريخ لما تباشر الإرادة الإنسانية الدخول من جديد في دورة حضارية باتخاذ أسباب التغيير تغيير المحتوى الداخلي للإنسان وإصلاح جهاز مفاهيمه الإيمانية ونشاطه العلمي والعملية.

وتصور وحدة نظم الحياة الاجتماعية ليست قضية ثانوية تفرضها ضرورات البحث فحسب إنما هي حقيقة تملئها الرؤية المعرفية التوحيدية في النظر إلى الوجود الطبيعي والإنساني معا، باعتبارهما من صنع خالق واحد امتد نظامه وتقديره إلى مظاهر الحياة وحوادثها برمتها. «إن النظام الكوني يتكون من قوانين الطبيعة، وهذه القوانين تؤدي وظيفتها في هذا العالم وتسري إلى كل جزء أو جانب منه، ماديا أو فضائيا، جسمانيا أو نفسيا، اجتماعيا أو أخلاقيا،

(1) محمود أبو السعود- الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق: 43.

(2) سورة الرعد- الآية: 11.

كل ما هو واقع يخضع لتلك القوانين وينفذها. هذه القوانين هي «سنن» الله تعالى في خلقه»⁽¹⁾، وهي التي تدلنا عبر البحث والمعرفة على حقيقة الحياة ووحدة النظام الذي يحكمها بقضاء الله وقدره.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

⁽¹⁾ المعهد العالمي للفكر الإسلامي - إسلامية المعرفة: 81.

المبحث السادس: خصائص المجتمع الإسلامي:

حفل القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ بالتركيز على إبراز الثوابت الأساسية لمفهوم الحياة الاجتماعية أو السمات الخاصة بالمجتمع الإسلامي التي تحفظ كيان الذكر والأنثى وتضع الموازين القسط في النظر إلى مكانة الجنسين والعلاقة بينهما وأدوارهما في الحياة بما يحفظ رسالتهما في بناء الأسرة وترقية التنشئة الاجتماعية للأولاد ونقل القيم السامية عبر الأجيال لإدامة الوجود الاجتماعي للأمة وشهودها بالإيمان والخيرية على الناس.

وكخطوة أولى لإبراز خصائص المجتمع الإسلامي بما يتجسد الوحي مسن قسيم إنسانية اجتماعية التي تجعلنا نسعى إلى تركيز مفاهيم هذه السمات وبذل الجهود من أجل تحقيقها في الواقع الإسلامي، وتنقية الممارسات الاجتماعية المجانبة للحق والصواب مهما كان مصدر انتمائها إلى ماضيها التاريخي أو إلى حداثة الحضارة الغربية المؤثرة في عصرنا والمستفزة للقيم الإسلامية الحقيقية في عقر دارها.

ويمكن حصر هذه السمات أو الخصائص في خمسة مبادئ يقوم على أساسها المجتمع الإسلامي، كما يبينه القرآن الكريم⁽¹⁾:

أولاً- المساواة بين الذكر والأنثى في المكانة والقدر:

تعد خاصية المساواة بين الجنسين في المكانة والقدر من أول المبادئ القرآنية المنبثقة عن مفهوم وحدانية الله تعالى ووحدة الإنسانية، بحكم أن وحدانية الله عز وجل في الربوبية والألوهية وكمال الأسماء والصفات تقتضي أن يستمد كل شيء في الوجود حقيقته وقيمته وغايته من توحيده سبحانه. ولما كانت الإنسانية من خلق الباري تعالى فهي تتميز بدورها بوحدة المصدر ووحدة القيمة والغاية بغض النظر عن الاختلافات الظاهرية بين الناس من لسان ولغة وعنصر أو ذكورة وأنوثة، فالكل في ميزان الله سواء من حيث المكانة والقدر. وإن كان هذا التساوي لا يعني التطابق أو التماثل بين الجنسين من كل جانب كما توهمت الحدائث الغربية في ادعاء المساواة التي تعني التماثل، نتيجة الخيرة الأوروبية، الخاصة في النظر إلى المرأة ثقافة ودينا وقانونا التي أفرزت حركة المساواة بين الجنسين، «فالصورة الغربية لحركة المساواة بين الجنسين

⁽¹⁾ لوزير المياه الفاروقي - النساء في المجتمع القرآن، مجلة المسلم المعاصر، عدد 41: 86.

نشأت في إنجلترا إبان القرن الثامن عشر وكان من بين أهدافها التخلص من صور اللاأهلية القانونية التي فرضها القانون الإنجليزي العام على النساء والتي اتسمت بالتمييز ضد النساء المتزوجات واستبقاها واضعوها من مصادر لها في الإنجيل (مثل فكرة توحد الرجل والمرأة ليصبحوا «جسدا واحدا» وإلصاق الطبيعة الأدنى ورعا الشريرة بحواء وكل بنات حواء) وفي قوانين الإقطاع (مثل الأهمية التي يعلقونها على حمل الرجل السلاح وتجهيزه للقتال مقابل تخفيف ما يقوم به النساء في المجتمع وعندما قامت الثورة الصناعية وظهرت الحاجة لإسهامات النساء في القوة العاملة أعطى ذلك قوة لحركة المساواة بين الجنسين وساعد المتنادين بها على التخلص تدريجيا من هذه القوانين التمييزية»⁽¹⁾.

وقد بين القرآن مجال المساواة بين الجنسين في الآتي:

1- الذكر والأنثى من أصل واحد:

يقرر القرآن أن الله تعالى قد خلق الذكر والأنثى من «نفس واحدة» ليكمل كل منهما الآخر في إنجاب الذرية وعمارة الأرض وعبادة الله تعالى خلال رحلة الإنسان في الحياة الدنيا، ثم يرجع الجميع إلى الله ليحاسبهم ثم يجازيهم على أعمالهم ومسؤولياتهم التي نيطت بهم في الحياة الأولى. قال الله تعالى: ﴿هِيَ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽²⁾. وصورة حواء في التوراة أقل قدرا من الرجل، وهي التي ساعدت الشيطان في إغواء آدم على معصية الله في الجنة. جاء ذلك في (سفر التكوين، الإصحاح الثالث): «وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حملك. بالوجع تلدين أولادا، إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك»⁽³⁾.

⁽¹⁾ لورلياه فلوروفس - حركة المساواة بين الجنسين، مجلة المسلم الشهم، عدد 37: 93.

⁽²⁾ سورة النساء - الآية: 1.

⁽³⁾ قلا من: محمد علي هبلر - الله من جلاله والأنبياء في التوراة وقصصهم: 46.

بينما نجد القرآن يعتبرهما على قدم المساواة في تحمل مسؤولية خطأ الأكل من الشجرة فنالهما الطرد من الجنة معا كما نالهما عفو الله حين تابا من ذنبيهما بنفس القدر. قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾.

2- المساواة بين الذكر والأنثى في الواجبات الدينية وثوابها:

في القرآن الكريم إشارة واضحة إلى المساواة بين الجنسين في الواجبات الأخلاقية الدينية وما يتبعها من ثواب. ودلالة قاطعة على تساويهما عند الله في المكانة والقيمة باعتبار أن الغاية من خلقهما هي اعتبار إرادتهما الحرة سوية بتلك التكاليف والالتزامات التعبدية. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾⁽²⁾، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَسَابِطِينَ فَسُرَّوْجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

والملاحظ من خلال هذه الآيات الكريمات أن الواجبات في حق الذكر والأنثى هي حقوق الله عليهما، تقابلها في النتيجة حقوق لهما عند تحقيق مسراد الله في الالتزام بأوامره والانتهاء عن نواهيه كما بين وطلب في خطابه لهما عز وجل.

إلا أن الملفت للنظر أن الشرع الحنيف قد يخاطب الرجال بتكاليف لا تخاطب بها النساء، أو يخاطب النساء بتكاليف دون الرجال، فهل يخل هذا بأمر المساواة بينهما شرعاً؟

(1) سورة البقرة- الآيات: 35-37.

(2) سورة النساء- الآية: 124.

(3) سورة النحل- الآية: 97.

(4) سورة الأحزاب- الآية: 35.

فما كلف الرجال به وحدهم على سبيل المثال: واجب الإنفاق على الأسرة وواجب السعي إلى أداء صلاة الجمعة. وما كلفت به النساء دون الرجال مثلا: واجب الحضنة عليهن، وواجب ستر المفاتن عن الرجال الأجانب.

إن اختلاف التكاليف بين الذكر والأنثى في بعض جوانب الحياة لا يلغي للمساواة في القدر بينهما ولا ينقص من شأن كل فرد على حدة وإنما يعود إلى تقسيم العمل الذي تفرضه الفطرة أو ينسجم معها أكثر فيرتب في حق أحدهما دون الآخر ترتيب أولويات.

فلو ضربنا مثلا: واجب الإنفاق على الأسرة، «فإنما أنيط بالرجل أبا أو زوجا دون غيره، لأنه المباشر الأول لعملية الاكتساب والرزق. وهي سنة ماضية إلى يوم القيامة لحكم وأسباب اجتماعية... ومن أهم أسباب استمرار هذه السنة على الرغم من تبديل الأعراف وتطور الحضارات، أن المرأة لو زج بها في مجال الكسب والارتزاق بحيث حلت في ذلك محل الرجل أو ساوته في هذه المهمة، فإن أقلس وظيفة اجتماعية، وهي رعاية الطفولة وتنشئتها على نهج سوي، تترك بدون راع ولا مسؤول. إذ الرجل لا يقوى على النهوض بهذه المهمة بدلا عنها. والمهم أن تعلم بأن أنوثة المرأة وذكرورة الرجل ليس لهما دخل في هذا الأمر. وإنما العمل الأساسي هو السبب الذي ذكرته لك»⁽¹⁾. وهو رعاية الطفولة وتنشئتها تنشئة سوية.

3- حق المساواة في التربية والتعليم:

من الثابت تاريخنا وشرعا وواقعا أن أول ما نزل على رسول الله ﷺ من أي الذكر الحكيم الذي انبثقت عنه أمة الإسلام هو تكليف المؤمنين بدءا بمحمد عليه الصلاة والسلام ومن تبعه من المسلمين ذكورا وإناثا بالقراءة وطلب العلم، ولم نجد في كتاب الله ولا في سنة نبيه وآثار الصحابة الكرام من يقصر العلم على الذكور دون الإناث، بل جعل أمر طلب العلم من المهتد إلى اللحد من الحقوق المتساوية للرجال والنساء حتى يقوم كل بمسؤولياته المنوطة به في بناء الحياة الاجتماعية بكفاءة واقتدار، كي تستقيم به دنياهم وتصلح به آخرتهم، ذلك أن الدنيا هي «مزرعة المسلم والمسلمة للأخرة فإذا عمراها أكمل عمارة وأطهر عمارة كان لهما الجزاء الأوفى يوم القيامة»⁽²⁾.

(1) محمد سعيد رمضان البرطلي - المرأة: 22.

(2) عبد الحلهم محمد أبو شقة - تحرير المرأة: 41/2. وانظر: نعمت حافظ البرزنجي - الكيان الإسلامي والنضال من أجل العدالة: 153.

ولنترك خطاب الشارع ليبين لنا أن طلب العلم والتربية عليه هو مسلك المؤمنين عامة رجالا ونساء في مجتمع النبي ﷺ ومن جاء بعده.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: [«طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ والذهب»] (1) ولقظة مسلم في الحديث تعني الذكر والأنثى معا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: [«من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»] (2) قال أبو عيسى هذا حديث حسن. ومن للعاقل تشمل الذكور والإناث جميعا بلا شك.

وقد خص رسول الله ﷺ المرأة أحيانا بضرورة تعليمها وتربيتها ورغب في ذلك فضلا عن ممارسته لذلك في حياته الشريفة.

عن أبي بردة عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: [«لما رجل كانت عنده وليدة فعلمها وأحسن تعليمها وأدها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران...»] (3).

هذه دعوة رسول الله ﷺ للعناية بتعليم الأمة وتربيتها فما بالك بابنة المسلم الحرة فهسي أولى وأوجب.

وهناك صحابييات علمات حفظ التاريخ لنا كيف تلقين العلم في مسجد رسول الله ﷺ مع الرجال حيناً ومنفردات حيناً آخر. وهذا انسجاماً مع تكليف الرسالة الخاتمة وروحها في اعتبار العلم سبباً لاكتمال الرشيد الإنساني (4)، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (5)، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (6)، وهذا بغض النظر عن كون طالب العلم ذكراً أو أنثى.

(1) سنن ابن ماجه - حديث رقم: (224): 81/1.

(2) سنن الترمذي - كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فضل طلب العلم، حديث رقم: (2646): 28/5.

(3) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري...، حديث رقم: (4795): 1953/5.

(4) سالم البهناوي - مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العلية: 93.

(5) سورة طه - الآية: 114.

(6) سورة الزمر - الآية: 9.

وقد حفظ لنا التاريخ ودواوين السنة النبوية أن الأمة قد تلقت بالقبول العلم المروي عن المرأة بلا حرج أو تكلف، وهذا الإمام الشوكاني يقول: «لم ينقل عن أحد من العلماء أنه رد خير امرأة لكونها امرأة. فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة»⁽¹⁾.

وإليك نماذج من العلم المروي عن صحابيات حليلات ما يلي:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت، قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»⁽²⁾، وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يعجبه الثيمن في تنعله وترجله⁽³⁾، وطهوره وفي شأنه كله»⁽³⁾.

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود، قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «إذا شهدت إحداكن للمسجد فلا تمس طيبا»⁽⁴⁾.

وعن أم عطية: قالت: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى»⁽⁵⁾.

4- الشخصية القانونية المنفصلة للمرأة عن الرجل:

يقرر الوحي كتابا وسنة أن كل فرد مسلم رجلا كان أو امرأة يحتفظ بشخصيته القانونية المنفصلة عن الآخر حتى بعد الاقتران بالزواج بينهما من الميلاد إلى الممات⁽⁶⁾. وتمنع الشريعة هذه الشخصية المستقلة للمرأة كحق إبرام العقود، وحق الكسب الحلال في التجارة وفي غيرها، ولا تحرم من ذلك فلها أن تتصرف في ممتلكاتها بالمعروف دون تدخل زوجها، ولها أن تحتفظ باسمها، كما أعطى القرآن المرأة الحق في الميراث وحرمت حرمانها منه.

(1) الشوكاني- نيل الأوطار: 122/8.

(2) صحيح مسلم- كتاب الأضحية- باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم: (1718): 1343/3.

(3) ترجله: أي ترحيل شعره، وهو نسيجه ودهنه.

(4) صحيح البخاري- كتاب الوضوء باب الثيمن في الوضوء والغسل، حديث رقم: (166): 74/1.

(5) صحيح مسلم- كتاب الصلاة، باب عروج النساء إلى المساجد، حديث رقم: (443): 328/1.

(6) صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات، حديث رقم: (1812): 1447/3.

(7) لويز ليهال الغاروني- حركة المساواة بين الجنسين، مرجع سابق: 92.

وهذا ما يعرف في المصطلحات القانونية الحديثة بالحقوق المدنية أو أهلية المرأة في التملك وحق التصرف وإبرام العقود بخصوص ممتلكاتها، وهذه الأهلية إحدى المظاهر المطلوبة لحركة المساواة في الغرب بين الرجل والمرأة، ولا زالت تتعثر من قطر لآخر، فهذا الدكتور (شارل.ل.فيدز) يقرر حقيقة هذه المساواة في الغرب بقوله: «كثير من الرجال وافقوا على قدرة المرأة على القيام بوظيفة الرجل، إلا أنهم رفضوا قبول افتراض تقاضيتها نفس راتب الرجل لنفس العمل. هذا الاعتقاد بالمساواة في القدرة وعدم المساواة في التعويض مازال سائدا في معظم الأقطار الغربية بما فيها الولايات المتحدة، وقد نجم عن هذا الاعتقاد كثير من الخلل»⁽¹⁾.

وإلى نفس الحقيقة تذهب الكاتبة الفرنسية "فلانس كيري" في الملتقى الحادي عشر بورقلة عام 1977 في محاضرة لها بعنوان «ماذا تريد النساء إذن؟» تقول: «إن للمرأة الغربية حق المساواة المهنية، وحق الكرامة الزوجية أو المترتبة... إنه مع تساوي المؤهلات فإن المرأة لا تجسد نفسها إلا في وضعية جائرة تمثل في أعمال أكثر رقابة، وسلطات أقل، وأجر أدنى.. ويبرر هذا العنف بعلّة انصراف المرأة إلى مهامها العائلية التي تجعلها أقل قدرة على أداء مهنتها...»⁽²⁾.

ومن الحقائق التاريخية التي عرفتتها المجتمعات الأوروبية قاطبة إلى غاية القرن التاسع عشر، «حيث كان من المستحيل على المرأة المتزوجة حتى القرن الماضي (التاسع عشر) أن تكتسب ممتلكات باسمها أو تبرم عقودا مع آخرين أو أن تتصرف في ممتلكاتها دون موافقة زوجها»⁽³⁾.

في حين نجد القرآن منذ القرن السابع للميلاد يبلور في أحكامه التشريعية أهلية شخصية المرأة ومكانتها في بناء الحياة الأسرية والاجتماعية في النظام الاجتماعي الإسلامي.

ولا دخل لوضعية المرأة قبل الزواج وبعده في استقلال شخصيتها القانونية وحقوقها المدنية بما في ذلك مسؤولياتها الجنائية فإذا ما ارتكبت جريمة مدنية فجزاؤها لا يختلف عن جزاء الرجل للمرتكب لجريمة مشابهة بلا فرق، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽⁴⁾، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ

(1) نقلا عن سعيد رمضان البوطي - المرأة: 56، والكلام للدكتور ش.ل.فيدز من محاضرة بعنوان: «الدور المفيد للمرأة في المجتمع البرمج» ملتقى الفكر الإسلامي الحادي عشر، ورقلة، الجزائر، 1977.

(2) نقلا عن سعيد رمضان البوطي - المرأة: 57.

(3) لويز ليماء الفاروقي - النساء في المجتمع الفران، مرجع سابق: 87.

(4) سورة المائدة - الآية: 38.

مِنْهُمَا مِئَةٌ جَلْدَةٌ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَلَيْسَ لَهُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

ولها حق التعويض عن الأضرار التي قد تصيبها كالرجل سواء بسواء.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ
مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى
أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمَّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٢﴾

ولا عمرة بعد هذه الحقائق المثبتة لأهلية شخصية المرأة في المجتمع الإسلامي، وأن المساواة
بالمفهوم الإسلامي بين الجنسين من الحقائق النهائية التي لا تقبل النقد أو النقص.

ثانيا: المجتمع الإسلامي مجتمع ذو جنسين:

إن المساواة بين الجنسين في الأمور الدينية والأخلاقية والفكرية والقانونية التي أقرها القرآن
بين الجنسين لا تعني التماثل أو التطابق بينهما في الأدوار والوظائف الاجتماعية، بل حقيقة
الثنائية الجنسية قائمة في النموذج الاجتماعي الإسلامي حيث يقرها الوحي وتعمل أحكام
الشريعة في مجال تحديد الحقوق والواجبات المتبادلة بين الطرفين على ترسيخ هذا التمايز بفرض
التكامل لا التفاضل بينهما أو التنافس القائم على ادعاء تفوق جنس على آخر. «فالرجال
والنساء يجب أن يكمل كل منهما الآخر داخل منظمة متعددة الوظائف بدلا من أن ينافس كل
منهما الآخر داخل مجتمع أحادي الجانب»^(١).

وتتجسد كمثال على التمايز الوظيفي بين الذكر والأنثى مجال الاقتصاد، الذي يفسضي في
الحياة الاجتماعية التي توظفها القيم العقديّة والتشريعية الإسلامية إلى التكامل والعدل بين دور
الرجل والمرأة ففي المسؤوليات الاقتصادية نلاحظ تمايزا واضحا بين الزوج والزوجة في الأسرة

(١) سورة النور - الآية: 2.

(٢) سورة النساء - الآيات: 92، 93.

(٣) لويز لبياء الفاروقي - حركة المساواة بين الجنسين، مرجع سابق: 91.

المسلمة من حيث أن الرجل هو المكلف بالإنفاق على الزوجة والأولاد ولم تحمل الشريعة الإسلامية المرأة ذلك.

وهذا لكي تراعي الفروق البدنية بين الرجل والمرأة وما يناسب كل واحد من أعباء وأدوار نيظت بكل منهما تبعاً لفطرة الله التي فطر الجنسين عليها. وفي مقابل عدم تكليف المرأة بالإنفاق على الأسرة نظرت الشريعة إلى المسؤوليات الجسام في أمور الإنجاب والتربية وما يكتنفها من متاعب ومشاق في كل المراحل حتى تهيم الذرية الصالحة لتزويد المجتمع بالخلف الذي تستمر من خلاله هوية المجتمع وقيمه والمحافظة على كيانه. ونرى ذلك حتى في الميراث فإن التمايز بين الذكر والأنثى فيه ﴿لِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾⁽¹⁾ هذا التمايز لا يعكس نظرة دونية في المجتمع الإسلامي للأنثى، بقدر ما هو حكم يندرج في المنظومة الشاملة للنظرة إلى الإنسان ذكراً وأنثى على أسس المساواة والعدل والتكامل الذي تكفله الشريعة في المجتمع الإسلامي الذي لم يكلف الإناث بالإنفاق على الأسرة مطلقاً وحمل المسؤولية المعنوية والقانونية للملزمة للرجال بالإنفاق على جميع الأقارب من النساء.

وقد شن القرآن الكريم حرباً شعواء على النظرة الدونية الجاهلية للمرأة ووضع لها حداً بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾⁽²⁾.

وأوجب القرآن كذلك معاملة الرجال للنساء بالعدل والإنصاف في آيات عديدة، قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعُوذْنَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ الطَّلَاقُ مَرَّاتٌ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا اقْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ

(1) سورة النساء - الآية: 176.

(2) سورة النحل - الآيات: 57-59.

لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَّسْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾

الثالث: الاعتمادية المتبادلة بين أفراد المجتمع الإسلامي:

تعتبر سمة الاعتمادية المتبادلة خاصية أساسية من خصائص العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، تفتضيها سنة الزوجية وتكامل الأدوار والتعاون بين أفراد المجتمع ذكورا وإناثا وجماعات. وهذا مما يجعل الإسلام على بينة من ضرورة إقامة التوازن بين الحقوق والواجبات الفردية والجماعية، بخلاف الاتجاه المعاصر في الغرب الرأسمالي الذي ينحاز بوعي وإصرار إلى حقوق الفرد على حساب حقوق الجماعة ثم يلجأ إلى تبرير غير مقنع إلى أن ضمان حقوق الأفراد يفضي حتما إلى تأمين حقوق المجموع.

ولذلك فالقرآن يؤكد باستمرار على تبادل الاعتمادية بين الرجل والمرأة وبين جميع أفراد المجتمع. ومما يجسد هذه الاعتمادية وصف العلاقة بين الرجل والمرأة في رابطة الزواج على أنها لباس وسكن من الستر والسكينة والطمأنينة والألفة التي تغمرهما بعد الدخول في حضن الأسرة، قال الله تعالى: ﴿... هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ...﴾^(٢)، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا كَفَسَاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣).

ويطلب القرآن من الرجال والنساء أن يتكاملوا في أدوارهم ولا يتنافسوها لأن بعضهم أولياء بعض، وأن ما في حوزة كل واحد منهم من تكاليف ومسؤوليات إذ يؤديها يحقق للمصالح الفردية والمصالح العامة معا. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

(١) سورة البقرة - الآيات: 228-231.

(٢) سورة البقرة - الآية: 187.

(٣) سورة الأعراف - الآية: 189.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾

وتستهدف سمة الاعتمادية بين الرجال والنساء في المجتمع الإسلامي المحافظة على سلامة
البناء النفسي والمادي للرجال والنساء على السواء، وذلك من خلال بيان القرآن للالتزامات
والواجبات المتبادلة بين أفراد الأسرة الواحدة كبارا وصغارا ذكورا وإناثا. من فيهم ذوي القربى
من كافة الدرجات (٢).

قال الله تعالى في بيان هذه الاعتمادية بين أفراد المجتمع المسلم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا
تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيْنِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَغْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُولَآئِينَ غَفُورًا وَآتِ
ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا ﴿٣﴾، ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ
قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٤﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾

اتضح من هذه الآيات الكريمات أن الاهتمام المتبادل بين أفراد المجتمع المسلم من
الواجبات التي ترقى إلى التكليف التعبدية والإيمانية التي لا يكون المسلم من دونها مسلما
مستكمل الإيمان والإسلام إيمانا واعتقادا وعملا.

(١) سورة التوبة - الآية: 71.

(٢) لويز ليهاء الفاروقي - النساء في المجتمع القرآن، مرجع سابق: 90.

(٣) سورة الإسراء - الآيات: 23-26.

(٤) سورة البقرة - الآية: 177.

(٥) سورة الأنفال - الآية: 9.

ولابد من الإشارة إلى ضهور العلاقة الاعتمادية بين الأفراد في المجتمعات الغربية المعاصرة التي تشكل الحلم بالنسبة لبعض المسلمين في عصرنا حيث يتطلعون في نشاطاتهم الفكرية والسياسية إلى استنساخ مشروع المجتمع الغربي الذي يفتقر إلى أدنى الخصائص الإنسانية التي يوفرها الإسلام، فهذه المسلمة الأمريكية لويز لمياء الفاروقي تحدثنا عن هذا الواقع البئيس في قولها: «إن ما نراه في المجتمع الغربي من غياب الاعتمادية المتبادلة وسيادة سياسة إغفال الآخرين قد أدت إلى مشكلات خطيرة تتمثل فيما يعانيه الأفراد من وحدة، وما يتعرض له المستنون من إهمال، والفقوة بين الأجيال، وارتفاع معدلات الانتحار وجرائم الأحداث، تلك كلها يمكن إرجاعها إلى الإتهيار المتزايد للنسق التبادلي في الاعتماد وإنكار الفردية الإنسانية للرعاية المتبادلة والمسؤوليات المشتركة بين أفراد المجتمع»⁽¹⁾.

رابعاً: الأسرة الممتدة أو المتحدة:

إن القيم الإسلامية التي سبقت الإشارة إليها في حقل الحياة الاجتماعية تزج جميعها إلى التآلف والوحدة والتعاون، ومن ثمة فإنه ليس من الغريب أن نحافظ تلك القسم على لحمية الكيانات الاجتماعية المنبثقة عنها في الواقع الاجتماعي، وأولى أشكال الحياة الاجتماعية وأساس المجتمع الإسلامي هو الكيان الأسري، وهو من نوع خاص يحكم القيم السائدة والوشائج التي تربطه والأحكام التي تنظمه أثناء الزواج وبعده، ومن أبرز السمات التي تدخل في تشكيل الأسرة الموسعة سمة التبادلية الاعتمادية بين العناصر المكونة لها. فالأسرة أو العائلة الموسعة في المجتمع الإسلامي: «تشمل إلى جانب أفراد الأسرة العديدة (الأب والأم وأولادهما) الجد والجدة، والأعمام والأخوال، والعمات والخالات، وكل ذرياتهم، وعادة ما تكون العائلات المسلمة مترابطة في مجال الإقامة... يحوي ثلاثة أجيال أو أكثر من الأقارب... حتى في حالة عدم إمكان تحقيق هذا النوع من الترابط... فإن النصبة العائلية التي تتخطى حدود الأسرة النووية تظهر واضحة في قوة الروابط النفسية والاجتماعية والاقتصادية بل والسياسية بين أفرادها»⁽²⁾.

⁽¹⁾ لويز لمياء الفاروقي - النساء في المجتمع القرآني، مرجع سابق: 91.

⁽²⁾ لويز لمياء الفاروقي - النساء في المجتمع القرآني، مرجع سابق: 91.

وقد شدد القرآن الكريم على ضرورة التضامن بين أفراد الأسرة المتحدة وتكامل الأدوار فيما بين الذكور والإناث وحماية الجميع من الأخطار المادية والمعنوية والتكافل الاجتماعي فيما بينهم، ودعم ذلك بتشريع الإرث الذي يمس أفراد الأسرة الموسعة فضلا عن الأسرة النووية. وحذر الذين يتعدون حدود الله في المساس بالتماسك الأسري الذي هو غاية ووسيلة في نظام الإسلام الاجتماعي.

قال الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَيُخْشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَسُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾⁽¹⁾، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾⁽²⁾، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَهُوَ يُكِنُّهَا فَهِيَ لِأُخْتِ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيئُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَنْثَىٰ فَلِلَّذَاتَيْنِ فَهُمَا النِّسْبَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضْلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾⁽⁴⁾.

ومن خلال تنظيم شؤون الأسرة الموسعة في الإسلام والحفاظ على علاقتها المادية والمعنوية بالتشريع الرباني على النحو الذي تم بيانه يتبين أن هذا النوع من الأسرة لا يمثل مجرد ظاهرة اجتماعية لفترة معينة ثم تزول بفعل عوامل التغيير الاجتماعي والتطور كالذي يعرفه الغرب الذي وصل قريبا من مرحلة انقراض الأسرة مع ظاهرة الجنس الواحد والزواج المثلي، الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة... الخ.

(1) سورة النساء- الآيات: 7-9.

(2) سورة البقرة- الآية: 83.

(3) سورة النساء- الآية: 176.

(4) سورة النساء- الآية: 10.

ولكن الأسرة في الإسلام مؤسسة اجتماعية أقامتها كلمة الله فطرة، وتشريعاً، وحفظتها إلى قيام الساعة مادام هناك كتاب اسمه القرآن وإنسان مؤمن بالله ورسوله وعامل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

خامساً: قوامة الأب على الأسرة في المجتمع الإسلامي:

تفهم قوامة الرجال على النساء في نظام الأسرة الإسلامي في ضوء المساواة بين الجنسين كما تم عرضه في السمة الأولى وما تلاها من سمات المجتمع الإسلامي الأربعة السابقة، بحيث ينتفي أي تصور سلبى للقوامة على أنها استبداد أو تحكيم فسري للرجال في النساء وإخضاع لمن مجرد أمهن نسوة.

وأساس القوامة، قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾⁽¹⁾، ويراد بالقوامة في الآية الإمارة والإدارة. «تقول: فلان قائم أو قوام على أمر هذه الدار أو المؤسسة، أي إليه الإمارة فيها والإدارة لشؤونها»⁽²⁾.

ولذلك كان منصب القوامة في الأسرة الذي حمل الرجل مسؤوليته لا لذاته كذكر وإنما أوجد الشارع وظيفة القوامة وأسندها إلى الرجل بحكم أن هذه المهمة تنسجم مع طبيعته ودوره الاجتماعي الذي تميز به عن المرأة لا لأفضليته وقد تكون المرأة الصالحة التقية أكرم عند الله من الرجل أحياناً أو العكس، ودل على هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽³⁾، فالآية تسقط كل فوارق الذكورة والأنوثة أو الانتماء إلى شعب معين أو قبيلة بعينها في القرب من الله أو البعد عنه، إنما جعلت التقوى والإيمان والعمل الصالح أساس تلك القيمة عند الله تعالى.

ومن هنا فالأفضلية التي جاءت في قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ في آية القوامة، لا تعني أفضلية الرجل مجرد أنه رجل على المرأة لكونها امرأة، إنما المعنى الحقيقي والمراد من الأفضلية هو: «...أفضلية التناسب المصلحي مع الوظيفة التي يجب النهوض

(1) سورة النساء - الآية: 34.

(2) محمد سعيد رمضان البوطي - المرأة: 98.

(3) سورة الحجرات - الآية: 13.

بأعبائها»⁽¹⁾ من قبل الرجل أو المرأة. بمعنى آخر أن تكليف الرجال بمسؤوليات اقتصادية في حياة الأسرة وبذل جهود بدنية في القيام على شؤونها كلها، هي مبررات إسناد القوامه إليهم - بدلا من النساء - في المجتمع الإسلامي، وقد عمت هذه التكاليف جنس الرجال في التاريخ البشري ولا تزال إلى الآن، وذلك لعدم استطاعتهم القيام في الأسرة بتكاليف الحمل والتربية⁽²⁾. فتلك قسمة منحها الله تعالى للذكر والأنثى فكل ميسر لما خلق له. وأن الأفضلية بينهما لا تكون بسبب الذكورة أو الأنوثة ولا بنوع العمل الذي يقوم به كل منهما - بل بمدى تحقيق هذا العمل لشروط الخيرية وصدوره عن الدافعية الإيمانية والقرب من الله بصالح الأقوال والأعمال ونخالص النيات له سبحانه وحده: من الرجل أو المرأة على حد سواء بما يناسب طبيعة كل منهما ووظيفته التي لا يقوم بها غيره، ولما كان النظام سنة من سنن الله في خلق الكون واستمراره، فإن قطاع الحياة الاجتماعية في منظور الشارع لا ينفك عن هذه الخاصية ولذلك كانت القوامه في الأسرة كشكل من أشكال القيادة والإشراف على حياة الأسرة وإدارة شؤونها، وأن الجماعة إذا بلغ عدد أفرادها ثلاثة فلا بد لهم من قائد يلي أمورهم وينظم علاقاتهم حتى ولو كانوا في مجرد سفر، ويبدو هذا جليا فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال، قال رسول الله ﷺ: [«إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»]⁽³⁾، ومن المعلوم للناس جميعا أن المجتمع البشري يتألف من خلايا اجتماعية تعرف بالأسر، وأن نظامها الاجتماعي يقوم على روح المسؤولية وتقاسم الأعباء بين الذكور والإناث في إدارة أمورهم. ذلك هو النظام الذي يجب أن يسود الأسرة، ومنه ينتقل النظام إلى المجتمع كنه⁽⁴⁾. ولهذا كان الحديث في هذا للبحث عن خصائص الاجتماع الأسري في القرآن الكريم هو عينه الحديث عن خصائص المجتمع الإسلامي بمفهومه الواسع.

(1) محمد سعيد رمضان البوطي - المرأة، مرجع سابق، 101.

(2) نوير لمياء الفاروقي - النساء في المجتمع القرآني، مرجع سابق، 94.

(3) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الحج، باب قوم يؤمرون أحدهم إذا سافروا، حديث رقم: (10485): 71/8.

(4) محمد سعيد رمضان البوطي - المرأة، مرجع سابق، 99.

المبحث السابع: أسس بناء النظام الاجتماعي الإسلامي

الأساس الأول: بناء نموذج الإنسان الصالح المصلح

الأساس الثاني: بناء نموذج الأمة الوسط

الأساس الثالث: حل المسألة الاجتماعية

تمهيد:

تبين من خلال عرض مباحث الفصل الأول أن الإسلام ليس مجرد دين كما يتبادر إلى الأذهان لأول وهلة بالمعنى المحدود لكلمة دين في عرف اليهود والنصارى وسائر المذاهب والأديان الوضعية التي قصرت مفهوم الدين واحتزلته في علاقة ذات بعد واحد بين الإنسان والله في دائرة العلاقات التعبدية الفردية فقط. وإنما الإسلام دين الله ورسالته الخاتمة إلى الناس كافة باعتباره نظاما كليا في الحياة يستجيب لجميع مطالب فطرة الإنسان بما هو إنسان في تطلعاته المعنوية والمادية، الغيبية والشهودة، وما يتصل بما من مقاصد وغايات، وما يحكمها من قيم وعلاقات، فردية وجماعية، مع الله تعالى، ومع الكون والحياة في الدنيا والآخرة، ففي الإسلام عقيدة شاملة متكاملة تجيب عن أسئلة الإنسان الكلية والنهائية المتعلقة بمبدأ الإنسان، ومساره، ومصيره. وعن هذه العقيدة ينبثق نظام معرفي يرتبط فيه الإيمان بالعلم والمعرفة بالعمل، والغيب بالشهادة، والفردية بالجماعية، والدنيا بالآخرة.

كما تعرض الفصل الثاني إلى طرح التصور الإسلامي لكليات ومفاهيم الحياة الإنسانية الاجتماعية وغاياتها في منظور الرؤية التوحيدية الإسلامية مقارنة بمفاهيم وكليات الحياة الإنسانية الاجتماعية في منظور الفلسفة المادية والتصور الغربي العام للوجود. وبناء عليه فإن معرفة حقائق الحياة الاجتماعية في المنظور الإسلامي، وإدراك طبيعة مفاهيمها، والتمييز بين ثوابتها ومتغيراتها، ودرجة ملاءمتها لفطرة الإنسان وقدرتها على تلبية حاجاته المادية والمعنوية باعتدال وتوازن محكم، أمور ضرورية بلا ريب.

وكل ذلك ليس إلا السير على بصيرة لإقامة شبكة علاقات اجتماعية وفق القيم الحقيقية للمجتمع الإسلامي الذي يوفر الأسباب والإمكانات المادية والثقافية لإنفاذ أمر الله وتحقيق خلافة الإنسان والعمارة في الأرض.

ويتطلب الأمر من سعي الإنسان في الحياة وإعمار الأرض وتسخير الطبيعة لخدمة أغراضه وإشباع مطالبه إقامة النظام الاجتماعي الذي يساعد على بلوغ أهدافه بأيسر الطرق، والتكاليف.

ولابد للنظام الاجتماعي الذي هو سنة اجتماعية إنسانية من مرجعية محددة بغض النظر عن العقيدة أو الدين أو المذهب الذي يختاره الناس أو المنهج الذي يسلكونه في حياتهم هذه المرجعية الثابتة تمنحهم الوجهة التي يسرون نحوها، والأهداف التي يعملون على بلوغها، والوسائل الكفيلة بتحقيق طموحاتهم وآمالهم.

وباعتبار التوحيد أساساً للنظام الاجتماعي الإسلامي، فإن حجر الزاوية فيه هو بناء نموذج الإنسان الصالح المصلح، أو إنسان التزكية في المقام الأول والانتقال بعد ذلك، إلى تشكيل نسيج الأمة الوسط في المقام الثاني بهذا النموذج من الناس، والعمل باستمرار على تزويد المجتمع بخير خلف لخير سلف. وإيلاء المسألة الاجتماعية، أو العدل الاجتماعي في المقام الثالث العناية اللازمة حتى يستمر نسيج العلاقات الاجتماعية سليماً في مشروع نموذج المجتمع الإسلامي من الناحية الفعلية، إذ هي الضمان الأساسي لقيام النظام الاجتماعي الإسلامي في الواقع واستمراره في العطاء والتماسك، وتجسيد قيم الإيمان والإخاء والتعاون والمساواة والعدل والحرية والتكافل والإيثار بين الناس داخل المجتمع الإسلامي، وقيم التعارف والتعاون والسلم مع المجتمعات والحضارات الإنسانية الأخرى.

وعندئذ يحدث النظام الاجتماعي الإسلامي نقلة نوعية، من مستوى القسيم والمفاهيم والتصورات والمبادئ، إلى مستوى الإنجاز الفعلي في الواقع وذلك بمباشرة بناء الأسس الثلاثة بمجتمعة:

الأساس الأول: بناء نموذج شخصية الإنسان الصالح المصلح.

الأساس الثاني: بناء نموذج الأمة الوسط أو الأمة القطب.

الأساس الثالث: حل المسألة الاجتماعية.

إن وجود الفرد المسلم اليوم، وكذا الأمة الإسلامية، وأشكالاً مختلفة لحل للمسألة الاجتماعية كل ذلك قائم بممارس في الواقع، ولكنه واقع هش تنفادفه التحسرات الحاطقة، والمحاولات الفاشلة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، والإسلام وحده كفيل بحمد الإنسان

المسلم والأمة بمشاريع التغيير الناجمة المبنية على قسيم التوحيد العقدي والأخلاقية والتشريعية لضمان السعادة في الأولى والفلاح والنجاة في الآخرة. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾⁽¹⁾.

الأساس الأول: بناء نموذج الإنسان المصالح المصلح:

1- الغرض من بناء شخصية الإنسان:

إن الغرض من بناء شخصية الإنسان الفرد في المنهج الإسلامي هو تنمية قدراته الفطرية والمحافظة على توازنها كما خرجت من يد بارئها، وهي: القدرات الروحية والمعرفية، والإرادية. هذه الفطرة هي مجال عمل الدين في الإسلام بالنماء والتزكية والتوجيه، حتى تنسجم مع ما خلقت لأجله، من عبادة الله تعالى وحده والقيام بمهام الخلافة في الأرض، ولهذا كان «...الدين في الإسلام الذي نزل به القرآن والذي بينه الرسول ﷺ هو ذلك الدين الذي يقوم على تشكيل قوى الإنسان الفطرية، الروحية والمعرفية والإرادية، في معرفة الحقيقة في كل شيء (وخاصة في الإنسان)، وعلى الاستدلال بهذه المعرفة في طلب الإيمان به تعالى، وأن هذا الدين هو وحده الدين الذي تشكل به هذه القوى تشكلا سليما، وتنمو نموا خاليا من الأباطيل والأساطير، وهو وحده الذي يتحرر به الإنسان من سلطان الجماعة التي يولد وينشأ فيها، ومن سلطان عقيدتها وتراثها ومؤسساتها وآدابها ورجالها، وهو وحده الذي يتوجه به إلى معرفة الله تعالى وإلى التعبد له وحده عن قناعة شخصية وعن علم وعن انشراح في الصدر»⁽²⁾.

2- إنسان التزكية:

لقد شهدت عملية بناء شخصية الفرد في الإسلام أو «التزكية» حسب المفهوم القرآني للكلمة في العمل النبوي والتزليل القرآني بدءا بالعناية الإلهية بشخص النبي ﷺ وإعداده للمهمة الرسالية الثقيلة، وانتهاء بصياغة شخصية جيل الصحابة ﷺ وفق المعايير والقاسم الإسلامية السامية التي توجت بإخراج نموذج اجتماعي حضاري إيماني واقعي استحق تزكية الباري عزَّ

(1) سورة الإسراء- الآية: 9.

(2) على عيسى عثمان، لماذا الإسلام؟... وكيف؟: 24.

وحلّ، في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽¹⁾.

ولذلك كان "إنسان التزكية" - وسيبقى - هو الهدف الأقصى للإسلام⁽²⁾ لا يتوقف عن إيجاده باستمرار، وإخراجه للناس ضامنا لتوازن الحياة وبقاء النموذج الصالح للمصلح، وإلا حل محله "إنسان التدسية" الذي يطمس إنسانيته ويخترها في مجرد إشباع الجانب الحيواني من شخصيته والغفلة عن الله وعن هدف حياته ومصيره المنتظر.

قال تعالى: ﴿وَتَلَفَسِ مَا سِوَاهَا فَالْتَهُمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁽³⁾ وإذا انتشر وعم "إنسان التدسية" عم الفساد والطفيلان والاستضعاف في الأرض، وحلت بالناس المعيشة الضنكى ولا شك.

3- مفهوم التزكية:

ولذا وجب تحديد معنى تزكية الإنسان المسلم ومدى شمول منهاج التزكية لمحتوى الإنسان الداخلي ومحيطه الاجتماعي والثقافي الذي يتبادل معه التأثير والتأثير سلبيًا وإيجابيًا.

أ- التزكية لغة: تعني التزكية في اللغة الإصلاح والتطهر والتنمية، «يقال يزكى من يشاء أي يصلح. وتزكيهم بها: أي تطهرهم، وزكاة المال وتطهيره وتتميره وإتمامه. والزكاة: الطهارة والنماء والبركة»⁽⁴⁾.

ب- وأما التزكية في الاصطلاح: كما عرفت في تاريخ الفكر الإسلامي لدى العلماء والمفسرين وأهل التصوف، فقد ضلت قاصرة على جانب دون آخر، أحيانًا يراد بها تزكية عقائد الإنسان من الشرك، وأخرى تزكية نفسه، وأخلاقه مما ينافي سلامتها واستقامتها، وأحيانًا تزكية السلوك البشري مما يخالف الشرع... الخ

ج- المفهوم الشرعي للتزكية: إلا أن المفهوم الشامل للتزكية ينطوي عليه الوحي المتزل، وهو بلا شك عملية أوسع من المعاني المتبورة أعلاه وأشمل لظاهر كينونة الإنسان وباطنه، ومحيطه الثقافي والاجتماعي على حد سواء.

⁽¹⁾ سورة آل عمران - الآية: 110.

⁽²⁾ طه حابر العلوان - التوحيد والتزكية والعمران: 111.

⁽³⁾ سورة الشمس - الآيات: 7-10.

⁽⁴⁾ ابن منظور - لسان العرب: 1849/3.

ويتفق القرآن من حيث دلالة لفظ تزكية على الطهارة والنمو والإصلاح، مع المفهوم اللغوي إذ ورد استعماله في آيات عديدة لتأكيد نفس المعاني، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾⁽¹⁾ عن النفس البشرية وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾⁽²⁾ وقال أيضا عن وظيفة رسالة محمد ﷺ في تربية الناس وتزكيتهم كهدف رئيس وتعليمهم الكتاب والحكمة، حتى يكتمل نموهم ويشتد عودهم في الاستواء على الصراط المستقيم. قال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَقُلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽³⁾.

4- غايتنا منهاج التزكية:

الغاية الأولى: تزكية الفرد المسلم من الطغيان والاستضعاف: لما كانت النفس البشرية مفضولة على الحرية، والاستعداد للخير أو الشر، والقدرة على فعل هذا أو ذلك، تعهدا القرآن الكريم بالعناية والتوجيه السديد، كي تتجنب الإفراط أو التفريط: وتلزم حالة «الوسطية» بما يعكس عليها بالعافية والصحة النفسية والسلوكية. ذلك أن النفس التي تنشأ في بيئة يكون الإفراط فيها هو الأسلوب المتبع، تغدو معه النفس في وضع غير سوي ويميل إلى الأنانية وحب الذات والاستحواذ على كل شيء، ومن ثم تتجاوز الحد اللائق بها حيث تقترف الظلم بسبب صورته وتعتدي على حقوق الآخرين، استنادا إلى القوة أو النفوذ والتحكم في زمام الأمور دون خوف أو وجل أو انتظار حساب أمام أحد. وهذا ما يطلق عليه القرآن مفهوم «الطغيان» وقد حذر تعالى الإنسان من اقتراف هذا الجرم في حق أخيه الإنسان عندما يستقوى بالجاه أو المال أو السلطان، فيستغني بذلك كله ويتحجر ويطغى في الأرض. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ إِنَّ رَأَاهُ اسْتَفْتَىٰ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْوَجْعَىٰ﴾⁽⁴⁾، وقد يصل العبد إلى إدعاء الربوبية أو الألوهية على الناس كما في حالة فرعون.

(1) سورة الشمس - الآية: 9.

(2) سورة الأعلى - الأيتان: 14، 15.

(3) سورة الجمعة - الآية: 2.

(4) سورة العلق - الآيات: 6-8.

قال القرآن على لسان فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁽¹⁾، ﴿وَمَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرِي﴾⁽²⁾، ولذلك أمر الله تعالى موسى أن يذهب إلى فرعون حين اشتط وطغى أن يدعو إلى الله تعالى وأن يتزكى ويتطهر مما هو عليه من ضلال وجرور وإفساد في الأرض. ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُنِي وَإِهْدِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتُنَجِّنِي﴾⁽³⁾، وقال: ﴿وَلِفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طُغُوا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾⁽⁴⁾ وبذلك يصبح الطغيان من أشد الأمراض الاجتماعية السياسية فتكا بصاحبه وبعموم المجتمع حين يكون صاحبه مطلق اليد، ويمتلك كل أسباب القوة والتصرف في الرقاب والأرزاق دون وازع أو رادع. وهذه الظاهرة الاجتماعية تفرز على نطاق واسع ظاهرة سلبية- هي الاستضعاف- في صفوف عامة الناس نتيجة القهر والاستبداد حيث يفرط الناس في شؤونهم العامة وينكفئ كل فرد على شؤونه الشخصية ولا يتعاون مع غيره من أفراد المجتمع على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ثم يؤول الأمر العام إلى حالة يفقد فيها المجتمع إنسانيته، ويصبح الناس قطيعا من البشر المدجن لا يملك شيئا ولا يشارك في تقرير مصيره، ويلوذ أغلبهم بالفرار من المسؤولية ويصحب هذا الوضع ظواهر أخلاقية مشينة كالرياء والنفاق والتزلف والخيانة، والغدر، والخبث والحسد والحقد وما إليها من الآفات الاجتماعية التي تنذر بذهاب ريعهم حتى يستيقظوا من ذلمهم وهوانهم وغفلتهم، ويعودوا إلى ربهم ويدركوا إنسانيتهم الكريمة للعززة المعافاة من مرضي الطغيان، والاستضعاف، فيزكوا أنفسهم حتى ينتهي بهم المطاف إلى الوسطية التي تجسدها معرفة الطرفين بالله وبأنفسهم، فيطبع الجميع الله في بنساء علاقساتهم وتصريف شؤونهم الدينية والاجتماعية والكونية؛ بما يرضى الخالق عز وجل فتبدل أوضاعهم النفسية والاجتماعية إلى العدل والإخاء والمساواة والإحسان والتعاون وسائر أوجه البر والرحمة والتقدم المادي والمعنوي والتمكين الحضاري.

وقد وصف الباري سبحانه فئة المستضعفين بأنما مسؤولة عن وضعيتها وظالمة لنفسها إذا لم تحاول رفع هذا الظلم عن كاهلها بما يحقق لها النجاة من الخضوع للطغيان، قال تعالى: ﴿إِنَّ

(1) سورة النازعات- الآية: 24.

(2) سورة القصص- الآية: 38.

(3) سورة النازعات- الآيات: 17-19.

(4) سورة القمر- الآيات: 10-12.

الَّذِينَ تَوْفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟^(١)

وعن حالة العدل والوسطية ورد وصفه تعالى للفرد والجماعة معاً، بأن التحقق بهذه الصفة يكون مع الطاعة والإيمان والشهود على الناس بالخيرية والإيجابية الأخلاقية التي يكون الكسائن البشري فيها معاني من مرضي الطغيان والاستضعاف.

ففي شأن الفرد جاء قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا مُسَبِّحُونَ﴾^(٢) أوسطهم أعدلهم وأسلمهم من الطغيان والاستضعاف، وعن الأمة أو الجماعة الوسط قال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾^(٣) وهذا تكون الوسطية على مستوى الفرد أو الأمة هي محصلة عملية التزكية وفسق المنهج الرباني الذي يتعهد الإنسان عبر مراحل تاريخ الإنسانية كله، حين يبعث الله الأنبياء والرسل بالهداية والرسالة ليحذروهم من مغبة الطغيان والاستضعاف ويرشدوه إلى سلوك الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط حتى يحافظ على إنسانيته بوعيه وإرادته وجهاده.

ومعنى ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ في الآية، أي «زكيناكم حتى صرتم أمة عادلة معافاة مسن مرض الطغيان في قياداتكم ومرض الاستضعاف في جماهيركم الأمر الذي أهلكم للدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر وشهود مدى تطبيق الناس لذلك، ويستنتج من ذلك أنه لا يجوز لأمة أن تدعى الدعوة للإسلام ما لم تحقق العدل في حياتها وتشيعه في علاقاتها»^(٤).

الغاية الثانية: تزكية الثقافة من الطغيان والاستضعاف: لا يقف منهاج التزكية الإسلامي عند العناية بالفرد وجماعته من خطر التلبس بخطايا الطغيان أو الاستضعاف ظاهراً وباطناً، وإنما أولى البيئة الثقافية وهي المحضن الاجتماعي الذي تتشرب فيه شخصية الفرد والمجتمع قيماً سلبية وإيجابية تؤثر بطرق مباشرة وغير مباشرة على إنتاج هذا النموذج أو ذلك من الأنماط الفردية، أو الاجتماعية وإقامة المؤسسات الكفيلة بتنفيذ تلك القيم الثقافية التي تغذي أي شكل من أشكال الطغيان أو الاستضعاف أو الوسطية.

(١) سورة النساء - الآية: 97.

(٢) سورة القلم - الآية: 28.

(٣) سورة البقرة - الآية: 143.

(٤) ماجد عرسان الكيلاني - مناهج التربية الإسلامية: 136.

ويراد بالثقافة هنا: «الأفكار والقيم والنظم والعادات والتقاليد والأعراف وشبكة

العلاقات الاجتماعية بتطبيقاتها المختلفة التي تنتجها الأمة خلال ماضيها وحاضرها»⁽¹⁾.

وتؤثر الثقافة بهذا المفهوم في تكوين شخصية الفرد في المجتمع تأثيراً معنوياً بليغاً باعتبارها وسطاً حيويًا يصيغ الفرد بصيغته، كما يؤثر الوسط الطبيعي في جسم الإنسان عبر المؤثرات المادية من مناخ وتغذية وصحة ومرض وما إلى ذلك؛ لذا وجب الانتباه لما للقيم والأفكار التي تزود بها الثقافة الفرد خلال مراحل نموه ليكون واحداً من النماذج الثلاثة: إما أن يصير طاغية جباراً أو كلاً مستضعفاً، أو عدلاً وسطاً، تبعاً لتلوث البيئة الثقافية أو نقائها.

5- مضمون منهج التزكية:

إن بناء نموذج الإنسان الصالح المصلح لا يقف عند حدود إدراك معنى منهج التزكية ومقاصدها وأهدافها، وإنما يسعى إلى تحديد المضمون التربوي لهذا المنهج وجوانب الشخصية التي تكون مجالاً لعمله؛ والبيئة المحيطة بالإنسان طبيعياً واجتماعياً وما لكل ذلك من تكامل وتساند في إنجاز عملية التزكية وإنجاحها، أو إعاقتها وإفشالها.

ويرتكز مضمون منهج التزكية لتحقيق أهدافه على محورين أساسيين:

- المحور الأول: تزكية النفس الإنسانية:

- المحور الثاني: تزكية البيئة العامة:

المحور الأول: تزكية النفس الإنسانية:

يعني محور تزكية النفس الإنسانية تطهير المحترى الداخلي للإنسان، وبناء قدراته الفطرية، الروحية والعقلية والإرادية والجسمية بما يوهله ليكون إنساناً صالحاً مصلحاً وركناً مكيناً في بناء النظام الاجتماعي الإسلامي الراشد.

ويشمل محور تزكية النفس الإنسانية وبناء الجوانب الأساسية من شخصية المسلم في

الآتي:

1- البناء الاعتقادي:

(1) ماحد عرسان الكيلان - مناهج التربية الإسلامية: 137.

2- البناء العقلي:

3- البناء الروحي:

4- البناء الصحي:

1- البناء الاعتقادي:

أ- أهمية عقيدة التوحيد في الحياة:

جاء الإسلام - ولا يزال - لكي يخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، إنه رسالة تحرير للإنسان وبناء لشخصيته بناء متكاملًا وإيجابيًا بكل المقاييس.

هذه الآفاق الرحبة لعقيدة التوحيد الإسلامية؛ وآثارها الإيجابية في حياة الإنسان كل حياته على امتداد الدنيا والآخرة، هي الغاية الأولى التي بعث الله تعالى لأجلها الأنبياء والرسل على مدار التاريخ البشري لمعرفة عز وجل وعبادته وحده، ولذلك كانت العقيدة هي الخطوة الأولى في بناء الشخصية المؤمنة وتحريرها من أغلال الشرك وفوضى الاعتقاد والتهيه الفكري والنفسي، والعملية.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾، فالبناء الاعتقادي للإنسان مقدم على تكاليفه الروحية والخلقية وسائر فعالياته العملية والاجتماعية والحضارية.

وذلك لأن عقيدة التوحيد تختزن حشداً من القيم التصورية تضيء لعقل الإنسان ومدركاته ووجدانه الحقائق الكبرى في الوجود، كي يكون على بينة من أمره في علاقاته بالله تعالى، وبالكون، وبأخيه الإنسان، وبالغاية من وجوده في الحياة الدنيا، وبالمصير الأبدي الذي ينتظره في الحياة الأخرى.

بعبارة أخرى أن عقيدة التوحيد تجعل حياة الإنسان معنى محدد المعالم ومنها قويمًا يمهده بالهداية والرشاد والاستقامة في أموره كلها. لأن خصائص هذه العقيدة تنبني على قيم ثابتة

⁽¹⁾ سورة الأنبياء - الآية: 25.

«كالربانية والشمولية والتوازن والثبات والتوحيد والحركية والإيجابية.. تلتئم وتتسداخل وتتكامل لكي تشكل نسقا عقيديا، ما بلغت عشر معشاره أية عقيدة أخرى في العالم، وضعية كانت أم دينية.. ولن تبلغه أبدا..»⁽¹⁾.

ب- أثر التربية الإيمانية في السلوك العملي:

تهدف التربية الإيمانية الفعالة إلى وحدة شخصية الفرد المؤمن إذ تعمل حقائق الإيمان ترغيبا وترهيبا على إحداث توازن بين قناعات الإنسان الإيمانية وأفعال جوارحه، إذ تأتي هذه الأخيرة ثمرة طيبة للتصورات الاعتقادية واليقين القلبي. «فإذا كونا إيمانا علميا قويا حيا بالله وبالإسلام كدين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أدخلنا محركا في القلوب يحرك الإنسان إلى الالتزام بالإسلام»⁽²⁾. ويحجزه ذلك الالتزام عن الزيف والضلال والتخلي عن الحق الذي أدركه بعقله وصار عاطفة قوية في وجدانه، وتحركت به إرادته أعمالا صالحة في الحياة. إذ «الإيمان: اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان وعمل بالأركان». كما قال أكثر العلماء.

وبهذا المعنى أقر جمهور العلماء حين عرفوا الإيمان، أمثال الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، وإسحق بن راهويه، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة، وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين⁽³⁾.

وفي ذلك المعنى جاءت آيات كثيرة وأحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾⁽⁴⁾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»⁽⁵⁾.

ج- أهداف التربية الإيمانية: للتربية الإيمانية في الإسلام أهداف تحليلية منها:

(1) عباد الدين حليل - إعادة تشكيل العقل المسلم: 41.

(2) مفداد بالجن، يوسف مصطفى القاضي - علم النفس التربوي في الإسلام: 248.

(3) صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - شرح العقيدة الضحاوية: 313. وانظر: عبد المهدي عزيز الزنداني - علم الإيمان: 13.

(4) سورة الحجرات - الآية: 15.

(5) سبق لخريج الحديث في ص 30 من هذا البحث.

- الهدف الأول في التربية الاعتقادية هو تنمية التوحيد والتطهر من مظاهر الصنمية في ميادين الحياة كلها. وإلى هذا التطهر من الصنمية يشير قوله عز وجل: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالزَّكَاةِ﴾⁽¹⁾.

ولقد ذكر ابن تيمية أن: «الزكاة المقصودة هنا هي تزكية العقل والإرادة من التوجه لغير الله في الاعتقاد والطاعة، وأن هذه هي حقيقة لا إله إلا الله»⁽²⁾.

- والهدف الثاني للتربية الإيمانية، هو تنمية النظرة الكونية الصحيحة عند المؤمن الموحد لله تعالى. حيث تتجاوز نظراته محيطه الضيق في ظل معرفته بالله تعالى، ومعرفته بنفسه، ومعرفته بالكائنات التي تحيط به وتشترك معه في المخلوقية للباري سبحانه، وتنشأ بمقتضى هذا التصور علاقات بين الإنسان وبين الله غيرها بينه وبين أخيه الإنسان، غير العلاقة بالكائنات المسخرة له في الكون. «إذن... فالمؤمن بالله لا يكون ضيق النظر محدود الفكر أبداً، وما اصطلاح «الدولية» إلا ضيق محدود بالنسبة لسعة نظره، وهو جدير بأن يدعى «كونياً» أو «أفاقياً»⁽³⁾.

- الهدف الثالث للتربية الإيمانية تنمية الأنفة وعزة النفس عند الإنسان الموحد لله تعالى.

لأن الإنسان حين لا يعرف ربه حق المعرفة يطأطئ رأسه ويذل ويخضع لمن يعتقد فيهم من المخلوقات القدرة على ضره أو نفعه ولكن حين يعرف الله ربه، يستيقن أن من كانوا قبلته، يستحديهم ويستعين بهم هم عباد مثله عاجزون عن نصرته بل هم أعجز عن نصرة أنفسهم. قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادَ أَمْثَلِكُمْ﴾⁽⁴⁾، وقال أيضاً: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾⁽⁵⁾.

وأما شأن الله تعالى فهو عظيم فله كل القوة: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾⁽⁶⁾ وبيده الحياة والموت: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾⁽⁷⁾، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾⁽⁸⁾.

(1) سورة فصلت - الآية: 6-7.

(2) ابن تيمية - الفتاوى، كتاب الملوك: 97/10.

(3) أبو الأعلى المودودي - الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها: 140، 141.

(4) سورة الأعراف - الآية: 194.

(5) سورة الأعراف - الآية: 197.

(6) سورة البقرة - الآية: 165.

(7) سورة آل عمران - الآية: 136.

(8) سورة آل عمران - الآية: 145.

«فالإنسان عندما يحصل له هذا العلم، يستغني عن كل قوة من قوى العالم ولا يعود يخافها، وعندئذ لا يطأطي رأسه أمام أحد غير الله ولا يمد إليه يده بالاستعانة والاستجداء ولا يعظمه ولا يعلق عليه آماله»⁽¹⁾. وتكون عزة النفس عند المؤمن الموحد في غير كبرياء ولا خيلاء. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾⁽²⁾.

- والهدف الرابع للتربية الإيمانية هو تنمية الإيجابية المبصرة عند المؤمن، وذلك باستيقانه أن النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة لا تكون إلا على أساس الإيمان والتقوى والعمل الصالح. قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَبِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽⁴⁾. وأما دعاوى أهل الكتاب الباطلة فإن الله تعالى قد ردها وسفه أحلامهم بادعائهم الكاذب زورا وهتانا أهم أبناء الله وأحباؤه وما ذلك بمنحهم من عذابه من شيء، بل هم في ميزان الحق بشر من خلق. قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁽⁵⁾.

والإيجابية المبصرة عند الموحدين لا تؤدي إلى الاستكفاء أو الاستغناء عن الله. وإنما إلى جانبها خصلة أخرى وهي الرجائية، إذ الإنسان يصيب ويخطئ، يقوى ويضعف يغفل أحيانا ويسهر أخرى، وإذا ما فرط في جنب الله وعثرت به أقدامه، فباب الرجاء والاستغفار والتوبة مفتوح له بإذن ربه. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽⁶⁾، وقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁽⁷⁾.

(1) أو الأعلى الموهودي - الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها: 142.

(2) سورة لقمان - الآية: 18.

(3) سورة العصر - الآيات: 1 إلى 3.

(4) سورة الحجرات - الآية: 13.

(5) سورة المائدة - الآية: 18.

(6) سورة النساء - الآية: 110.

(7) سورة الزمر - الآية: 53.

- والهدف الخامس للتربية الإيمانية تنمية النزعة الفطرية إلى الإيمان والتدين عند الإنسان وتعهده بالتربية والتوجيه لأن الإنسان له دافعية إيمانية بغض النظر عن المجتمع أو الدين أو الحضارة التي يوجد فيها. فرصيد الفطرة الإيمانية خاصة تطبع كل بني آدم. «فالإنسان مجبول على أن يعتقد إن لم يجد اعتقادا صحيحا يندفع لاتخاذ اعتقادات باطنة وكما قال Pascal "إن طبيعة الإنسان مجبولة على الإيمان فإذا لم تقدم له أهداف صائبة سديدة يركز حولها إيمانه وحبّه تحول إلى عبادة أهداف خاطئة فاسدة"»⁽¹⁾.

وقبل Pascal قال الرسول ﷺ يؤكد هذه الحقيقة، حقيقة فطرية الإيمان عند الإنسان أي إنسان بقوله: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..»⁽²⁾.

وإذا كانت العقيدة الإسلامية تُعرف باسم أصول الدين، أو أسس الإيمان والإسلام فقد اتضح مما سبق أن التربية الإيمانية أو البناء الاعتقادي تحتل من بناء شخصية الإنسان الصالح المصلح في الإسلام موقع الأساس لجميع جوانب هذه الشخصية التي سيأتي الحديث عنها تباعا. ومن هذا المنطلق يمكن تحديد بعض المبادئ الهامة للتربية الاعتقادية لتوجيه المرء في هذا المجال⁽³⁾:

أولاً/ معظم رجال التربية الكبار والفلاسفة المحدثين يتفقون مع وجهة نظر الإسلام في تأسيس التربية على الأساس الاعتقادي، أو الإيمان بالله واليوم الآخر.

ثانياً/ لقد ربط الإسلام بين العقيدة والسلوك ربطاً محكماً، حيث جعل العمل دليلاً على وجود العقيدة، كما تدل العقيدة على العمل، أو دلالة المسؤولية على الجزاء.

ثالثاً/ دور العقيدة في توجيه السلوك والتأثير على تصرفات الإنسان يختلف من عقيدة إلى أخرى سلباً وإيجاباً، ضعفاً وقوة.

رابعاً/ العقيدة الحية الصحيحة قد تصبح مينة في القلوب إذا أخذها الشخص عن طريق التلقين الصوري، بعيداً عن الانفعال العاطفي بحقائقها، وضعف البصيرة والتدبر في أمورها.

(1) مقداد بالجن، يوسف مصطفى القاضي - علم النفس التربوي في الإسلام: 256.

(2) هذا شطر من حديث تم تخريجه في ص 12 من هذا البحث.

(3) مقداد بالجن، يوسف مصطفى القاضي - علم النفس التربوي في الإسلام: 287، 288.

2- البناء العقلي:

عرفنا في مبحث البناء الاعتقادي أن أولى خطوات بناء شخصية الإنسان الصالح المصلح في المجتمع الإسلامي هو الحرص على تطهير مجال الاعتقاد لديه من شوائب الشك والخرافة والوهم، وتوسيع آفاق رؤيته الإيمانية لتشمل عالمي الغيب والشهادة، وسائر ارتباطاته بالله تعالى، وبغيره من الكائنات، عن طريق شرائع الإسلام في العقائد والعبادات والمعاملات التي هي سبل غايتها وهمايتها التزكية والتطهير⁽¹⁾.

وقد بين القرآن الكريم الآثار الوخيمة لتعطيل ملكة السمع والعقل على مصير الإنسان في الآخرة، حين يفقد تبعاً لذلك معايير التمييز بين الخير والشر، وبين الصواب والخطأ في محيط العقائد والعبادات والمعاملات في مرحلة الحياة الدنيا. ومن ثمة كان جواب أصحاب النار عن سبب دخولهم جهنم هو تعطيلهم فطرة السمع والعقل فيهم حتى وردوا مورد التهلكة. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾⁽²⁾.

وعلى هذا الأساس عبر ابن عباس - رضي الله عنهما - أحسن تعبير عن جماع العقلية الإسلامية بالنظر إلى ثمارها بقوله: «فلا يسمى عاقلاً إلا من عسرف الخير فطلبه، والشر فتركه»⁽³⁾، ومن هذا المنظور في تحديد عقلية الإنسان المسلم نضع اليد على الهدف الأسمى من أهداف البناء العقلي للإنسان الصالح. فتكون بالتالي غاية التربية العقلية الإسلامية هي تزكية العقل المسلم وتطهيره حتى يميز الخبيث من الطيب، ويسعى إلى الخير ويدع الشر عن وعسى وإرادة، وطيب خاطر.

ولا مناص من الوقوف على فحوى بناء القدرات العقلية في الإسلام، ومتسجج التفكير السليم الكفيل بتعهد هذه العقلية وتنميتها باستمرار.

(1) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية للدهوة السلفية: 40.

(2) سورة الملك - الآيات: من 6 إلى 10.

(3) ابن تيمية - الفتاوى - كتاب الإيمان: 31/7.

أولاً: مفهوم العقل في القرآن:

إذن يبلغ إنسان التربية الإسلامية ذروة نضجه العقلي بإدراك الصواب من الخطأ والخير من الشر. ثم ينحاز إلى الصواب والخير عملياً في مقابل الخطأ والشر.

والعقل بهذا المفهوم في القرآن ليس وجوداً مستقلاً وإنما هو وظيفة من وظائف القلب⁽¹⁾، أو اللب. حيث أشارت إليه الآيات القرآنية في صيغة الفعل على الدوام. كقوله تعالى: ﴿أَفَلَسُمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾⁽²⁾ فالعقل وظيفة للقلب حسب ظاهر الآية، وقد جاء القلب بمعنى الفؤاد أحياناً أخرى ليدل على وظيفة تحصيل العلم والمعرفة. حيث قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽³⁾.

ثانياً: أنواع القدرات العقلية:

يتميز الإنسان بقدرات عقلية كاملة في فطرته، وتتجلى هذه القدرات في السلوك الخارجي لأفعاله العاقلة أثناء ممارساته العملية. فهناك قدرة على التأويل وتفسير الأحداث، وقدرة على التدبر والتأمل، وقدرة على الفهم والفقهاء، وقدرة على التفكير، وقدرة على التذكر للمعلومات، وقدرة على الحكمة... الخ.

وجميع هذه القدرات العقلية وغيرها مذكور في القرآن الكريم. فعلى سبيل المثال ما جاء بشأن التدبر العقلي: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهِمْ﴾⁽⁴⁾. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽⁵⁾.

ومن الجدير ذكره أن هذه القدرات يعترئها من أحوال القوة والضعف والموت كسائر قوى الإنسان الفطرية الأخرى. وأمرها موكول لإرادة الإنسان واختياره ومسؤوليته عن نفسه ككل، بمكوناتها المعنوية والمادية. وهذا الذي يفتح المجال واسعا أمام الإنسان للعناية بقدراته

(1) ماجد عرسان الكيلان - صاهج التربية الإسلامية: 138.

(2) سورة الحج - الآية: 46.

(3) سورة النحل - الآية: 78.

(4) سورة محمد - الآية: 24.

(5) سورة النساء - الآية: 82.

الفطرية وتنميتها وتطهيرها بما يحفظها سليمة من الهدر والإتلاف. وإلى ذلك تبه الخالق سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁽¹⁾، فالنفس بقدراتها الفطرية، المعنوية والمادية، تحت تصرف فاعلية الإنسان يتجه بها نحو الخير أو الشر سواء بسواء. فلو ضربنا مثلا بتدرة التدبير عند الإنسان أي إنسان، فإنسه لا محالة سينحو بها منحى واحدا من ثلاثة: «الحالة الأولى؛ تدبير لجلب ما هو نافع صائب، ولدفع ما هو ضار خاطئ، ويسمى صاحب هذه القدرة - عاقلا حكيما-.

والحالة الثانية؛ ضعف في قوة التدبير عن جلب ما هو نافع صائب، وعن دفع ما هو ضار خاطئ. ويسمى صاحب هذه الحالة - أبلها سفيها-.

والحالة الثالثة؛ طغيان في قوة التدبير لتعمل على جلب الضار الخاطئ، وإعاقة ما هو نافع صائب، ويسمى صاحب هذه الحالة - مخادعا وماكرا-.

والذي تهدف إليه التربية الإسلامية هو تنمية الحالة الأولى إلى درجة النضج، وتركيبه الأفراد والجماعات من الحالتين الثانية والثالثة»⁽²⁾.

ثالثا: أسس منهج البناء العقلي⁽³⁾:

لن تتم المحافظة على القدرات العقلية الإنسانية معافاة إلا إذا أحيطت بحماية ورعاية وتنمية على أسس منهجية تمثل فيما يلي:

1- منهج التفكير السليم:

يعتمد هذا المنهج على الإعداد الفكري السليم لعقلية المسلم حسب المفردات الآتية:

أ- النقد الذاتي:

بعد النقد الذاتي أحد العناصر الهامة في العمل الإنساني حيث يسمح بالفحص الدقيق لنتائج الأعمال، وفرز سلبها من إيجابها، وتفسير الأحداث تفسيراً سنيا وذلك بربط الأسباب

(1) سورة الشمس - الآيات: من 7 إلى 10.

(2) ماجد عرسان الكيلاني - أهداف التربية الإسلامية: 57.

(3) انظر: ماجد عرسان الكيلاني - مناهج التربية الإسلامية: من 138 إلى 161، وانظر نفس الكاتب - أهداف التربية الإسلامية: من 62 إلى

عسبائها دون تجني أو تبرير. وقد اعتبر القرآن النقد الذاتي قاعدة أساسية في تحمل المسؤولية عن الأعمال الفردية أو الجماعية، مما يسهل إصلاح الأعطاب وتجاوز عوامل الإخفاق، وإعادة الكرة جليبا للمصالح ودرءا للمفاسد.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾⁽¹⁾، وقال أيضا: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾⁽²⁾.

ولنا عبرة في قصة آدم عليه السلام وإبليس، مشهدا صريحا في ممارسة النقد الذاتي وتحمل المسؤولية وعدم إلقاء اللوم على إبليس بعد الأكل من الشجرة التي نهاها الله تعالى عنها. فاعترفا بذنبيهما وتابا إلى الله. قال الله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيَ لَكُمْ لِمَنِ النَّاصِحِينَ فَذَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽³⁾.

تبين من قصة الشجرة أن الذي أوقع آدم في الغواية ومخالفة أمر الله هو إبليس ولكن في النهاية اعترف آدم وزوجه بتحمل المسؤولية ونقد الذات بالتوبة إلى الله والإنابة ورجاء صفحه وغفرانه.

في مقابل نقد الذات في هذه القصة مع آدم وزوجه نقف على عدم الاعتراف بالمسؤولية واللجوء إلى التفكير التبريري حين نسب إبليس الإغواء إلى الله سبحانه ظلما وزورا، بل كسان السبب وراء عدم سجوده لآدم الحسد والتميز العنصري والاعتزاز الأجوف بأصل العنصر الذي خلق منه وهو النار، في مقابل عنصر الطين الذي خلق منه آدم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنْ خَلْقِنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنْ

(1) سورة الشورى - الآية: 30.

(2) سورة النجم - الآية: 32.

(3) سورة الأعراف - الآيات: 19 إلى 23.

السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ
 مِن طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ
 فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ
 الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
 أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ⁽¹⁾، فكلمة «فبما أغويتني» هي الدالة صراحة على الفكر التبريري لموقف
 إبليس الذي يحاول أن يتهرب من مسؤوليته ويلقيها على الله عز وجل.

وهذا يصير النقد الذاتي لازمة من لوازم التربية العقلية التي ينبغي أن ينشأ عليها المسلم
 الصادق المنصف لنفسه ولغيره، لأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية من أمر الخليفة فيما يضمرونه
 وما يظهرون من النيات والأقوال والأعمال.

ب- التفكير الشامل:

يعتبر التفكير الشامل من أهم الأسس المنهجية في البناء العقلي ويقصد بالتفكير الشامل
 الإحاطة بالأمر المدروس من جميع جوانبه والنفاد إلى أجزائه وعلاقاته وآثاره. واستبعاد التفكير
 الجزئي الذي يرتبط عادة بالسطحية والجمود والتقليد في أدوار الانعطاط الحضاري.

ويرتبط التفكير الشامل بالرسومخ في العلم وهو ما يوافق حالات النسهوض الحضاري
 والاجتهاد والتجديد في مجالات العلم المختلفة ويؤدي التعمق فيه إلى الإيمان. قال تعالى:
 ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾⁽²⁾.

كما يؤدي التفكير الجزئي الناقص إلى الغفلة عن الحقيقة كلها وغالبا ما يكون مرتبطا
 بالكفر والتكذيب بالحق، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
 غَافِلُونَ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَاوِيلُهُ﴾⁽⁴⁾.

ج- التفكير التجديدي: يتساقق التفكير التجديدي مع الحيوية الفكرية والنظر الناقد
 عند المؤمن الحصيف حيث يجمع بين قراءة آيات القرآن وقراءة آيات الآفاق والأنفس في الواقع

(1) سورة الأعراف- الآيات: 11 إلى 17.

(2) سورة آل عمران- الآية: 7.

(3) سورة الروم- الآية: 7.

(4) سورة يونس- الآية: 39.

ويفهم هذا بذاك. امتثالا لأمر الله بالقراءة في الكتابين المسطور وهو القرآن، والمنظور وهو الكون بآياته في الآفاق والأنفس وتسخير السنن الإلهية في العمارة والسيادة للحق وأهله في الأرض. قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْسِرًا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁽¹⁾، ونتيجة القراءة هذه ستفضي بالإنسان إلى وضع اليد على الحقيقة بشمولها غيبا وشهادة، قال تعالى: ﴿سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ اللَّهُ الْحَقُّ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽²⁾.

أما الصورة المغايرة للتفكير التجديدي فهي التفكير السكوني الأبائي المقلد سواء قبع هذا التفكير على نماذج تاريخية لا يتجاوزها، أو قبع بأخرى جديدة وافدة كحال المفكرين الحدائين أو العصرانيين الذين ولوا وجوههم شطر الغرب وتبنوا أفكاره وقيمه ورؤاه الكونية، لا يضيفون إليها شيئا ولا يتجاوزونها قيد أملة.

والنموذجان التاريخي والحدائي يشتركان في جذر واحد وهو التقليد والسكون وتعطيل القوى العقلية التي أوجدها الله تعالى في كل إنسان لتشغيلها وتفعيل دورها لتجديد الفكر والحياة على هدى وبصرة. ومن هنا لفت القرآن انتباهنا إلى حقيقة أصحاب ظاهرة التفكير المقلد وأثر تعطيلهم لوظيفه العقل وما ينتج عن ذلك من مظاهر سلبية مدمرة للعقيدة والحياة معا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾⁽³⁾ وقد استنكر عليهم القرآن هذا الموقف وطلب منهم أن يتحرروا من الآبائية التي قد توردهم المهالك والزيغ، قال تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1) سورة العلق - الآيات: 1 إلى 5.

(2) سورة فصلت - الآية: 53.

(3) سورة الزمعر - الآية: 23.

(4) سورة البقرة - الآية: 170.

د- التفكير العلمي:

يعني التفكير العلمي في توجيهات القرآن الكريم بناء العقلية الإسلامية على عدم التسرع وإصدار الأحكام جزافاً قبل استكمال المعلومات والتأكد من صحتها والتعرف على الحقيقة كاملة بالحجة والبرهان الذي ينتفي معه الخرص والظن والهوى.

قال الله تعالى ملفتاً الانتباه إلى ضوابط التفكير العلمي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾⁽¹⁾. وحذر من تبديد طاقات السمع والبصر والفؤاد فيما لا طائل من ورائه، وقبل توفر الأدلة العلمية الكافية: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽²⁾.

هـ- التفكير السنني:

أن يكون الفكر سننيا يعني أن تكون العقلية عنمية تسلم بداهة أن جميع ظواهر الكون وأحداثه لا تحدث إلا وفق سلسلة من النظم والقوانين التي جعلها البارئ تعالى وربطها بكم هائل من الأسباب والعلاقات، التي من وظيفة العقل العلمي السنني اكتشافها وتسخيرها لنشر الخير وتعميمه في الأرض بوضع العلوم وتطبيقاتها التقنية.

وتستبعد العقلية السننية في فهم طبائع الكائنات وفطرها التفكير الخرافي وتزويره، وكذا التفكير الخوارقي الوهمي لضمان الاطراد في التقدم العلمي والازدهار الحضاري. وكل ذلك من مستلزمات العلم والإيمان في عقيدة التوحيد.

مع هذا الأساس المنهجي الخامس من أسس بناء العقلية الإسلامية تكون حلقة البناء العقلي قد استكملت أهم أدوارها في منظور تزكية العقل وتربيته في ضوء القرآن كتاب الإيمان والإسلام والحياة بجميع صورها وحاجاتها، وإذا أريد لعملية البناء العقلي أن توثق أكلها بإذن ربها لا بد أن توفر لها الإطار أو المحضن الذي تينع فيه أزهارها وتثمر، هذا المحضن لن يكون إلا الحرية اللازمة لتنمية القدرات العقلية والتفكير السليم.

(1) سورة الحجرات - الآية: 6.

(2) سورة الإسراء - الآية: 36.

«لذلك يمكن القول- جزما وتأكيدا- أن الحرية في الأمة المسلمة هي فرض عين وعلى الجميع القيام بها وممارستها وتوفيرها وحمايتها من الطغيان الداخلي ومن العدوان الخارجي. وإذا غابت الحرية وقع الإثم على الجميع وذلك لسببين: الأول؛ إن الحرية سبب رئيسي لنمو القدرات العقلية التي يفهم القرآن بواسطتها وتفهم آيات الله في الآفاق والأنفس، فإذا لم توجد هذه القدرات العقلية اقتصر الإنسان على تلاوة آيات الله وحفظ آيات الله في الآفاق والأنفس دون فهم لمقاصدها النهائية وتحويل كالحمار يحمل أسفارا.

والثاني؛ أن غياب الحرية يؤدي إلى ضعف القدرات العقلية وضورها- وإن كانت موجودة- مما يهدد لعودة الصنمية والوثنية والتخلف. فالحرية هي مظهر التوحيد، والتوحيد في جوهره حرية، لأنه تحرر من عبودية الأشخاص والأشياء والأفكار الخاطئة أو الخرافية»⁽¹⁾.

3- البناء الروحي:

يعمل البناء الروحي للشخصية الإسلامية جنبا إلى جنب مع البناء الاعتقادي، والبناء العقلي، على مدها بقوة معنوية تزيد من صلاحها وخيريتها واستقامتها ولذلك أولى الإسلام كتابا وسنة هذا الجانب العناية اللازمة، وجعل الفرد المسلم دائم الصلة بالمدد الروحي الذي لا ينقطع في كل الأحوال والظروف. فعلى صعيد الصلة بالقرآن لا يزال يمد العقل المسلم بالحقائق عن الغيب والشهادة ويذكره كلما اقترب منه بزاد لا ينضب معينه ليلا ونهارا، وهذا شأن كل مؤمن يحافظ على هذا الجبل المتين.

وقد شرع الإسلام للفرد والجماعة عبادات تلم التحفز الروحي وتشحذه باستمرار في دورات متكررة مع الصلاة خمس مرات في اليوم، ومع الصيام شهرا واحدا في السنة وكذلك حين يحول الحول مع الزكاة، ومرة في العمر مع الحج إلى بيت الله الحرام.

«فهذا النضج الروحي والثقافي والمعرفي للقرآن الكريم وبيانه النبوي تبع لا ينضب. حيث لا تتم عبادة المسلم إلا بتلاوته سرا وجهرا وسماعا وتأملا وتدبرا، في يوم المسلم وليلته، إضافة لتحقيق الولادة الجديدة للأمة في كل عام، حيث يسعى المسلمون من شتى البقاع إلى أرض

(1) ماحد عرسان الكيلاني- أهداف التربية الإسلامية: 78. وانظر: محمد نجي عثمان- من أصول الفكر السياسي الإسلامي: 223 وما

بعدها.

النبوة للعيش ولو لأيام على أرض ولادة المجتمع الأول، الذي حمل الحضارة للعالمين،
وحقق المساواة والتكافل مع (الأخر)، وألغى فوارق وحواجز الزمان والمكان...»⁽¹⁾.

ولكي تسهم التربية الروحية في البناء التكاملي لشخصية الإنسان الصالح المصلح مع سائر
الجوانب الأخرى وجب تحديد مجالاتها كالآتي:

أ- مجال العبادة:

تعمل التربية الروحية على تعويد الناشئ المسلم منذ صغره على أداء بعض الفرائض:
كالصلاة مثلا، وذلك حتى تأنس نفسه وتنقاد روحه شيئا فشيئا لطاعة الله عز وجل، وطبقا
لهذا الأمر نرى النبي ﷺ يأمر بالبداية بتعليم صبيان المسلمين أحكام الصلاة وأدائها عند بلوغهم
سن السابعة وإجبارهم عليها إذا بلغوا سن العاشرة ولو بالضرب، غير المبرح حتى يتعودوا على
الصلاة ولا يتركوها، عن عبد الملك بن الربيع بن سيرة عن نزيل جده قال، قال رسول الله ﷺ:
[«علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر»]⁽²⁾ قال أبو عيسى حديث
حسن صحيح.

وكذلك الحال بالنسبة للصيام والزكاة والحج حين يبلغ الإنسان المسلم وتجب عليه شرعا
فيؤديها مع الصلاة طاعة لله عز وجل وتقربا إليه وامتناناً لأمره.

وتلي العبادة في حياة المسلم من حيث الأهمية والمكانة والقبول، العقيدة الإسلامية ولا
تأخر عنها «فالعبادات وأركان الدين هي حجر الزاوية في نظام الدين كله، يواخذ عليها العبد
ويحاسب يوم القيامة، أما الأمور الأخرى فهي وسائل وفي درجة ثانوية في الدين»⁽³⁾.

ولا يقتصر الأمر في التربية الروحية على مجرد التعود على أداء الصلاة أو غيرها من
العبادات الإسلامية، فتلك البداية التي تنطلق منها التزكية للمسلم، ولا بد من دعمها بالصحة
الخلقية والنفسية معا.

(1) عمر عبيد حسنة - الوراثة الحضارية: 43.

(2) سنن الترمذي - كتاب الصلاة عن رسول الله، باب ما جاء من يؤمر الصبي بالصلاة، حديث رقم: (407): 259/2.

(3) أبو الحسن علي الحسيني الندوي - العقيدة والعبادة والسلوك: 83، وانظر نفس المؤلف - التفسير السياسي للإسلام.

ب- مجال الأخلاق الحسنة:

من شأن عقيدة التوحيد في الإسلام أن تنعكس على صفحة النفس الإنسانية بإشرافها ونقائها أخلاقياً، وأن لا تترك فراغاً مملأه الأخلاق السيئة من مثل النيات والإرادات الدنيئة، التي تعد «عصابة الجرائم في الجسم فكما أن تلك الجرائم تكون سبباً للأمراض الجسمية فكذلك تكون مثل تلك النيات والإرادات تجعل الروح مريضة ولهذا عبر الله عن تلك الإرادات والنيات السيئة بالمرض»⁽¹⁾.

فقال الله تعالى في ذلك: ﴿لِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾⁽²⁾، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾⁽³⁾ ورجس القلوب في الآية فاسد النيات والنفاق وسئ الأخلاق والمعنويات.

وعلق الباري تعالى الفوز النهائي والنجاح الأخروي للإنسان بسلامة القلب مسن سئ الأخلاق، وغوائل النفس، ومكايد الشيطان وحبائله، وحب الدنيا وإيثارها على الآخرة. فقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽⁴⁾.

وتقوم التركيبة الخلفية للنفس الإنسانية وتطهير القلب البشري في المنهج النبوي القرآني على الأسس الآتية⁽⁵⁾:

• الإخلاص: قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾⁽⁶⁾.

• التوبة المخلصة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾⁽⁷⁾.

• الصبر والعفو: قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾⁽⁸⁾.

(1) مقداد باهجن، ويوسف القاضي - علم النفس التربوي في الإسلام: 323.

(2) سورة البقرة - الآية: 10.

(3) سورة التوبة - الآية: 125.

(4) سورة الشعراء - الآية: 89.

(5) أبو الحسن علي الحسن النوبختي - العقيدة والعبادة والسلوك: 154 وما بعدها.

(6) سورة البينة - الآية: 5.

(7) سورة التحريم - الآية: 8.

(8) سورة الشورى - الآية: 43.

- مراقبة الله: قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁽¹⁾.
- التقوى: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾⁽²⁾.
- التوكل: قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾.
- الاستقامة: قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾⁽⁴⁾.
- الاعتصام بالكتاب والسنة: قال تعالى: ﴿إِن تَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَسُرُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾⁽⁵⁾.
- حب الله ورسوله: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾⁽⁶⁾، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁷⁾.
- الأخوة الإسلامية: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽⁸⁾.
- أداء الأمانة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾⁽⁹⁾.
- الإصلاح بين الناس: قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾⁽¹⁰⁾.
- التواضع: قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹¹⁾.

(1) سورة الحديد - الآية: 4.

(2) سورة آل عمران - الآية: 102.

(3) سورة إبراهيم - الآية: 11.

(4) سورة هود - الآية: 112.

(5) سورة النساء - الآية: 59.

(6) سورة البقرة - الآية: 165.

(7) سورة آل عمران - الآية: 31.

(8) سورة الممتحنة - الآية: 10.

(9) سورة النساء - الآية: 58.

(10) سورة الأنفال - الآية: 1.

(11) سورة الحجر - الآية: 88.

• الخوف والرجاء: قال تعالى: ﴿وَأَيُّ فَارِثِينَ﴾⁽¹⁾، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾.

• الزهد في الدنيا والتقليل منها: قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَجْرًا﴾⁽³⁾.

• الإبتار: قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽⁴⁾.

• تحريم الكبر والفساد: قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽⁵⁾.

وقد استفاضت السنة في بيان مكارم الأخلاق ومحاسنها التي أخذ النبي ﷺ نفسه بها قبل غيره، حتى بلغ الغاية من تمذيب الأخلاق وتزكية النفس⁽⁶⁾.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»⁽⁷⁾.

عن قتادة عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»⁽⁸⁾.

(1) سورة البقرة - الآية: 40.

(2) سورة الزمر - الآية: 23.

(3) سورة الكهف - الآية: 46.

(4) سورة الحشر - الآية: 9.

(5) سورة القصص - الآية: 83.

(6) أبو الحسن علي بن الحسين النوري - المعقدة والعبادة والسلوك: 153.

(7) سنن ابن ماجه - كتاب الزهد، باب النية، حديث رقم: (4227): 1413/2.

(8) صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان، حديث رقم: (15): 14/1.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»⁽¹⁾، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وعن عمير الداري قال، قال رسول الله ﷺ: «إنما الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»⁽²⁾.

عن أنس بن مالك قال، ما عطينا نبي الله ﷺ إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»⁽³⁾.

واضح من هذه الأحاديث الشريفة أنها تدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها وتربطها بالإيمان وسلامة الطوية، وتنفر من سبب الأخلاق والنفاق وما يتبعها من عمل وسلوك.

إن التوجيه القرآني النبوي لأخلاق المسلم وحمايته من الترددي والتدسية والوقوع في حبال النفس والشيطان، والعمل على تزكية العقيدة والفكر والسلوك وتعهدها بالتنمية والترقي لهي من مقاصد بناء شخصية سليمة صالحة مصلحة فعالة تقوى على تغيير إيجابي في المجتمع والتاريخ.

وعلى هذا الأساس تعهد الإسلام البناء الروحي للإنسان المسلم من خلال العبادة والأخلاق الحميدة التي يمارسها بشكل فردي أحيانا وفي إطار الجماعة أو المجتمع أحيانا أخرى لكي يكون لبنة صلبة في بناء الحياة الاجتماعية والمحافظة عليها باستمرار.

4- البناء الصحي:

إذا كانت عناصر التزكية السابقة ذات طابع معنوي فيما يتعلق بالبناء الاعتقادي والبناء العقلي الفكري والبناء الروحي الأخلاقي والاجتماعي للشخصية الإنسانية، فإن جانبه المادي الجسمي، والذي يشكل مع الجانب المعنوي مجمل حقيقة الكينونة الإنسانية فقد أولاه الإسلام عناية فائقة بما يحفظ عليه قدراته الفطرية بجميع أبعادها كما تكفل له بصيانة محيطه الداخلي

(1) سنن الترمذي - كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في أن المسلم من سلم...، حديث رقم: (2627): 17/5.

(2) سنن النسائي - كتاب البهجة، باب النصيحة للإمام، حديث رقم: (4148): 156/7.

(3) مسند أحمد - كتاب مسند أنس بن مالك، باب أنس بن مالك، حديث رقم: (11975): 594/3.

والخارجي وأحاطه بتشريعات ربانية وتوجيهات سلوكية في غاية الأهمية بما يجلب له السعادة والفلاح عند التزام أوامر الله ونواهيه والافتداء برسوله ﷺ في ممارستها بتوسط واعتدال.

وفي منظور الإسلام، الإنسان وحدة متكاملة فطريا، فهو يتصرف ببعديه المادي والمعنوي في آن واحد، ومن ثمة لا يمكن الفصل بين النفس والجسم، فلا يمكن الحديث عن نشاط جثماني مفصولا عن نطاق النفس، ولا عن نشاط نفسي لا يدخل في نطاق الجسم، «السمع والبصر والذوق والشم واللمس كلها حواس، حواس جسمية، ولكنها لا تؤدي وظيفتها منفصلة عن الكيان النفسي كله»⁽¹⁾.

قال الله تعالى عن الذين يفصلون حواسهم عن وعيهم كما يفعل الكفار عادة: ﴿وَلَهُمْ أُعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾⁽²⁾.

والجسم باعتباره عضلات وعظاما وأحشاء وأعصابا، ظاهرها جسمي وتركيبها كذلك، لا وراء فيه. غير أنها في مجموعها تعبر عن «طاقة حيوية» متحركة لغاية نفسية مرتبطة بما أشد ارتباط⁽³⁾. حيث يتعدى الفصل بين وظائف الأعضاء والجانب النفسي من كيان الإنسان فبينهما تأثير متبادل لا يخفى على المتأمل في طبيعة حياة الإنسان، وسلوكه البشري.

وعناية الإسلام بجسم الإنسان وحفظ طاقته الحيوية من الهدر والضياع وعدم التوازن والقسط من أهم أسس تربية الإنسان في الإسلام، إذ «... يراعى الجسم من حيث هو جسم، ليصل منه إلى الغاية النفسية المرتبطة به، فحين يقول الرسول الكريم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال، قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله أم أحر أنك تصوم النهار وتقوم الليل، قلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل. صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا...»⁽⁴⁾: من إطعام وإراحة وتنظيف وتقوم، فهو يدعو إلى هذه العناية الشاملة

⁽¹⁾ محمد قطب - منهج التربية الإسلامية: 104.

⁽²⁾ سورة الأعراف - الآية: 179.

⁽³⁾ محمد قطب - منهج التربية الإسلامية: 105.

⁽⁴⁾ صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، حديث رقم: (4903)؛ (5/1995).

بالجسم كله، ليأخذ (الإنسان) النصيب من المتاع الحسي الطيب الحلال الذي أمر الله به في توجيهاته الكثيرة: ﴿وَلَا تَنْسَ لِنَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾⁽¹⁾، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾⁽²⁾، أي لغاية نفسية مقامة على قاعدة جسمية، ثم ليوفر الطاقة الحيوية اللازمة لتحقيق أهداف الحياة، وهي أهداف تشمل كل كيان الإنسان»⁽³⁾.

وتدخل بصورة عامة كل توجيهات النبي ﷺ: من مزاولة الفروسية، والسباحة والرماية، هذه المهارات التي تعود على جسم المسلم بفائدة يقصد منها تقوية الجسم وترويضه على تحمل المشاق والاستعداد الدائم لبذل الجهد بما يخدم الأمة والدين.

ولو تدبرنا في واجبات المسلم التعبدية أو في عادات الحياة الإنسانية اليومية وكيفية ممارستها على نسق واحد لاستطعنا أن نتصور منها إسلامياً في مجال التربية الجسمية له منطلقات وغايات محددة، تعنى بالنفس والجسد معاً.

أ- صحة الجسم في العبادات الإسلامية:

• على مستوى الوضوء: فضلاً عن أن الوضوء فريضة على كل مسلم، حيث لا تقبل صلاة من دونه، فإن آثاره المتعددة على الجسم والنفس ذكرت مرارا وتكرارا في أحاديث النبي ﷺ. ومن الأحاديث التي جمعت بين الأمرين: النفس، والجسم في مسألة الوضوء. عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: [«إذا توضأ العبد المسلم، أو المؤمن، فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء- أو مع آخر قطر الماء- فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء- أو مع آخر قطر الماء- فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء- أو مع آخر قطر الماء-، حتى يخرج نقياً من الذنوب»]⁽⁴⁾.

ومع ذلك فقد أحصى العلماء فوائد صحية حمة للوضوء من بينها: وقاية العين من الإصابة بالرمد، وتطهير الأنف من الجراثيم التي تتجمع فيه بين وضوء وآخر. ووقاية الجلد من الأمراض

(1) سورة القصص - الآية: 77.

(2) سورة الأعراف - الآية: 33.

(3) محمد قطب - منهج التربية الإنسانية: 105.

(4) صحيح مسلم - كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع الوضوء، حديث رقم: (224)؛ (215).

الجلدية حين غسله عدة مرات في اليوم. ووقاية بطن الإنسان وجوفه من الجراثيم التي تنتقل عبر الأيدي الملوثة، حيث تخلو الأيدي المتوضئة باستمرار من الجراثيم في أغلب الأحوال⁽¹⁾.

ويلحق بنظافة الوضوء عناية الإسلام في عباداته وفي غيرها من الحالات بوجوب طهارة الثوب إذ يعد ذلك من شروط صحة الصلاة وكذلك طهارة مكان الصلاة.

وللتذكير فإن لهذا أثر فعال في وقاية الإنسان من أمراض فعلية أو محتملة بلا ريب وقد كان للعناية بتنظيف الشعر، وقص الأظافر والختان وشف شعر الإبطن توجيه نبوي كريم، لما لذلك من أثر نفسي وصحي على مخبر الإنسان المسلم ومظهره.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الفطرة خمس أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحدا، وشف الإبطن، وتقليم الأظافر، وقص الشارب»⁽²⁾.

وقد جعل الإسلام للفم والأسنان عناية بنظافتهما حيث سن النبي صلى الله عليه وسلم السواك لتطهير الفم والأسنان، فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «لولا أن أشق على المؤمنين - وفي حديث زهير: على أمي - لأمرهم بالسواك عند كل صلاة»⁽³⁾.

إذن فالنظافة لازمة من لوازم حياة المسلم التعبدية والاعتيادية، كذلك فإن التغذية من حيث نوعها ومقدارها حازت العناية في القرآن والسنة حتى يستفيد الإنسان من هذه النعم التي جعلها الله تعالى رزقا لعباده.

وقد أمرنا سبحانه وتعالى أن نتعدل في المأكل والمشرب ولا نغالي أو نسرف إلى الحد الذي يلحق الضرر بالمال والصحة معا. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁽⁴⁾.

(1) مفقود بالجن، ويوسف القاضي - علم النفس التربوي في الإسلام: 407.

(2) صحيح البخاري - كتاب اللبس، باب قص الشارب، حديث رقم: (5550)؛ 2209/5.

(3) صحيح مسلم - كتاب الطهارة، باب السواك، حديث رقم: (252)؛ 220/1.

(4) سورة الأعراف - الآية: 31.

هذا عن الأمر بالاعتدال في المأكل والمشرب فيما هو حلال طيب، أما ما هو حرام خبيث من المأكل والمشرب فقد أمر الله تعالى بالابتعاد عنه، لأن الأطعمة المحرمة تلحق الضرر بالجسم والعقل والمال عاجلا أم آجلا.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَرِيرَ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾.

وقد ثبت بالتجربة أن هذه المحرمات من الأطعمة مرتع خصب للميكروبات الحاملة للأمراض، أو لأنها تفقد خواصها المفيدة للجسم إلى غير ذلك من العلل والأسباب الموجبة للتحريم.

وقد حرم القرآن الخمر والقمار وما إليها من الموبقات المهلكات كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

وبهذا يشمل منهج التغذية الإسلامي كل ما ينفع الجسم، وما يناسبه من المقدار الذي تتحقق به الصحة وتقوم الحياة في يسر واعتدال. وما يتعد عنه من الأطعمة والأشربة المضرة للصحة والمال.

ولم يقتصر الإسلام في منهجه الصحي على النظافة والتغذية، وإنما تعهد جسم الإنسان كذلك بالنشاط ومزاولة الرياضة حتى يقوى الجسم على مغالبة الأمراض والتمتع بعافية الصحة كي يقوى المؤمن على أداء واجباته نحو ربه، ونفسه ومجتمعه بكل همة ونشاط.

ومن هنا ندرك أن العناية بالبناء المتكامل لشخصية الفرد المسلم من أولى أولويات المنهج الإسلامي، «والهدف من هذا الاعتناء المتكامل، هو تثبيت العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، حتى يعبد الله عن يقين ومعرفة. هذا إلى جانب السعي في الدنيا وطلب الرزق والعمل للثمر

(1) سورة البقرة - الآيات: 172، 173.

(2) سورة المائدة - الآية: 90.

الصالح. وهذه الأمور تتطلب ضمن ما تتطلب أن يكون المسلم قويا صحيح الجسم حتى يتمكن من تأديتها حق أدائها، ويقوم بها على أحسن وجه ممكن»⁽¹⁾.

المحور الثاني: ترقية البيئة العامة:

تبين من خلال عرض المحور الأول لمنهاج الترقية المتعلقة بتربية النفس الإنسانية أن النموذج الإنساني الذي تصبو إليه التربية الإسلامية هو النموذج الوسط العدل الذي يتعد في صياغته عن الإفراط والتفريط كي لا يكون في مسرعة الاجتماعية طاغية أو مستضعفا بل رجلا عدلا عابدا لله وحده مستقيما في فكره وسلوكه إنجابيا في مواقفه وأعماله.

غير أن للبيئة العامة المحيطة بالإنسان، طبيعة ومحتما وحضارة ونظما اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية تأثير لا يستهان به في المساعدة على ترقية الشخصية الإنسانية أو إعاقتها بنفس الدرجة.

ولذا وجب الانتباه إلى ضرورة ترقية البيئة العامة نفسها حتى تساعد على إخراج الإنسان الصالح المصلح الذي سيكون اللبنة الأساسية في إيجاد الأمة الوسط التي ترسي قيم الإيمان والعدل في محيط الإنسانية ككل داخليا وخارجيا.

ويمكن تناول البيئة العامة المحيطة بالإنسان في ثلاثة:

1- ترقية البيئة الدينية الثقافية:

2- ترقية البيئة الاجتماعية السياسية:

3- ترقية البيئة الطبيعية:

1- ترقية البيئة الدينية الثقافية:

تطهير البيئة العامة من المفاهيم الدينية الخاطئة في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، وتزويد الناشئة بالقيم الصحيحة عن الدين، وتعميم ذلك على المحاضن الاجتماعية الأساسية من أسرة ومدرسة ومؤسسات اجتماعية من أركان الواجبات العامة في الدولة والمجتمع.

(1) مقنن بالبن يوسف القاضي - علم النفس التربوي في الإسلام: 414.

لأن متزلة الدين من التربية الفردية والاجتماعية في تنشئة الإنسان بالغة الخطورة إن ترك هذا الأمر بدون عناية وتوجيه من الإرادة الجماعية للأمة فإنه لا يؤمن أن تظهر صيغ متعددة لأشكال الدين المنحرف فكريا واعتقادا وسلوكا تتضاد إرادتها وتتنافر مما يؤذن بالفرقة والاهتار الاجتماعي. وبناء على ذلك فإن تركية البيئة العامة دينيا يقوم أساسا على أمرين:

أ- فقه الدين: أو فهم الدين المتزل كما أراده الله تعالى منها كما في المعرفة والاعتقاد والأخلاق والتشريع لأمر الحياة يحفظ طاقات الإنسان الحيوية ويمسك لحمه الحياة الاجتماعية ويقويها ينظم الحياة الدنيا للفرد والجماعة ويقوم العدل والقسط في الناس، ويهدي للتي هي أقوم. والحياة في تصوره دنيا وآخرة لا انفصال بينهما من حيث أن مسؤولية الإنسان قائمة فيهما على السواء، إذ سيلقى جزاءه على معتقداته وأعماله في العاجلة والآجلة، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ب- حسن التدبير: إن الفهم السليم للدين والإدراك الصحيح لمفاهيمه ومقوماته، هي المقدمات الأساسية لجعل الإنسان يحسن التدبير، أي القيام بواجباته الدينية في علاقاته بربه وبنفسه وبمجتمعه وبسائر البشر، كما أمر الله تعالى ونهى. لأن طبيعة الدين الحق هي ضبط نوازع الإنسان ودوافعه الحيوية بما يحقق التوازن في شخصية الإنسان والمجتمع، وحمايتهما كذلك من تبديد الطاقات الإنسانية في غير الإصلاح والإعمار في الأرض.

وهذا يستلزم بطبيعة الحال أن تسهم الثقافة السائدة في المجتمع والتي ينتجها عبر تاريخه وتجاربه الاجتماعية لتحسيد القيم الدينية والأخلاقية والمعايير الجمالية المتعارف عليها. تركية الثقافة في حد ذاتها أي تطهيرها من العناصر الفاسدة والميتة وتجديدها بالعناصر الحية الطيبة كلما دعت الضرورة، لأن الإنسان في المجتمع يتشرب القيم والعادات من ثقافة المجتمع بشكل آلي ويصطبغ بصبغتها دون وعي منه في أحيان كثيرة لأن «الثقافة ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون أخرى، بل هي دستور تتطلب الحياة العامة، بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي... وعلى ذلك فإن الثقافة تتدخل في شؤون الفرد، وفي بناء المجتمع، وتعالج مشكلة القيادة فيه، كما تعالج مشكلة الجماهير...»⁽¹⁾.

(1) مالك بن نبي - شروط النهضة: 86.

ولما كانت الغاية من تزكية الفرد في التربية الإسلامية هي تحرير شخصيته من الاستقطاب لفئة "الطغيان" أو "الاستضعاف"، وإنما للحفاظ عليه إنساناً حراً عدلاً متوازناً. فإن محيط هذه الشخصية العام ثقافياً ينبغي أن يتطهر من ثقافة الطغيان والاستضعاف وإشاعة «ثقافة العدل»⁽¹⁾. وتتم تزكية المحيط الثقافي بعمليتين اثنتين:

الأولى: تحليل الثقافة السائدة وتشخيص مكوناتها الإيجابية والسلبية في حياة المجتمع، والوقوف على العناصر المنتجة للطغيان والاستضعاف، والمعيقة لحالة العدل والاعتناق.

والثانية: عزل العناصر السلبية في الثقافة عن العناصر الإيجابية، وتزويد الثقافة العامة بالبدائل الإيجابية المساعدة على تزكية الفرد وتنمية محيطه الثقافي الاجتماعي وبناء المؤسسات العامة لدفع عملية التطهير والتزكية إلى أبعد مداها.

2- تزكية البيئة الاجتماعية السياسية:

أ- تزكية البيئة الاجتماعية:

يولد الإنسان على فطرة مستعدة لقبول التأثيرات الاجتماعية والثقافية كي يصبح الفرد عضواً في المجتمع، يستمد منه معتقداته واتجاهاته أنماط السلوك المطلوبة منه للقيام بالدور الاجتماعي. وعبر هذه الحقيقة نبه النبي ﷺ إلى الدور الكبير للبيئة الاجتماعية في تبديل وجهة الإنسان في الدين والحياة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فساواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء. ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾⁽²⁾»⁽³⁾.

وانطلاقاً من التأثير الكبير للبيئة الاجتماعية على سلوك الفرد كما يؤكد الحديث وتعدد الوقائع والطبائع في الحياة الاجتماعية، كانت هذه الأخيرة مكانة هامة في منهج التزكية في التربية الإسلامية.

(1) ماحد عرسان الكيلاني - مناهج التربية الإسلامية: 218.

(2) سورة الروم - الآية: 30.

(3) سبق تخرجه الحديث في ص 12 من هذا البحث.

ويجب أن تراعى التزكية في البيئة الاجتماعية التي تهدف إلى تكوين الإنسان الصالح توفر البيئة الاجتماعية على الرشد الاعتقادي من جهة وتحقيق الكرامة الإنسانية التي خصه الله سبحانه وتعالى بها كما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽¹⁾.

مثلة التكرم الإلهي للإنسان حقيقة عقلية ينبغي أن تصان وتحفظ من السفه والانتقاص بالطغيان والاستضعاف.

«ومن أجل هذا الهدف يركز - منهاج التزكية - على تطهير البيئة الاجتماعية من جميع الممارسات والثقافات والنظم وشبكة العلاقات الاجتماعية التي «تسفه» أي تنتقص إنسانية الإنسان وتنال من كرامته واستبدالها بتلك التي تصون هذه الإنسانية والكرامة تحت أي ظرف من ظروف الفقر أو الغنى، والضعف أو القوة، والغضب أو الرضا، والحب أو الكره، والصواب أو الخطأ، والصالح أو الانحراف، والسلم أو الحرب، والحياة أو الموت»⁽²⁾.

لأنه في غياب إجراءات تنقية البيئة الاجتماعية من العوامل الموهنة لكرامة الإنسان تعذر تزكية الفرد والبلوغ به مرحلة الإنسان الصالح المصلح.

ب- تزكية البيئة السياسية:

تعتبر البيئة السياسية، أو الحياة السياسية شكلا من أشكال الحياة العامة المؤثرة بطرق مباشرة أو غير مباشرة على تزكية الإنسان، أو تدهيته. أي جعله واحدا من: الطغاة، أو المستضعفين، أو العدول المكرمين.

وحتى تستقيم الحياة السياسية في المجتمع الإسلامي لا بد من معرفة أصول تزكيتها وبنائها على أسس واضحة ومحددة كالآتي:

- الأساس الأول: العدل:

مما يميز الرسالات الإلهية إلى البشر في التاريخ، دعوة الأنبياء والرسول الناس إلى توحيد وهم وعبادته عز وجل وحده بلا شريك. وإقامة العدل بين الناس والقسط في الأمور كلها، وامتحن

(1) سورة الإسراء - الآية: 70.

(2) ماجد عرمان الكيلان - مناهج التربية الإسلامية: 190.

إرادتهم بذلك. ويتعذر في ميزان الإسلام الجمع بين الظلم والحيث في المجتمع والحياسة السياسية الصالحة، إذ نص القرآن في آيات كثيرة على أن العدل الذي لا يتحقق إلا من خلال الفعل الإنساني السياسي هدف رئيس في الرسائل الإلهية⁽¹⁾، لأجله أنزل الله الكتب، وأرشد إلى الميزان ليكون الأداة التنفيذية للعدل في حياة الناس العملية، وأوجد الحديد في الأرض ليصنع منه وسائل الصناعة والأسلحة لإقامة العمران وحراسة مجتمع الكفاية والعدل.

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽²⁾.

ويقابل العدل الظلم، ويتضادان في المعنى، حيث عرف ابن تيمية العدل بأنه وضع الشيء في موضعه، وأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولذلك كان العدل جماع الحسنات وكان الظلم جماع السيئات⁽³⁾.

وقد قرن القرآن بين جريمة الكفر وجريمة قتل الأنبياء وقتل الأمرين بالعدل والقسط وتوعدهم بالعذاب في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ لِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾⁽⁴⁾.

ومما ورد في السنة النبوية من إشادة بالعدل في المجال السياسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله: «سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه...»⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ماجد عرسان الكيلاني - مناهج التربية الإسلامية: 178.

⁽²⁾ سورة الحديد - الآية: 25.

⁽³⁾ ابن تيمية - الفتاوى - توحيد الألوهة: 86/1.

⁽⁴⁾ سورة آل عمران - الآيات: 21 إلى 22.

⁽⁵⁾ صحيح البخاري - كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد يحضر الصلاة، حديث رقم: (628): 234/1.

- أما الأساس الثاني في الحياة السياسية للمجتمع الإسلامي فيقوم على "الولاء" الذي تكون فيه الموالاة لله ثم لرسوله والمؤمنين. فهذه الرابطة الإيمانية هي مركز الدائرة الذي يلم شتات العملية السياسية يرمتها ويشد أواصر القربى في المجتمع الذي يدين أهله بالإسلام.

ولذا وجب الاحتياط في تطهير البيئة السياسية من تبديل الولاء لله ولدينه بالدوران في فلك ولاءات ما دون ذلك، كولاء العصبية القبلية أو القومية والعرقية، أو في فلك المصالح الاقتصادية والمادية⁽¹⁾.

وقد كان هذا التطهير من السمات البارزة في تربية المؤمنين عند نزول القرآن، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾⁽²⁾.

- والأساس الثالث من أسس تزكية البيئة السياسية تنمية الوعي بالتخطيط والنظام وما يتفرع عن ذلك من القيم الإيجابية والفعالية، والإحسان والإنفاق في الأقوال والأعمال وإعلاء قيمة الفكر والمنهج في إدارة الحياة السياسية وغيرها من المرافق العامة للحياة حتى نزول العصبية والولاء لعالم الأشخاص والأشياء. وهذه من القيم المرتبطة برسالة الإسلام العالمية التي تعلى من شأن العقيدة والمنهج في بناء شبكة العلاقات العامة وتبوير دواليب الحكم في المجتمع السياسي الراشد.

3- تزكية البيئة الطبيعية:

تعد البيئة الطبيعية هي المحضن الذي يضم الإنسان ومحيطه الاجتماعي والسياسي، وقد جعل له الله تعالى الأرض ساحة يمارس عليها خلافته ومسؤوليته في تزكية البيئة الطبيعية، وذلك:

(1) ماجد عرسان الكيلان - مناهج التربية الإسلامية: 187.

(2) سورة التوبة - الأيات: 23، 24.

أ- بتعمير الأرض واستخراج كنوزها وتسخيرها في رفاة الإنسان وتسهيل سبل الحياة وإقامة العمران والعدل بين الناس وتعميم الرخاء.

قال تعالى: **وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ لَحْيَلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرَتَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِْيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ** (1).

ب- ثم المحافظة على البيئة وعدم تلويثها والإضرار بالتوازن البيئي من منطلق الإفراط في استغلال خيراتها وتقلص الرياح وعبادة المال على حساب نظافة الطبيعة وصلاحها لاحتضان الحياة لكل الأحياء.

هذا العنصر من عناصر البيئة العامة نستكمل الإطار الخارجي الذي يساهم في تركيبة الإنسان الصالح الذي هو غاية نموذج تركيبة إنسان التربية الإسلامية ويساعد على تنمية قدراته والترقي صعودا في مدارج الحياة والتحقق بإنسانية الإنسان على أحسن وجه. وهذا النموذج هو بدوره اللبنة التي تشاد منها الأمة الوسط التي تتميز بالخيرية والشهود الحضاري على الناس.

الأساس الثاني: بناء نموذج الأمة الوسط:

لئن كان هدف تركيبة الفرد في التربية الإسلامية هو إيجاد الإنسان الصالح المصلح، فإن وسيلة بلوغ هذا الهدف لن تكون في غياب بناء الجماعة أو الأمة الوسط المحضن الطبيعي الذي ينقل الصلاح ويوفر شروط الفعالية للإصلاح عبر الأجيال. ومن ثمة تكون الجماعة الخسيرة أو الأمة الوسط، غاية ووسيلة في نفس الوقت لممارسة عملية التزكية، على مستوى الفرد والمجتمع. ومد النظام الاجتماعي الإسلامي بأسباب البقاء والاستمرار. أو العمل على ميلاد مجتمع إسلامي جديد إن دعت الضرورة إلى ذلك، وفق معايير خير أمة أخرجت للناس، كما حددها الله عز وجل في القرآن الكريم، وأبجزها في الواقع رسوله الكريم محمد ﷺ: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** (2)، تلك هي مقومات العقيدة والعمل التي اجتمعت في واقع «الجماعة التي رباها الرسول ﷺ على عينه،

(1) سورة يس - الآيات: 33 إلى 35.

(2) سورة آل عمران - الآية: 110.

ومنحها كل جهده ورعايته وتوجيهه، والتي اجتمعت لها عناصر التربية الإسلامية بكسل تامها، على يد أعظم مرب في التاريخ»⁽¹⁾، حيث كان التركيز في المرحلة المكية من حياة الرسول على تربية الفرد الصالح المصلح كمقدمة أساسية للشروع في إخراج الأمة المسلمة وبناء الكيان الاجتماعي تربويا طيلة المرحلة المدنية من حياته الشريفة.

1- مفهوم الأمة في القرآن والسنة:

يقدم القرآن والسنة مفهوما نظريا للأمة، وهو النموذج الذي تتطلع إليه أجيال المسلمين كلما توارت معالمه في الواقع، وغاب حضوره وتأثيره في الأحداث. ويعني مفهوم «أمة» في معاجم اللغة العربية الرئيسية⁽²⁾: مصدر الأمة هو الأم؛ والأم تعني القصد. أو الغاية.

وعند استقراء كلمة «أمة» في القرآن الكريم نثر على تطابق بين المعنى اللغوي والقرآني - أحيانا ليدل على الجماعة من الناس التي تؤم جهة معينة⁽³⁾.

وقد استخدم القرآن لفظ «أمة» بمعاني متعددة كالآتي:

- المعنى الأول: يجمع فيه بين الإنسان ورسائله في الحياة التي يسترشد بها في سلوكه فردا

كان أو جماعة كي يأمم به الناس ويفتدوا بأعماله الصالحة. كما تبين الرسالة من زاوية أخرى الجوانب الشريرة التي يجب عليه تجنبها وتوخي الحذر من الوقوع في مهاويها. ويدل السياق القرآني على هذا أو ذلك من الاتجاهاين عند ورود كلمة أمة. وقد يجمع بينهما على صعيد واحد تحت اسم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽⁴⁾.

فحين يكون الإنسان الفرد هو المقصود بكلمة أمة كما هو الشأن بالنسبة لأبي الأنبياء

إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنْ

(1) محمد قطب - منهج التربية الإسلامية: 251.

(2) محمد بن أبي بكر الرازي - مختار الصحاح: 24.

(3) الفرطلي - التفسير: 127/2.

(4) ماجد عرسان الكيلاني - منهج التربية الإسلامية: 179.

المُشْرِكِينَ⁽¹⁾ وتارة تكون جماعة من العلماء الدعاة إلى الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

وقد يكون الإنسان جيلا من الناس له وجهة معينة في الحياة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾⁽³⁾ وقد يكون الإنسان، جماعة متميزة في التزامها الرسالي، في مثل قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽⁴⁾.

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: «هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة»⁽⁵⁾.

وقد يتسع مفهوم كلمة أمة ليشمل الإنسانية برمتها في حالة ما من الناحية العقدية قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾⁽⁶⁾.

- وأما المعنى الثاني لكلمة أمة فقد جاء ليدل على - منهاج للحياة - وما يجري هذا المنهاج من عقائد وقيم أخلاقية وتشريعية أيا كان نوعها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾⁽⁷⁾.

- وأما المعنى الثالث لكلمة «أمة» قد يعني مدة زمنية ماء كقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾⁽⁸⁾.

- وأما المعنى الرابع لكلمة «أمة» قد يطلق على جماعة من الناس لهم وظيفة واحدة. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾⁽⁹⁾.

(1) سورة الحل - الآية: 120.

(2) سورة آل عمران - الآية: 104.

(3) سورة البقرة - الآية: 141.

(4) سورة آل عمران - الآية: 110.

(5) الطبري - التفسير: 44/4.

(6) سورة بونس - الآية: 19.

(7) سورة الزحرف - الآية: 22.

(8) سورة يوسف - الآية: 45.

(9) سورة القصص - الآية: 23.

- وقد يراد بكلمة أمة جنس واحد من الحيوانات أو الطيور أو الحشرات. قال عز

وَجَل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾⁽¹⁾.

ونخلص من تفصي المعنى اللغوي لكلمة «أمة» الذي يعني الغاية أو القصد، وسائر معانيها السابقة في الاستخدام القرآني حين يجمع بين الإنسان فرداً أو جماعة والرسالة التي تمثل وجهته ومقصده في الحياة، فيمكن القول أن: «الرابطه العقديّة التي تجتمع بين أفراد الجماعة هي الأساس الذي يقوم عليه مفهوم الأمة في نصوص الوحي. فالأمة تجتمع بشري ناجم عن التفاعل بين الإنسان والرسالة المترلة، وهو لذلك تجتمع عقدي فكري يتميز عن أي تجمع طبيعي عضوي يقوم على أصرة الدم والنسب، كالأسرة أو القبيلة أو القوم»⁽²⁾.

وهذا هو المقصود من وحدة الأمة الربانية في التاريخ التي توجد بين أجيالها أصرة الإيمان بالله تعالى ورسالاته. فكل أمة وحدت الله تعالى واتبعت رسالته المترلة إليها ضمنمت وحدتها بلا قيد أو شرط. وما تطرق الاختلاف إلى صفوفها والتنازع إلا بسبب انفراط عقد الوحدة القائم على الإيمان بالله والالتزام بمبادئه، فحين يتم التفریط في العقيدة أو في الشريعة يحدث بسبب ذلك الاختلاف في العقائد والشرائع فتتفصم عرى الأمة وتتحول طرائق قدها. «لقد كان الناس أمة واحدة على مقتضى الأصل، وذلك بحسب نشأتهم من أصل واحد، والتقاءهم على دين واحد، تلقوه عن أبيهم آدم عليه السلام، ثم ورثوه من بعد ذلك عن تلقوه عنه من ذريته. وظل الأمر كذلك حيناً من الدهر، ثم نسل إلى أفرادهم وجماعاتهم الاختلاف في قضية الإيمان بالله تعالى، والاختلاف في منهج الحياة، إذ نمت فيهم نواصي رغبات البغي والفجور واتباع الهوى.

فكفر بالله منهم من كفر، وأشرك من أشرك... وعصى من عصى... فكان الاختلاف.

ثم أعطى الاختلاف ثمرة الطبيعية، فكان التفرق قضية حتمية في سنن المجتمع البشري للاختلاف

(1) سورة الأنعام - الآية: 38.

(2) لوي صالي - العقيدة والسياسة: 99.

الذي حصل»⁽¹⁾، قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾⁽²⁾.

وتستمر وحدة الأمة الموحدة في التاريخ مع جميع الأنبياء والرسل لتوفرها على شرطى الأمة الربانية الواحدة: الإيمان بالله، وإتباع لهجه ودينه. قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾⁽³⁾.

2- أسس بناء الأمة الوسط:

بناء النموذج الإسلامي للأمة، أي الأمة الوسط يتطلب الوقوف على أسس محددة كالآتي:

أ- **بناء الأساس الاعتقادي الفكري:** يتمثل بناء الأساس الاعتقادي الفكري في الأمة الوسط على قاعدة الوحدة العقدية القائمة على تصور أركان الإيمان في الإسلام ومما يتفرع عنها من مفاهيم جزئية وكلية تتعلق بعالمي الغيب والشهادة.

وما ينبثق عن ذلك من وحدة الفكر والمنهج ومصادر المعرفة وتكامل وسائلها.

ب- **بناء أساس وحدة مصادر التشريع:** وذلك بالانطلاق من الرسالة الخاتمة في تصور مفاهيم جوانب الحياة الإنسانية المختلفة، كالحياة الفردية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية. وكذلك سائر علاقات الإنسان مع نفسه ومع خالقه ومع دوائر المجتمع، من الأسرة إلى دائرة الإنسانية الكبرى⁽⁴⁾.

(1) عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني - الأمة الربانية الواحدة: 16.3

(2) سورة يونس - الآية: 19.

(3) سورة المؤمنون - الآيات: 51 إلى 54.

(4) عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني - الأمة الربانية الواحدة: 58.

ج- بناء أساس وحدة مشاعر التآخي:

إن تنمية روح الأخوة القائمة على أصرة الإيمان بالله تعالى من الأسس النفسية والتنظيمية لحياة الأمة الاجتماعية التي تحافظ على بقائها ما بقي للإيمان وجود وأثر في العقول والقلوب.

د- بناء أساس الشعور بالمسؤولية عن الدعوة إلى الله تعالى: هذا الهدف في حد ذاته قاعدة صلبة لتجميع أفراد الأمة واستنهاض هممهم كلما خبت، لإدامة وجود الأمة وشحذ فعاليتها للقيام بواجب وراثته الأنبياء والرسل في البيان والبلاغ والشهود على الناس بالحق والخير والرحمة.

هـ- بناء أساس وحدة المصير المشترك: إن تصور وحدة الحياة الدنيا والآخرة في عقيدة التوحيد، وبناء مشاعر الأمة الربانية الواحدة على أساس ضرورة النجاح في عمارة الدنيا، طاعة لله، وصيانة لكرامة الأمة وعزتها، ورفعة لدينها في هذه الحياة لا ينفصل أبدا عن فلاحها وسعادتها في دار النعيم في الآخرة.

و- بناء أساس استمرارية الأمة:

إذا نظرنا إلى أسباب ظهور الأمة وأسس بنائها. فإن بقاءها لا محالة يكون مرهونا باستمرار حملها للرسالة التي كانت سببا في وجودها وخروجها إلى الناس كخير أمة.

أما حين لا تقوى على حمل الرسالة وتضعف عن تحملها فكرا ومنهجيا، وممارسة، وتخلد إلى الدعة أو الركود والجمول، فإن وجود الأمة بالمعايير الرسالية السابقة يؤذن بغروب شمسها لتحل محلها أمة تخلفها بيولوجيا وجغرافيا لا رساليا وحضاريا.

وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من كبار الصحابة الذين عايشوا بدء الرسالة وتطبيقاتها من قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽¹⁾.

ولقد كان الخليفة عمر حريصا كل الحرص على تأكيد هذا الفهم عن الأمة المسلمة وتمييزه عن سائر المفاهيم القاصرة للأمة حين قال في تفسيره للآية: «لو شاء الله لقال أنتم، فكنا

(1) سورة آل عمران - الآية: 110.

كلنا. ولكن قال: (كنتم) في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...

وفي حجة حجها قرأ هذه الآية ثم قال: يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها... وعن أبي هريرة في تفسير الآية المذكورة: كنتم خير الناس للناس يتحيون بهم في السلاسل تدخلوهم في الإسلام، ليدخلوا الجنة»⁽¹⁾.

الأساس الثالث: حل المسألة الاجتماعية:

بالتعرض لحل المسألة الاجتماعية في إطار دنايم وأسس بناء النظام الاجتماعي الإسلامي نكون قد وصلنا إلى الأساس الثالث من بناء النظام الاجتماعي في الإسلام.

والمسألة الاجتماعية هي لب النظام الاجتماعي؛ سواء كان ذو وجهة إسلامية أو غير إسلامية، ومن ثمة فحل المسألة الاجتماعية هو القضية المركزية لأي نظام اجتماعي يسعد الإنسانية في حياتها الاجتماعية، على اعتبار أن النظام داخل في حساب الحياة الإنسانية، ولا ينفك يؤثر في كيانها الاجتماعي في الصميم⁽²⁾.

ومنذ أن عرفت البشرية الحياة الاجتماعية، وما يربط أفرادها من أواصر وعلاقات لإشباع حاجاتهم الفطرية التي لا غنى لهم عنها، وتتطور أشكال الاجتماع الإنساني من الأسرة إلى القبيلة إلى العشيرة إلى القوم والأمة فالإنسانية، ازدادت شبكة العلاقات الاجتماعية تعقيدا، واستدعى ذلك الحاجة إلى التنظيم والتوجيه وفق قيم الحياة الإنسانية الصحيحة واحتياجات الواقع المليئة لمصالح الأفراد والجماعات ولضمان استقرار المجتمع وسعادته.

وقد عرف تاريخ البشرية أنواعا شتى من المذاهب الاجتماعية قدمت رؤى مختلفة لحل المسألة الاجتماعية، منها ما عرف طريقه إلى التطبيق، ومنها ما بقي حلما يراود أصحابه ليس إلا.

ومن المذاهب الاجتماعية التي عرفها التاريخ الإنساني:

1- المذهب الاجتماعي الرأسمالي:

(1) الطبري - التفسير: 43/4، 44.

(2) محمد باقر الصدر - فلسفتنا: 11.

2- والمذهب الاجتماعي الاشتراكي الشيوعي:

3- والمذهب الاجتماعي الإسلامي:

وكل مذهب اجتماعي يفرز نظاما اجتماعيا ينظم مفردات حل المسألة الاجتماعية وفق قيم ومقاصد المذهب الذي ينتمي إليه.

ونقصد بكلمة مذهب في هذا المقام ما يقابل كلمة Doctrine الفرنسية، وهي تعني المبادئ العامة التي تحدد الغاية من الحياة الإنسانية، حيث يسأل الفرد نفسه: لماذا أعيش؟ ويسأل المجتمع لماذا نعيش؟ والمذهبية في هذا الإطار هي ضرب من العقيدة إن لم تكن هي لب العقيدة التي يدين بها الفرد ومجتمعه⁽¹⁾.

ويرتبط حل المسألة الاجتماعية بطبيعة المذهبية التي يتخذها النظام الاجتماعي كمرجعية عقدية ومفاهيمية، منها يبدأ وإليها يعود في نهاية الأمر.

1- المذهب الاجتماعي الرأسمالي:

تقوم المذهبية في النظام الاجتماعي الرأسمالي على أساس المفهوم المادي للحياة، حيث نظرت إلى الإنسان منفصلا عن مبدئه وأخوته⁽²⁾، مقتصرة على الجانب النفعي من حياته للمادية. ويعد الفرد في هذا النظام هو المحور الذي تدور حوله الحياة في أبعادها السياسية والاقتصادية والفكرية والشخصية. لأجل تحقيق مصالح الفرد الخاصة التي تكفل في نفس الوقت مصلحة المجتمع في الميادين ذاتها⁽³⁾.

وكان من جراء رسوخ النظرة المادية إلى الحياة في ظل هذا النظام، أن أقصيت القيم الأخلاقية من السلوك الفردي، وأعلنت المصلحة الشخصية كهدف أخلاقي مادي للإنسان والحربة الكفيلة بتحقيقها كوسيلة لا يقف أمامها حاجز⁽⁴⁾.

(1) صالح كركر - رؤى في النظام الاقتصادي في الإسلام: 20.

(2) محمد باقر الصدر - فلسفتنا: 16.

(3) محمد عمر شايرا - الإسلام والتحدى الاقتصادي: 44.

(4) محمد باقر الصدر - فلسفتنا: 19.

وقد عرفت البشرية تطبيقات مختلفة للنظام الاجتماعي الرأسمالي في التاريخ الحديث والمعاصر، ولقيت من جرائه ويلات داخلية، تمثلت في الظلم الاجتماعي والتناقض الطبقي الصارخ وصور الغنى الفاحش والفقير المدقع، وسوء توزيع الثروات وحيازتها.

وعلى الصعيد الخارجي، ذقت الشعوب المستضعفة مرارة العنف الاستعماري الأوربي الذي اجتاح المعمورة بعد عصر النهضة، والذي أوقف نموها الحضاري بفعل نهبه لخيراتها وتحيطم اقتصاداتها ونشر الجهل والفقير في ربوعها، وإبقائها بعد مرحلة الاستقلال سوقا لبضائعه، وإعاقة تقدمها العلمي والاجتماعي والحضاري، وإدامة تخلفها ودورانها في فلكه باستمرار.

وعلى العموم فإن هذا النظام قد جر معنا وكوارث إنسانية واجتماعية على المجتمعات التي عرفت تطبيقه - بضيق المجال عن حصرها - كالصراع الطبقي بين قلة غنية مترفة تستحوذ على كل الخيرات، وأكثرية فقيرة تنح وتطأ الحاجة والأنانية وشظف العيش وآلام الحرمان والسخره. وقد عمدت هذه الصورة العلاقات الاجتماعية داخليا وخارجيا، إلا أن الأوضاع الداخلية قد تحسنت كثيرا بعد الثورة الصناعية في الغرب ولو نسيّا تمثلت في التخفيف من غلواء التمايز الطبقي والاستئثار بالثروات خوفا من الثورات الاجتماعية والاضطرابات العمالية.

وأما على الصعيد الخارجي للنظام الرأسمالي فقد كانت آثاره سلبية ولا زالت تحكم العلاقة بين الغرب والعالم، أو بين الشمال والجنوب. ويقرر هذه الحقيقة Roger. Garaudy بقوله:

«لقد مضت خمسة قرون من تجمع القوى والتحكم في العالم لم يشارك الغرب فيه أحد، ومع هذا فلا يكاد يتصور الإنسان إدارة أو تصريفًا للأمر أشد نكابة على هذا الكون مما هو فيه أما السر الدفين لهذه السياسة الغربية منذ ما يسمى «بعصر النهضة»، أي منذ أن ظهرت في أوروبا في القرن السادس عشر كل من الرأسمالية والاستعمارية، السر الدفين هو التخلي عن العقيدة وعن القيم المطلقة»⁽¹⁾.

وتلك العقيدة والقيم المطلقة هي المبادئ التي تؤمن بوحدة الإنسانية وبالعدل وممارستها بين الناس سواسية.

(1) روجيه جارودي - ميثاق إنشائية: 10.

إن الثقافة الغربية المسيطرة إبان القرون الخمسة المنصرمة اعتبرت المصدر الوحيد للقيم والمعايير الراضية للوحدة الإنسانية عبر الهيمنة وازدراء الثقافات الأخرى.

لقد عبرت تلك الثقافة عن أصول ثلاثة، هي تثابة مسلمات الحدائثة الغربية وثوابتها.

1- المسلمة الأولى عبر عنها الاقتصادي الإنجليزي آدم سميث: A. Smith (1723-1790م) كأساس للعلاقات الإنسانية، والقائلة: «عندما يعمل كل منا في سبيل منفعة الخاصة، فهو بهذا يساهم في تحقيق المنفعة العامة».

2- والمسلمة الثانية للفيلسوف الفرنسي روجيه ديكارت: R.Descartes (1596-1650م) وهي تحدد العلاقة مع الوجود، التي تجعل الناس أسيادا وملاكاً للوجود.

3- والأصل الثالث عبرت عنه مسلمة الكاتب المسرحي الألماني، مارلو - Marlowe (1593م-1563م) في مسلمة فاوتست الأولى القائلة: «أبها الإنسان، تحول بفضل عقلك القوي إلى إله وإلى سيد ومولى كل عناصر الكون»⁽¹⁾.

تلك هي المسلمات التي حكمت مسار الحضارة الغربية ومذاهبها الاجتماعية من رأسمالية واشتراكية وغيرها حتى عصر العولمة الذي يعمل الآن على إعادة هيكلة صلة الغرب بالعالم كله تحت مظلة المسلمات والقيم ذاتها. «يبدو بالنسبة لنا - نحن الغربيين - أن طريق الهيمنة الذي أخذ اليوم اسم العولمة أضحى ممهدا جدا. وهذا الطريق يضرب بجزوره إلى آلاف السنين منذ أسطورة «الشعب المختار» التي بررت إبادة الآخرين، حتى «الإمبراطورية الرومانية» التي ادعت أنها تضم في حدودها كل العالم المعروف آنذاك، وهذا ما سمته أوروبا بـ «الحضارة» (كما لو كان ذلك حكرا عليها) لكي تعطي الشرعية لاستعباد واستعمار الشعوب الأخرى. أما قيادة الولايات المتحدة فقد جعلوا مهمتهم - التي كلّفهم بها القدر - هي قيادة العالم لإقامة نوع من «العولمة» أي نظام وحيد خاضع لما سماه أحد منظريها بـ «قانون السوق»⁽²⁾.

إن جوهر النظام الاجتماعي الرأسمالي الذي يتخذ من مقياس "الفردية" الذي يعتبر الإنسان (كفرد) محور كل الأمور، إلى جانب المفهوم المادي للحياة، لا ينتظر من نظام هذه هي أسسه

⁽¹⁾ روجيه جارودي - الإرهاب الغربي: 135/1.

⁽²⁾ روجيه جارودي - الإرهاب الغربي: 49/1.

الفلسفة أن نعم السعادة والعدل والمساواة وسائر القيم الإنسانية الحياة الاجتماعية فيه.
بمعنى حل المسألة الاجتماعية لصالح الفرد والجماعة.

2- المذهب الاجتماعي الاشتراكي:

لقد راودت فكرة العدل الاجتماعي أحلام الإنسانية في معظم مراحل التاريخ البشري،
وقد حقق الأنبياء والرسل في ممارساتهم قيم العدل والمساواة في الواقع المعيش باعتبارهم دعاة
توحيد لله عز وجل، ووحدة الإنسانية التي تعود في أصل وجودها إلى رب واحد، وأب واحد،
وتسير نحو مصير واحد⁽¹⁾.

وفي العصر الحديث ظهر المذهب الاجتماعي الاشتراكي الماركسي كرد فعل على المذهب
الاجتماعي الرأسمالي، نقيض له في الظاهر ورديف له في الباطن.

وأما الفارق بينهما فلا يتعدى الشكل الخارجي، فإذا كان المذهب الرأسمالي ينبني على
الفردية، فإن المذهب الماركسي يقوم على الجماعية ويدير ظهره كلية إلى الفردية.

وأما ما يجمعهما فهو النظرة المادية إلى الحياة، وما يميز الماركسية في ماديتها الجدلية، التي
هي عبارة عن فلسفة خاصة للحياة وفهم مادي لها على طريقة جدلية.

والنظرة المادية إلى الميدان الاجتماعي الإنساني تفرض أنه يتحرك على نسق مطرد من
خلال التناقضات، وتصارع الأضداد حتى يتم الانتقال إلى وضع جديد، فكل وضع اجتماعي
يسود ذلك الميدان في عرف المادية الجدلية، هو ظاهرة مادية خالصة، منسجمة مع سائر
الأوضاع المادية ومتبادلة التأثير والتأثر معها، إلا أن ذلك الوضع يحمل في طياته نقيضه، فيحتدم
الصراع بين النقيض فيقع التحول إلى وضع جديد، الذي ما يلبث أن يدخل في صراع جديد
مع نقيضه، وهكذا حتى يتم انتقال الإنسانية إلى طبقة واحدة، «وتتمثل مصالح كل فرد في
مصلحة تلك الطبقة الموحدة... في تلك اللحظة يسود الوئام، ويتحقق السلام، وتزول غائبا جميع
الآثار السيئة للنظام الديمقراطي الرأسمالي لأنها إنما كانت تولد من تعدد الطبقة في المجتمع، وهذا
التعدد إنما نشأ من انقسام المجتمع إلى متع وأجبر»⁽²⁾.

⁽¹⁾ روحه حارودي - ميشال إشبيلية: 7.

⁽²⁾ محمد باقر الصدر - فلسفتنا: 25.

والطبقة الواحدة هي الجماعية بكل وضوح: وهي نقيض الفردية التي قام عليها المذهب الاجتماعي الرأسمالي، وأن الوصول إلى الحالة الجماعية لا يتم إلا من خلال التصور المادي للحياة والتغير الذي يحدث داخل الكيان الاجتماعي لا يقع إلا بفعل حركة "الديالكتيك"، أو الجدل الحاصل بين المتناقضين الفرد والجماعة. وقد حكم على الفرد والجماعة في المذهبين بجمية التصارع بينهما أو على الأقل تسخير الجماعة للفرد في المذهب الاجتماعي الرأسمالي، وتسخير الفرد للجماعة في المذهب الاجتماعي الاشتراكي.

ولم تعرف المسألة الاجتماعية في ظل تصورات المذهبين وتطبيقاتهما طريقها إلى الحل، بل الذي حصل بالفعل أن «.. كانت الشخصية الفردية هي الفائزة في أحد النظامين السذي أقام تشريعه على أساس الفرد ومنافعه الذاتية، فمضى المجتمع بالمآسي الاقتصادية التي تزعزع كيانه وتشوه الحياة في جميع نواحيها، وكانت الشخصية الاجتماعية هي الفائزة في النظام الآخر، الذي جاء لإدراك أخطاء النظام السابق، فساند المجتمع وحكم على الشخصية الفردية بالاضمحلال والفساد فأصيب الأفراد بمحن قاسية قضت على حريتهم ووجودهم الخاص، وحقوقهم الطبيعية في الاختيار والتفكير»⁽¹⁾.

وقد منى المذهب الاشتراكي الماركسي بسقوط مربع في تجربته التي دامت قرابة السبعين سنة ولم تتحقق فيها الأحلام التي حمل الناس على تطبيقها بالحديد والنار ومحاولات الإقناع المتكررة، والمذهب الفردي في حد ذاته رغم بقائه في واقع الحياة الإنسانية أطول مدة، إلا أنه ليس أقل فشلاً من المذهب الاشتراكي في تحقيق السعادة الإنسانية التي هي الغاية المنشودة من المذاهب الاجتماعية ونظمها الحياتية في كل زمان ومكان.

3- المذهب الاجتماعي الإسلامي:

لقد عرف المذهب الاجتماعي الإسلامي طريقة إلى التطبيق تاريخياً وحقق نجاحاً منقطع النظير في فجر تجربته مع النبي ﷺ في حل المسألة الاجتماعية منذ تأسيس المجتمع الإسلامي الأول في المدينة المنورة على أساس الإيمان بالله والمواخاة بين المهاجرين والأنصار، وما تلاه من تجارب سجلها التاريخ في عهد الخلافة الراشدة، ومع الخليفة الأموي الراشد الخامس عمر بن عبد

(1) محمد باقر الصدر - فلسفتنا: 28.

العزير الذي لم يجد في نهاية عهده من المسلمين من يحتاج إلى أموال الزكوة، نظرا لاستكفائهم بسبب العدل الذي شاع في العلاقات بين الرعية بفضل حزم هذا الخليفة وإرادته أثناء اعتلائه سدة الخلافة في عهده.

وأما الآن فلا أثر للمذهب الاجتماعي الإسلامي في واقع الحياة بسبب السقوط الحضاري العام للأمم، وبقي هذا المذهب يخزن القيم الإنسانية العليا للحياة الاجتماعية السعيدة، والكفيلة بحل المسألة الاجتماعية لدى المسلمين وغيرهم: متى ما صحت العزائم، واتخذت الأسباب لذلك، وخلصت النيات في العودة إلى الدين القيم، عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

أولا: فلسفة الإسلام الاجتماعية:

يقوم المذهب الاجتماعي الإسلامي على أساس فلسفة اجتماعية، تنطوي بدورها على رؤية معينة لطبيعة الإنسان، ومفهوم محدد للحياة، وللكون، وللإجتمع الإنساني ومقاصده وطرق حله للمسألة الاجتماعية⁽¹⁾.

وللمذهب الاجتماعي الإسلامي بحكم أصالته وتميزه، إمكانية تبيين الفروق الجوهرية بينه وبين غيره من المذاهب الاجتماعية الأخرى.

- المقياس الخلقى:

فعلى صعيد النظر إلى الحياة، يقدم الإسلام مفهوما واقعيا لها يتجاوز النظرة المادية للحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، ويربط بينهما برباط محكم إذ يرتب مقدار سعادة الإنسان في الآخرة على قدر سعيه في حياته المحدودة طلبا لرضوان الله تعالى.

ويعتبر رضوان الله تعالى، هو «المقياس الخلقى» الذي يقدمه الإسلام للفرد كغاية يسعى إلى تحقيقها في فكره وسلوكه وعلاقاته الاجتماعية. بحيث يضمن الفرد بهذا الدافع المعنوي بلوغ مصالحه الشخصية، وإنجاز أهدافه الاجتماعية مع المجتمع بانسجام وتوازن معجز، طيلة حياته الدنيا.

⁽¹⁾ تم عرض مفاهيم الفلسفة الاجتماعية الإسلامية ومقوماتها تفصيلا في أبحاث السابقة من هذا الفصل.

وبناء عليه فمسألة المجتمع هي مسألة الفرد كذلك، في موازين الدين الإسلامي ومفاهيمه عن الحياة وتفسيرها⁽¹⁾. وهذا هو سر تفوق المذهب الاجتماعي الإسلامي على المذهبين الاجتماعيين السابقين، المذهب الفردي، والمذهب الاجتماعي.

قال الله تعالى: **يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِكَبَرِ مَا أَعْمَلُوا فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**⁽²⁾، فالرابط واضح بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة في عمل الإنسان وسعيه، وذلك هو الفهم المعنوي للحياة.

ب- الإحساس الخلقي بالحياة:

تتولى التربية الإسلامية، والتنشئة الاجتماعية السليمة؛ صبح الفرد في المجتمع بصيغة الإسلام من أجل إحداث التوازن بين الطبيعتين النادية والمعنوية في فطرته منذ نعومة أظفاره. ويصبح الإنسان يحب القيم الخلقية والمثل التي يريده الدين على احترامها ويستبسل في سبيلها، ويزيح عن طريقها ما يقف أمامها من مصالحه ومنافعه⁽³⁾.

وهذان الأساسان المعبر عنهما: بالفهم المعنوي للحياة، والإحساس الخلقي بالحياة، هما المنطلق في حل المسألة الاجتماعية في الإسلام، واستبعاد آثارها السلبية على الفرد والجماعة وإقامة العدل الاجتماعي وإسعاد الناس في ظل النظام الاجتماعي الإسلامي.

ثانيا: حل المسألة الاجتماعية في القرآن والسنة:

إن جوهر حل المسألة الاجتماعية يتمركز حول تحقيق العدل الاجتماعي بين الفرد والجماعة، وهي مسألة ابتلى الإنسان بها في أدوار التاريخ كلها، حيث لم تغب عن مضمون دعوات الأنبياء والرسل جميعا وقد ارتبطت دعوة النبي أو الرسول إلى التوحيد بالسدعوة إلى العدل والقسط بين الناس وبناء علاقاتهم الاجتماعية على أسس إنسانية متميزة.

ويشرع الإسلام في بناء العلاقات الاجتماعية في الأمة الوسط على قاعدة التوافق بين الترعيتين الفردية والجماعية، «بحيث يتيسر للفرد نماء قوته وارتقاء شخصيته، ثم يصبح عوننا

⁽¹⁾ محمد باقر الصدر- فلسفتنا: 41.

⁽²⁾ سورة الرزقة- الآيات: 6، 7، 8.

⁽³⁾ محمد باقر الصدر- فلسفتنا: 42، 43.

بقوته الرامية فيما فيه الخير والسعادة للمجتمع»⁽¹⁾، ولن يكون التوافق متحققا في واقع المجتمع الإسلامي في غياب قيمة العدل الاجتماعي - الاقتصادي، الذي هو سمة بارزة وعلامة مميزة لنسيج العلاقات الاجتماعية القادرة على حل المسألة الاجتماعية باعتبار العدل مبدأ أساسيا ثالثا، بالإضافة إلى مبدأ التوحيد ومبدأ الخلافة⁽²⁾، في النظرة الإسلامية العامة إلى الحياة⁽³⁾.

لقد كان القرآن واضحا في دعوته إلى إقامة العدل بين الناس وقطع دابر الظلم بجميع أشكاله المادية والمعنوية من حياتهم، وقد أناط القيام بهذه المهمة الرسالية جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْقَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽⁴⁾.

وتكرر ورود كلمة عدل وما في معناها من مثل القسط والميزان، ما لا يقل عن مائة مرة في القرآن الكريم. كما نهي فيما يزيد عن مائتي مرة عن الظلم والإثم والضلal. فالكلمتان متضادتان من حيث المعنى، أمر القرآن بالعدل ورغب فيه، ونهى عن الظلم ورغب عنه.

ويعني العدل في اللغة كما جاء في لسان العرب: العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور، وعدل الحاكم يعدل عدلا وهو عادل. والعدل الحكم بالحق... والعدل من الناس المرضي في قوله وحكمه⁽⁵⁾. وجاء في النهاية لابن الأثير: العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم⁽⁶⁾.

(1) أبو الأعلى المودودي - نظرية الإسلام وهدية: 55. وانظر: عبد الحميد أبو سليمان - العنف وإفتراف الصراع السياسي في الفكر الإسلامي: 63 وما بعدها.

(2) تقوم فلسفة مشروع المجتمع الإسلامي على مبادئ ثلاثة كبرى، هي: التوحيد (وحدانية الله وعلانية الإنسان في الأرض) (من الله)، والعدالة (بين الإنسان وأخيه الإنسان) في الحياة الاجتماعية - الاقتصادية خاصة. انظر تفصيلا أكثر في عمر شايرا - الإسلام والتحدى الاقتصادي: 256 وما بعدها.

(3) عمر شايرا - الإسلام والتحدى الاقتصادي: 256.

(4) سورة الحديد - الآية: 25.

(5) ابن منظور - لسان العرب: 2838/4.

(6) ابن الأثير - النهاية: 189/3.

كما يعني الظلم لغة في لسان العرب: الظلم وضع الشيء في غير موضعه... وأصل
الظلم الجور ومجاوزة الحد⁽¹⁾.

وقال الراغب في المفردات: والظلم عند أهل اللغة وكثير من أهل العلم: وضع الشيء في
غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإذا بعدول عن وقته أو مكانه⁽²⁾.

بناء على ما سبق من تعريف للعدل والظلم، فإن العدل هو ضد الجور والظلم، ويمكن
تعريف العدل بأنه: وضع الشيء في موضعه الشرعي، وإعطاء كل شيء حقه مسن المكانة أو
المرتبة أو الحكم أو العطاء⁽³⁾.

وقد جعل القرآن منزلة العدل أقرب إلى التقوى، ذلك أن التقوى هي أرفع منزلة منه، غير
أنه قريب منها، إذ التقوى هي منطلق كل الأعمال الصالحة بما فيها العدل.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ
قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾.

وقد شدد الرسول ﷺ في التحذير من الظلم والتظالم في أحاديث كثيرة.

فمن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: [«يا
عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...»]⁽⁵⁾، وعن ابن عمر
رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: [«إن الظلم ظلمات يوم القيامة»]⁽⁶⁾، وعن عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: [«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه،
ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته. ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة
من كربات يوم القيامة. ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»]⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ ابن منظور - لسان العرب: 2756/4.

⁽²⁾ الراغب الأصفهاني - المفردات في ألفاظ القرآن: 230.

⁽³⁾ عبد الكريم زيدان - السنن الإلهية: 115.

⁽⁴⁾ سورة المائدة - الآية: 8.

⁽⁵⁾ صحيح مسلم - كتاب البر والصلوة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: (2577): 1994/4.

⁽⁶⁾ صحيح مسلم - كتاب البر والصلوة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: (2597): 1996/4.

⁽⁷⁾ صحيح البخاري - كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم...، حديث رقم: (2310): 862/2.

فالظلم والعدل في منظور الإسلام بل وحتى في عرف الفطر السليمة- ضدان لا يجتمعان، وقد قضت سنة التدافع الربانية أن يبعد أحدهما الآخر عن الواقع أو يضعفه ويتغلب عليه حتى تستقيم الحياة على نمط معين. ومن هنا أكد ابن تيمية في مقولته الشهيرة أن الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام⁽¹⁾.

ومن ثمة كان العدل مقوما أساسيا في العلاقات الاجتماعية وجودا وبقاء حتى مع فساد الاعتقاد، وكان الظلم مقوضا لأسسها ولو مع سلامة العقيدة، لأن الظلم عمل غير صالح وعامل هدم للكيان الفردي والاجتماعي للإنسان ماديا ومعنويا. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾⁽²⁾. «وكلمة (لما) ظرف يدل على وقوع فعل لوقوع غيره مما هو سبب له. وهذا يدل على وقوع هلاك الأمة لوقوع سببه وهو الظلم»⁽³⁾.

ومن هذا المنطلق يوفر المذهب الاجتماعي الإسلامي الخلفية العقدية الصحيحة لإقامة العدل في المجتمع الإسلامي وإبعاد الجور والظلم عن العلاقات الإنسانية فيه. حيث يزود النظام الاجتماعي الإسلامي بتصور معنوي للحياة، يربط فيه بين السعي في الدنيا والسعي للآخرة في كنف مقياس خلقي هو رضوان الله عز وجل. هذا المقياس الذي يقيم التوازن بين الزعتين الفردية والجماعية في وعي الفرد المسلم وممارساته الواقعية بصورة دائمة.

وفي ظل معادلة المفهوم المعنوي للحياة الذي يربط الحياة المادية للإنسان بالحياة المستقبلية للمعية يمكن حل المسألة الاجتماعية على نحو غير مسبوق ونتائج مرضية عادلة إلى حد بعيد.

ثالثا: حل المسألة الاجتماعية- الاقتصادية:

أو بعبارة أخرى تحقيق العدالة الاجتماعية- الاقتصادية، في إطار المذهب الاجتماعي الإسلامي لا تكون بمعزل عن الحقائق الكبرى للتصور الإسلامي العام للوجود. وكذلك

(1) ابن تيمية- الحجة في الإسلام: 10.

(2) سورة يونس- الآية: 13.

(3) عبد الكرم زيدان- السنن الإلهية: 120.

المقاصد العامة للشريعة الإسلامية⁽¹⁾. «لقد اعتبر الفقهاء العدالة عنصرا أساسيا في مقاصد الشريعة بحيث أنه لا يمكن تصور مجتمع مسلم مثالي لم تنوّد فيه العدالة. والإسلام واضح كل الوضوح في اجتناب كل آثار الظلم من المجتمع البشري. والظلم مصطلح إسلامي شامل يشير إلى جميع أشكال عدم الإنصاف وعدم العدالة والاستغلال والاضطهاد والعدوان حيث يحرم شخص الآخرين حقوقهم أو لا يفي بالتزاماته تجاههم»⁽²⁾.

ومن هنا فالشريعة الإسلامية في نظامها التشريعي الاجتماعي، لا تضع مستغلا جديدا موضع مستغل قديم سواء أكان الفرد أم الجماعة، كما مر سابقا مع المذهبين الفردي والاجتماعي، حينما مع طغيان الفرد على الجماعة، وتارة مع طغيان الجماعة على الفرد. وتحرير الشريعة للفرد والجماعة معاً، لا يقتصر على أوضاعهما الخارجية الاجتماعية فحسب. وإنما يمتد التحرير إلى الداخل حيث منابع الاستغلال الكامنة في النفس الإنسانية فتغير نظرة الإنسان إلى الكون والحياة بما يوافق الفطرة، معرفة، وتربية، وممارسة.

غير أن إطار المال والثروة المتعلقان بالمسألة الاجتماعية - الاقتصادية وتداولهما في المجتمع بين الفرد والجماعة ينظر إليهما ضمن مفهوم خلافة الإنسان في الأرض.

الله تعالى رب كل شيء ومليكه في هذا الوجود، بما في ذلك الإنسان غير أن إرادته عز وجل قد جعلت الإنسان خليفة في الأرض ومستأمنا على خيراتها وطيباتها، ومختبرا بمقتضى ذلك أيصلح أم يفسد فيها.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ذَاتَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾⁽³⁾.

(1) يقول أبو حامد الغزالي عن مقاصد الشريعة في كتابه المستصفى في الأصول: 139/1-140: «مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم وأموالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة».

(2) عمر شايرا - نحو نظام نقدي عادل: 40.

(3) سورة إبراهيم: الآيات: 32 إلى 34.

وقال: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾⁽¹⁾، و﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾⁽²⁾.

فالأيات تقرر أن الملكية من حيث المبدأ للسموات والأرض، وحتى للمال الذي بين يدي الإنسان هي في أصلها ملك له تعالى وحده، والإنسان مستخلف فيها فقط.

ولذلك ترى الإسلام في أحكامه في المال والثروة يشدد على الالتزام فيها بالأخوة والعدل، توزيعاً، وتنمية. بحيث توضع الموارد أمام البشر باعتبارها أمانة من الله. «وأن تستخدم هذه الموارد لتحقيق مقاصد الشريعة في المجالات الآتية⁽³⁾»:

1- توفير الاحتياجات الضرورية للمجتمع:

إن الانطلاق من معاني الأخوة بين الناس في المجتمع الإسلامي، وائتمامهم على جميع الموارد باعتبارهم جماعة مستخلفة من الله تعالى، وجب عليها أن تستخدم تلك الموارد والثروات بكفاءة وعدالة تسد معها الاحتياجات الأساسية لكل أفراد المجتمع بما يليق بمكانة الإنسان في الكون وتكرمه من الله عز وجل بالخلافة عنه في الأرض. وعلى أن تلبى تلك الاحتياجات في إطار العيش البسيط.

عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»⁽⁴⁾، وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً»⁽⁵⁾.

وقد جمع القرآن الكريم في آيات كثيرة بين الإيمان ورعاية المحتاجين، وقرن بين الكفر أو التكذيب بالدين بإهمالهم⁽⁶⁾.

(1) سورة النور - آية: 33.

(2) سورة الخزئء - آية: 7.

(3) محمد عمر شابر - الإسلام والتحدى الاقتصادي: 268 وما بعدها.

(4) صحيح مسلم - الر والصلة والأءاب، باب تراحم المؤمن وتعاطفهم، حديث رقم: (6481): 1278.

(5) صحيح مسلم - كتاب الر والصلة والأءاب، باب تراحم المؤمن وتعاطفهم... حديث رقم: (6480): 1278.

(6) محمد المبارك - نظام الإسلام في الاقتصاد: 132.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا لَطَعْتُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ لَا يُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾⁽¹⁾.

وقال في النوع الثاني: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ...﴾⁽²⁾.

فمسؤولية المجتمع عن تلبية احتياجات أفراده المعاشية واجبة بالكيفية المشروعة ضمن الإمكانيات المتاحة طاعة لأمر الله ورسوله حسب الأحاديث والآيات السابقة وغيرها. وهذا ما جعل الإمام الشاطبي يعتبر أن تلبية الاحتياجات الأساسية للفقراء، هي ميرر وجود المجتمع نفسه⁽³⁾.

2- توفير مصدر شريف للرزق:

تقتضي الكرامة الإنسانية المقترنة بمركز خلافته أن تكون تلبية احتياجاته قائمة على جهد الفرد نفسه. لذلك رأى فقهاء الإسلام أن كسب الإنسان القادر لعيشه فرض عين عليه ليعول نفسه وأسرته. لأن ذلك يستلزم المحافظة على الجسم والعقل في حالة سليمة للتمكن من أداء الواجبات والعبادات المختلفة. إن كان المسلم عضواً في المجتمع فإن فرص العمل وكسب الرزق الحلال والتمكن من ذلك، تصير واجبا جماعيا على المجتمع أن يضمن لكل فرد من أفرادها فرصة التكوين والتعليم والتربية والتأهيل لكسب الرزق الحلال بما يناسب جهوده وقدراته.

أما أفراد المجتمع الذين لا يقدررون على كسب رزقهم لأسباب وجيهة كالعجز والإعاقة وغير ذلك فعلى الأمة المسلمة عندئذ فرض كفاية في التكفل بهم كالتزام جماعي، من جانب الأسرة والأصدقاء والجيران والأوقاف وأموال الزكاة والجماعات الخيرية. وتتدخل الدولة أخيراً عند عدم قدرة هؤلاء على القيام بواجبهم ذلك.

(1) سورة الإنسان - الآية: 9.

(2) سورة الماعون: الآيات: 1-3.

(3) الشاطبي - الموافقات في أصول الشريعة: 177/2.

3- التوزيع العادل للدخل والثروة:

على الرغم من الإجراءات السابقة من تلبية الاحتياجات وفرص العمل، إلا أنه قد توجد حالات اجتماعية شاذة من عدم المساواة في الدخل والثروة. وهذا لا يعني حالات عدم المساواة العادية في مجتمع إسلامي حين تكون متناسبة مع قدرات الإنسان ومهاراته وجهوده، فهذه حالة طبيعية أن يحصل الإنسان على ما يكافئ جهوده وأعماله وكفاءاته شريطة أن تكون ضمن تطبيق تام لتعاليم الإسلام.

أما حالة الشذوذ المذكورة فهي مقبولة شرعا على اعتبار أن الموارد هبات من الله لجميع البشر بنص التنزيل، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾. وأن الجماعة مستخلفة على هذه الموارد التي هي أمانة الله عند البشر، فليس هنالك ما يدعو لتركيزها في يد فئة قليلة من الناس. لأن عدم وجود خطة للتوزيع العادل للثروة والدخل من شأنه أن يدمر بدل أن ينمي مشاعر الأخوة التي يريد الإسلام إيجادها والحفاظة عليها بين المؤمنين أولا وبين المؤمنين وغير المؤمنين ثانيا.

وبناء على ذلك فإن الإسلام لا يكفي في حل المسألة الاجتماعية-الاقتصادية بمجرد توفير رزق حلال، وتلبية الاحتياجات وإنما يؤكد على التوزيع العادل للدخل والثروة، أي المال، قال الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾⁽²⁾.

وهذا التركيز الشديد للإسلام في نصوصه على التوزيع العادل للمال، جعل صحابيا كأي ذر الغفاري رضي الله عنه يعتبر أن المساواة في الثروة في مجتمع إسلامي أمر أساسي. حيث لا ينبغي حسب رأيه للمسلم أن يمتلك ثروة تزيد عن الاحتياجات الأساسية لأسرته. على أن الأغلبية العظمى من الصحابة رضي الله عنهم لم يقرروا على هذا الموقف.

(1) سورة البقرة - الآية: 29.

(2) سورة الحشر - الآية: 7.

4- النمو والاستقرار:

قد يحقق المجتمع الإسلامي نسبة لا بأس بها من العدالة الاجتماعية والاقتصادية عبر الخطوات السابقة. إلا أن النمو القائم على الاستثمار المحقق وعلى معدل للنمو كفيل بدوره أن يعزز من حظوظ العدالة الاجتماعية حين يستفيد الفقراء من نسبة أكبر من ثمار ذلك النمو. كما يساعد الاستقرار الاقتصادي بدوره على تخفيض حالات عدم المساواة الناتجة عن الركود الاقتصادي وتقلبات الأسعار واتخاذ أسعار الصرف والتضخم في تعزيز العدالة وإنجاز أهداف الشريعة ومقاصدها في مجال معقد وخاضع لتغيرات محلية ودولية مسضطربة وهو المجال الاقتصادي.

وعليه فإن تحقيق أمثل حد من النمو الاقتصادي، وتخفيض درجة عدم الاستقرار الاقتصادي في المجتمع المسلم - اليوم - إلى الحد الأدنى أمور لازمة لا تحل - المسألة الاجتماعية - الاقتصادية في غيابها بأي حال من الأحوال.

الفصل الثالث

البعد السياسي لعقيدة التوحيد

المبحث الأول: تحديد المفاهيم.

المبحث الثاني: فلسفة الحكم الديني الشيوكراطي.

المبحث الثالث: فلسفة السياسة في العقيدة العلانية.

المبحث الرابع: تعاليم القرآن السياسية.

المبحث الخامس: النظام السياسي الإسلامي.

تمهيد:

لقد تبين من عرض مباحث الفصلين السابقين أن عقيدة التوحيد الإسلامية، هي الأساس المعرفي والضابط المنهجي، لمفاهيم النموذج المعرفي التوحيدي ومقوماته، والأرضية الصلبة التي تبنى عليها مفاهيم الحياة الإنسانية والاجتماعية، وقيمها الكلية والجزئية.

وضمن هذا المنظور يتناول الفصل الأخير قضايا البعد السياسي لعقيدة التوحيد من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: تحديد المفاهيم.

المبحث الثاني: فلسفة الحكم الديني (الثيوقراطي).

المبحث الثالث: فلسفة السياسة في العقيدة العلمانية.

المبحث الرابع: أسس تعاليم القرآن السياسية.

المبحث الخامس: مبادئ النظام السياسي الإسلامي.

والملاحظ أن هذا الفصل ليس بحثاً في البعد السياسي لعقيدة التوحيد من منظور الدراسة العلمية التي تعنى برصد الحركة السياسية أو الممارسة الواقعية للحدث السياسي وما يحكمه من قوانين الفعل السياسي على الساحة الاجتماعية كما يفعل علماء السياسة.

وإنما المدخل العقدي الذي يمثل حقل هذه الدراسة ومنطلقها يستلزم أن تنحو المنحى للمذهبي الفكري لا المنحى العلمي الواقعي، لأن غاية الفكر السياسي الإسلامي - اليوم - تفرض عليه أن يعمل على تحديد أولوياته، والكشف عن إسهامات الرُوحاني الخاتم - كتاباً وسنة - على مستوى أصول وتعاليم فلسفة الحكم، بما يجعله يتميز عن ضروب الفكر السياسي الديني (الثيوقراطي)، والوضعي العلماني، في المقاصد والغايات الكبرى.

وعلى الباحث في فلسفة الإسلام السياسية أن ينطلق من القناعات المبدئية التي يقررها الإسلام باعتبارها حقائق وأسس للمرجعية الإسلامية للاجتهد والحوار مع القيم والتجارب الإنسانية الأخرى، وهي⁽¹⁾:

1- سمو قيم الإسلام وكمالها.

2- شمول دين الإسلام وتكامل عقائده.

3- هدف الإسلام إلى الحق والحقيقة الخالصة الأزلية في الكون والحياة.

ثم يصار بعد ذلك إلى وضع تصور لنظام سياسي إسلامي أصيل ومعاصر قادر على النهوض الحضاري بالامة.

ومن جهة أخرى من الضروري معرفة الفرق في هذا الفصل بين مفهوم «علم السياسة» ومفهوم «المذهب السياسي» أو «الفلسفة السياسية»، ومفهوم «النظام السياسي»، كي تتجلى الحقيقة المراد بلوغها، والمتعلقة أساساً بالمذهب السياسي الإسلامي، وما ينبثق عنه من نظام سياسي، وينطوي عليه من قيم ومبادئ تحدد غاياته الكبرى في التوحيد، والتركية، وال عمران والعمل على تجسيدها في الواقع المعيش.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم.

أولاً: مفهوم المذهب السياسي:

حين يذكر «مفهوم المذهب السياسي» في هذا الفصل يقصد به فلسفة الحكم، أو الفلسفة السياسية، أو أصول التعاليم السياسية ومبادئها في الإسلام وفي غيره.

وليس المقصود بكلمة «مذهب» في البحث كما هو معروف في الثقافة التراثية الفقهية، أحكام الفروع في الشريعة واجتهادات الفقهاء، بل المراد الأصول والكلية العقدية التي تستمد منها مفاهيم الحياة السياسية.

(1) عبد الحميد أبو سليمان - السياسة والحكم في الإسلام، ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الثاني لدعوة الشباب الإسلامي: 311.

وكلمة «سياسة» من الألفاظ التي كثرت حولها الآراء والتعاريف قديماً وحديثاً. وهي تشير هنا إلى التدبير والعناية بشؤون الحياة الإنسانية العامة وإدارتها بما يحقق المصالح ويدرك المفاسد ضمن منظومة القيم والمبادئ الإسلامية التي أقرها الشرع.

وهناك تعريفات وظيفية جعلت لها عند المسلمين وعند غيرهم. يرى أبو حامد الغزالي أن وظيفة السياسة تتعلق بحياة الإنسان ومصيره في الدنيا والآخرة: «والسياسة في اصطلاح الخلق، وإرشادهم إلى الطريق للمستقيم، المنجي في الدنيا والآخرة»⁽¹⁾.

وأين خلدون يعرفها بالنظر إلى وظيفتها الحضارية بقوله: «... إن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها، وقد تكرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر، فالدولة دون العمران لا تتصور، والعمران دون الدولة والملك متعذر فتتعين السياسة لذلك»⁽²⁾. وهو ما يعرف حالياً بالاجتماع السياسي.

وعرفها الأوربيون حديثاً كما في «الأونسيكلوبيديا الكبيرة» بالنظر إلى وظيفتها، أن «السياسة» تعني «فن حكم الدولة»، وقد وسع «روبير» من معناها بقوله: السياسة هي «فن حكم المجتمعات الإنسانية». ومهما ضاقت أو اتسعت تعاريف السياسة عند القدامى أو المحدثين فهي تعبير صادق عن الحياة الإنسانية الاجتماعية، وعن المستوى التنظيمي التحضري الذي بلغه الإنسان في تدبير الحياة العامة وتصريف شؤونها بحكمة ودراية⁽³⁾.

ثانياً: مفهوم علم السياسة:

وأما مفهوم «علم السياسة» وإن كان مشتركاً مع المذهب السياسي في حقل الدراسة والاهتمام، إلا أنه يختلف عنه باعتباره يعني بالواقع السياسي على ما هو عليه، حيث يعمل على تفسير الظواهر السياسية باستقراء الأسباب والمؤثرات الفاعلة، وذلك بالإجابة على السؤال كيف؟

(1) أبو حامد الغزالي - إحياء علوم الدين: 12/1 وما بعدها.

(2) عبد الرحمن بن خلدون - المقدمة: 678.

(3) فايز عبد سعيد - قضايا السياسة العام: 9.

كيف يتم الوصول إلى السلطة مثلاً: بالإكراه أم بالتراضي؟ كيف تكون علاقة السلطة بالفرد وبالامة، في حالة التراضي، وحالة الإكراه؟

ما هي حدود فض النزاعات بين الحكام والمحكومين عند الاختلاف، بالحوار أم بالخروج⁽¹⁾... الخ

أما الإجابة على هذه الأسئلة من منظور المذهب السياسي فتكون بالسؤال: لماذا؟

لماذا يتم الوصول إلى السلطة بالإكراه؟ ولماذا يتم الوصول إليها بالتراضي؟

والإجابة هنا- طبعاً- معيارية قيمة استناداً إلى قيم ومبادئ تحكم بالخير أو الشر على الفعل وعكسه من منطلق الإطار المرجعي والخلفية العقدية السياسية.

ومن ثمة فعلم السياسة يدرس ما هو كائن ويقرر الواقع على ما هو عليه.

والمذهب السياسي يدرس الواقع ويحكم على ما ينبغي أن يكون عليه. وبعبارة أخرى أن علم السياسة يعمل على تفسير الحياة السياسية وظواهرها المختلفة والعمل على ربط تلك الأحداث والظواهر بالعوامل والمسببات للوصول إلى صيغة القانون أو السنة التي تحكم القضية وتفسرها.

والمذهب السياسي- بهذا المعنى- عبارة عن المنهج الذي يتبعه المجتمع في سلوكه السياسي ويفضله على غيره من المناهج ويسعى إلى أن يجري الحياة السياسية في الواقع على ضوئه وفق القيم والمعايير الظاهرة أو الكامنة في صلب المذهب⁽²⁾.

ومع ذلك فهناك ارتباط محتوم بين العلم والمذهب في كل سياسة. فلكل حضارة إنسانية علمها السياسي ومذهبه التي وإن اشتركت فيما هو عام وواقعي مع التجارب الإنسانية المختلفة، فلكل خصوصياته ومميزاته الدينية والفلسفية والحضارية التي تميزه عن الآخر بفضل ذلك المذهب.

(1) التيجاني عبد القادر حامد- أصول الفكر السياسي في القرآن المكي: 17.

(2) محمد صفي الدينين- دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر: 348/1.

ثالثاً: مفهوم النظام السياسي:

يعني «النظام السياسي» في الفكر السياسي والقانوني الحديث شيخان أو مفهومين⁽¹⁾:

الأول: بمعنى مضمون السلطة ومذهبها السياسي، وهو ما يعرف في اللغة الفرنسية بكلمة Régime، ومثاله: النظام الشيوعي، والنظام الديكتاتوري، والنظام الديمقراطي، والنظام الإسلامي... الخ

والثاني يراد به تحديداً شكل الحكم، أو أسلوب ممارسة السلطة، وهو ما يطلق عليه كذلك لفظة System في الفرنسية، ومثال: النظام الرئاسي، النظام البرلماني، نظام الحزب الواحد... الخ

واضح أن النظام السياسي يشمل المذهب والمؤسسات وأساليب الحكم بغض النظر عن المذهبية التي يدين بها المجتمع، وإلى نفس المعنى ذهب الشيخ محمد المبارك في تحديد مدلول النظام وارتباطه بالمذهب أو الخلفية العقديّة والمفاهيمية التي يقوم على أساسها ويشيد بناءه السلطوي المتظاهر في شكل الدولة ونوع الحكومة، وقواعد السلوك الفردي والجماعي المعبر عنها قانوناً في لوائح وأنظمة منسجمة بالضرورة مع التصور المذهبي ومحقة لأهدافه ومقاصده العليا.

يقول: «يشتمل كل مذهب عقائدي-أيديولوجية- على أساس فلسفي يقوم عليه بناؤه كله، وليس هذا الأساس الفلسفي إلا تصوره للوجود ونظرته العامة إلى الإنسان والمجتمع والكون والحياة، وما وراء ذلك كما يؤمن بها أصحاب المذهب ويعتقدون.

وعلى هذا الأساس يقوم بناؤه، وعنه تنفرع نظمه، أي قواعد سلوك الإنسان- فرداً وجماعة- المنسجمة والمتفقة مع ذلك التصور سواء منها النظام الأخلاقي والنظم الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والأسرية»⁽²⁾.

(1) على المؤمن - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 15.

(2) محمد المبارك - نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث: 14.

المبحث الثاني: الحكم الديني (الثيوقراطي):

أولاً: التوحيد أصل الاجتماع السياسي:

يقرر القرآن الكريم أن دين التوحيد هو أصل الاجتماع الإنساني، وهو أصل فلسفة السياسة فيه⁽¹⁾. وتتجلى حقيقة ذلك من تتبع قصة خلق آدم عليه السلام وزوجه حوى، وسائر قصص الأنبياء والمرسلين في القرآن من أولهم وهو آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ. وأن الانحراف عن التوحيد اتخذ أشكالاً متعددة في تاريخ البشرية كما بينته دعوات الأنبياء والرسل المتتالية وغالبها ما كان التحريف يبطال العقيدة ذاتها ويقسد الدين فيبعث النبي أو الرسول ليحدد دعوة التوحيد في الناس، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽²⁾.

إلى أن نزلت الرسالة الخاتمة على النبي الخاتم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، فأكملت الرسالة وأتم الله بها الدين كعقيدة وشريعة ومنهج حياة. وتكفل عز وجل بحفظها من التحريف والتزييف، وذلك من مقتضيات خاتمة النبوة والرسالة إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽³⁾.

إلا أن هجر الرسالة أو الانحراف عنها عقيدة أو شريعة أو أخلاقاً، والإيمان ببعضها والكفر ببعضها عملياً أو نظرياً، من الظواهر الاجتماعية الواقعية في تدين بعض الناس قبل الإسلام وبعده، بل هي صور من أمراض التدين تحصل في جميع مراحل التاريخ البشري، مع الأفراد أو الجماعات.

ومن الصور الماثلة في عصرنا لهجران الدين كتيار فلسفي عام ومنهج عملي في الحياة العامة ما يعرف بالعقيدة العلمانية، هذا التيار الذي نشأ في أوروبا مع مطلع عصر النهضة والذي نجم عن صراع العقل الغربي مع الكنيسة وسلطانها الروحي والفكري والسياسي الذي كان يلف الحياة الاجتماعية في العصر الوسيط، إلى أن تمت الغلبة للتيار العلماني في إبعاد الكنيسة بصورة

(1) السبحان عبد القادر حامد- أصول الفكر السياسي في القرآن المبكر: 187.

(2) سورة الأنبياء- الآية: 25.

(3) سورة الحجر- الآية: 9.

خاصة والدين بصورة عامة عن الحياة العامة في الغرب وفي كل العالم الذي امتد إليه سلطان الغرب الفكري والسياسي بعد ذلك.

والملاحظ أن الدين باعتباره عقيدة ومنهج حياة ظاهرة لازمت الإنسان منذ وجوده على الأرض وقد كان أساساً لتصورات الإنسان عن الوجود، ومصدراً لقيمه الأخلاقية وعلاقاته المتعددة الأبعاد وعلى رأسها التدبير السياسي والتنظيم الاجتماعي لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

إلا أن التجاذب بين سياسة الدين ودين السياسة في تدبير الحياة العامة للإنسان لم تخل تجربة إنسانية في التاريخ من التدافع بين المنهجين في محاولة التحكم في مجرى الأحداث وتوجيهها الوجهة المثقفة مع الدين الحق المثل أو الدين الباطل الوضعي للنسجم مع هوى الإنسان أو انحرافاته.

ورغم نجاح العلمنة في أوروبا في إبعاد الكنيسة عن السيطرة على الحياة المدنية بكاملها تدريجياً إلا أنها لم تلغ علاقة الدين بالاجتماع السياسي، «حيث مازالت مفاهيم (الدين) لها من النفوذ والقوة الضمنية والصريحة الشيء العظيم، نجد على ذلك نماذج علاقة الدين بالاجتماعي السياسي في الحياة الغربية المعاصرة⁽¹⁾»:

- أ- وجود أحزاب سياسية اشتراكية مسيحية في أوروبا.
- ب- اختلاط طرق ومناهج التعليم التي تدعي أنها علمانية بمفاهيم وقيم مسيحية.
- ج- التحالف بين جميع الدول الغربية والبابا، والتنسيق بينهما لمد النفوذ الديني المسيحي والسياسي على العالم.

- د- احتفاء عملات كثير من الدول الغربية بقيم ورموز مسيحية؛
- فمثلاً، الدولار الأمريكي مكتوب على أحد وجهيه (In God we trust) (بالرب نؤمن).
- والصليب يعلو القرنك السويسري والباون الإنجليزي... الخ

⁽¹⁾ عادل عبد المهدي - إشكالية الإسلام والحدثة: 148 وما بعدها.

هـ- وأكبر دليل على تلازم الديني والاجتماعي السياسي بالدعم الشامل في إطار ما يعرف بالحضارة اليهودية- المسيحية، أي الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة عملهم الدعوب منذ ما يزيد على قرن من الزمان، في استنابات مشروع دولة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي، انطلاقاً من ادعاءات دينية ومزاعم توراتية تعود إلى عشرات من القرون الخالية، وهل بعد هذه الحقائق وغيرها كثير، أن يصدق المسلم الدعوات الباطلة إلى العلمانية في الداخل والخارج وعزل الإسلام عن الحياة الاجتماعية والسياسية للأمة؟ وهل عرف المسلمون في البعد عن دينهم عزة وتمكينا وسيادة وتقلدا ماديا أو معنويا؟ أم مُنوا بكل أشكال السقوط الحضاري والتخلف المادي والمعنوي والهوان على الناس، الذي لم يحصل منه شيء في ظل تمسكهم بدينهم حين بلغوا القمم في العلم والحضارة والعزة التي بوأهم قيادة العالم إلى النور والهداية والإعمار والعدل والسلام. إن تاريخ البشرية في الماضي والحاضر وحتى المستقبل، دل ولا يزال، على أن لكل مجتمع دينه بمعنى من المعاني ولكل دين حقيقته الاجتماعية السياسية تبعا لتلك المعاني والأسس التي قام عليها.

ومع ذلك فإن ظهور الفلسفة السياسية العلمانية وتطورها في الغرب حقيقة أوربية غربية تتعلق بالصورة المخرفة للدين اليهودي المسيحي الذي عرفته أوروبا على غير طبيعته كما نزل من السماء ودعا إليه موسى وعيسى وغيرها من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام. على اعتبار أن الدين الحقيقي المثل رغم اختلاف تشريعاته من رسالة إلى أخرى، فهو واحد في عقائده ودعوة نقية إلى الوحدةانية، والتزام خلقي وتشريعي بأمر الله في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية على حد سواء.

إلا أن الواقع التاريخي لممارسة الدين على الصعيد الاجتماعي السياسي في التجربة الأوربية التي أعقبتها الفترة العلمانية يتطلب منا أن نقف عند ممارسات محددة لرصد التطور التاريخي في علاقة الديني والاجتماعي السياسي كما حصل من منظور كنسي صرف.

ثانيا: حقيقة الحكم الديني (الثيوقراطي):

إن الحكم الديني "الثيوقراطي"، يعني الممارسة الدينية للسياسة في الحياة العامة للتاريخ البشري، بما في ذلك التجارب السابقة على أوروبا طبقا لمفهوم خاص للدين، ومفهوم لفظة «ديني» في هذا المقام تعني ذلك «المعنى الذي تنسبه أوروبا إلى «الدين» وتفهمه على هذا النحو،

وهو أن الدين تجربة فردية خاصة لا تذهب أبعد من العلاقة الشخصية بالله، وهي علاقة تعبر عن نفسها فقط في عقائد وشعائر يؤديها الفرد، وعليه، فلا يمكن تصنيف الإسلام كدين بهذا المعنى والإسلام أكثر من دين لأنه يحتوي الحياة كلها»⁽¹⁾.

ويعرف طبيعة الحكم الديني من حيث أصوله الفكرية ونظمه الواقعية، تتجلى صورة الحكم العلماني وحقيقة فلسفته السياسية ونظمه هو الآخر. مما يمكننا من إدراك طبيعة الفروق بين تلك النظم وفلسفتها، وبين النظام السياسي الإسلامي ومذهبه السياسية التوحيدية المعيرة عن ذاتية الإسلام إلى حد بعيد.

ويسجل تاريخ النظم التشريعية والقانونية إبان العصور الوسطى وقبلها في أوروبا، أن السلطة السياسية في نظريات الحق الإلهي جعلت من السماء مصدرا لها- وأن ليس لإرادة الإنسان الفرد سوى الطاعة والامتثال لأوامر تلك السلطة التي اختارها الله أو باركتها الآلهة⁽²⁾.

ويجب التمييز بين نظريات الحق الإلهي الوضعية المصدر، ونظرية الحاكمية الإلهية ذات المصدر الرباني الحق كما عرفت على أيدي الأنبياء والرسل في بني إسرائيل، بالإضافة إلى حاكمية الكتاب مع الرسالة الخاتمة المتمثلة في القرآن الكريم.

ونظريات الحق الإلهي ذات الصبغة الدينية الوضعية، هي نظريات الحكم الديني «التيوقراطية» المطلق الذي لا يحده حد.

وتدور فكرة «التيوقراطية» باعتبارها نظرية في السلطة حول مفهوم السيادة في الحكم، وتجعل للسيادة مصدرا واحدا فقط هو الله، غير أنها تتصرف بمطلق الحرية في تفسير تلك السيادة وطبيعة تفويضها للحاكم أو الملك الذي بيده السلطة الفعلية، وإن اختلفت نظريا وعمليا مع حقائق الدين وروحه، بسبب منحها سلطات مطلقة للحاكم في التشريع والتنفيذ والقضاء دون رجوع إلى شريعة الله وحكمه الذي يدعي الحاكم أو الملك الانتساب إليه واستمداد الشرعية منه⁽³⁾.

⁽¹⁾ علي عزت بيغوفيتش - الإسلام بين الشرق والغرب: 27.

⁽²⁾ علي محمد حسنين - رقابة الأمة على الحاكم: 91.

⁽³⁾ علي المزمن - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 73.

ويمكن حصر «الثيوقراطية» في ثلاث نظريات⁽¹⁾:

1- نظرية الطبيعة الإلهية للحكام:

2- نظرية الحق الإلهي المباشر:

3- نظرية الحق الإلهي غير المباشر:

1- نظرية الطبيعة الإلهية للحكام:

تعتبر هذه النظرية أن الحكام ذوو طبيعة إلهية، يعيشون بين البشر ويحكمونهم.

وقد عرفت تلك النظرية قبل ظهور الكنيسة المسيحية في الحضارات القديمة، كالصين واليابان ومصر وبلاد ما بين النهرين، وفارس والروم.

ويكرس مفهوم الطبيعة الإلهية للحكام قناعات راسخة لدى الحكام والمحكومين على السواء، من أن الحاكم يتمتع بمقتضى تلك الطبيعة بسيادة مطلقة، وسلطان مقدس وبالتالي يستوجب ذلك طاعة عمياء لهم من قبل الرعية، وتنفيذ دقيق لأوامرهم دون أدنى اعتراض أو مناقشة باعتبارهم آلهة⁽²⁾.

والملاحظ أن النظم السياسية والقوانين التي تستلها الطبيعة الإلهية للحكام، تنتمي إلى الأديان الوثنية أو إلى الدين السماوي بعد تحريفه.

فقد رد بعض مؤرخي النظم القانونية والاجتماعية النظام الملكي الذي ساد حضارة بلاد ما بين النهرين إلى الدين في الحقبة الأولى من تاريخه. حيث كانت المدن السومرية تحكم في أصلها حكما دينيا، ويعد حاكمها المدني خليفة الإله في الأرض، ويحتل مرتبة الكاهن الأكبر في المملكة. ومن ثمة فهذا شبه توحيد بين السلطتين الزمنية والدينية، فالحاكم هو الكاهن في نفس الوقت، والأحكام في هذه الحضارة تنفذ باسم الإله، وحتى اختيار الحاكم ذاته ينسب إلى الإله بنحو من الأثماء.

(1) عبد الغني بسيون عبد الله - النظم السياسية: 46 وما بعدها.

(2) نبي الجمل - الأنظمة السياسية المعاصرة: 58.

وأما في عهد ملوك الأكاديين، فقد ظهرت عندهم فكرة الحكومة العالمية، وأن الملك الأكبر هو ملك جهات العالم الأربع، واعتبر الملك نفسه واحدا من الآلهة في الأرض، وهو مسؤول عن إنفاذ إرادتها والعمل بوحياها في الرعية ويتحمل أخطاء الرعايا وانحرافاتهم ولذا فهو يفرض عليهم طاعة مطلقة في الأغلب الأعم.

وفي دولة الحيثيين في بلاد ما بين النهرين اختلف الحال قليلا وتغير نظام الحكم عن نظيره في الملكيات السابقة ذات القانون الإلهي، ليصير الملك قائما على دعائم القوة فقط، وتقوم شرعيته على أساس كونه قويا منتصرا، قادرا على التغلب على سواه.

وأما الجانب الديني فالملك لا يعتبر إلها ولا قائما مقامه في هذه الدولة، ولكنه يعتبر مزودا بمدد إلهي مادام قادرا على الانتصار. إلا أنه يمكن أن يدخل في عداد الآلهة ويصير واحدا منهم بعد موته أو وسيطا بين الآلهة والناس - كما هو الحال عند البابليين - وأن أحلام الملك وتفاؤلاته وتشاؤمه وسيلة من الوسائل التي يعبر بها عن صلته بالآلهة⁽¹⁾.

وإذا كانت هذه النظرية قد عرفت في الأزمنة الغابرة من التاريخ، فإن اليابان قد بقيت محتفظا بعقيدة الطبيعة الإلهية لأباطرتها نتيجة بقاء الدين الوثني يسود الثقافة والحياة الفكرية والاجتماعية فيه، إلى غاية الهزاع اليابان في الحرب العالمية الثانية أمام الولايات المتحدة عام 1945 م. وبذلك تم وضع حد لتقدس الأباطرة في اليابان والعمل على الاندماج في الحضارة الغربية صناعيا وتكنولوجيا وسياسيا⁽²⁾.

2- نظرية الحق الإلهي المباشر:

وتعني هذه النظرية أن الحاكم من البشر ليس له طبيعة إلهية، غير أنه مصطفى من الله، يختاره وحده ويمنحه ممارسة السلطة والافراد بها.

وبناء عليه فإن الحكام يستمدون سلطتهم من الله مباشرة دون تدخل إرادة البشر أو اختيارهم. وإنما عليهم طاعتهم فحسب، لأن معصيتهم معصية لله.

(1) طه جابر العلوان - الخصوصية والعلوية في الفكر الإسلامي المعاصر: 247، 248.

(2) عبد الغني بسويي عبد الله - النظم السياسية: 47.

ومن هنا فمسئولية الحكام في ظل هذه النظرية تكون أمام الله الذي منحهم السلطة، لا أمام الرعية من المحكومين.

ولقد أقامت الكنيسة المسيحية فلسفتها السياسية على هذه النظرية، حين نادى القديسون بأن الإرادة الإلهية هي مصدر كل سلطة على الأرض⁽¹⁾.

واستغلها ملوك أوروبا في تدعيم سلطاتهم وبسط نفوذهم على المحكومين، واتخذ منها الباباوات مصدر سيادة على الملوك والشعوب المسيحية في أوروبا طيلة القرون الوسطى وحتى الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر.

وقد نشأت هذه النظرية عن تعاليم القديس بولس اليهودي الإغريقي للملود سنة 10 م في منطقة تاراس (أوترسوس) باليونان، والذي اعتنق المسيحية عام 34 م. وكان متأثرا بالفلسفة الرواقية، وقد استعانت به الدولة الرومانية في تبرير سلطاتها واستبدادها⁽²⁾، وذلك يجعل الإيمان أو الاعتقاد شأنا فرديا روحيا خاصا والحكم والتشريع شأنا وضعيا أرضيا، فصار الإيمان مجرد علاقة بين الفرد وربّه، وأصبح التشريع من اختصاص الملك المفوض من الله فقط⁽³⁾.

إن هذا المنحى الفكري الشاذ الذي جمع فيه بولس بين الفلسفة اليونانية والفكر الديني المسيحي هو الأرضية الصلبة التي بدأت منها العلمانية في الظهور عمليا في تاريخ أوروبا المبكر، وقد عبر عن هذا الاتجاه في رسالته إلى أهل رومية بكل وضوح قائلا في الإصحاح الثالث عشر⁽⁴⁾.

«لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله. وحتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله.

والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة، فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة، أفتريد ألا يخاف السلطان؟ افعل للصالح فيكون لك مدح منه لأنه خادم الله للصالح. ولكن إن فعلت الشر فحرف، لأنه لا يحمل السيف عبثا إذ هو خادم الله منتقم

(1) ثروت بدوي - النظم السياسية: 94.

(2) التيجاني عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المبكر: 203.

(3) علي المومن - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 74.

(4) فلا عن التيجاني عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المبكر: 201، 202.

للغضب من الذي يفعل الشر. لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضا بسبب الضمير. فإنكم لهذا توفون الجزية أيضا، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه. فأعطوا الجميع حقوقهم، الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، الخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام».

هاهو ذا بولس يدعو صراحة لإطاعة الدولة الرومانية الوثنية القائمة، طاعة تنبع من الضمير والفؤاد، ويغض الطرف في نفس الوقت عن مجرد الإشارة إلى الدولة المسيحية، ويعتبر مقاومة الدولة الرومانية خروجاً على الترتيبات الإلهية. وهذا لا يمكن أن يؤخذ من سيرة المسيح عليه السلام ولا من الدين الذي بشر به في الإنجيل. بل هو تصور خاطئ للدين والدولة وللعلاقة بينهما في منهج الله تعالى مع أي نبي أو رسول جاء من عند الله بدعوة الحق الجامعة لأمر الدين والدنيا ولسائر ضروب السلوك والأعمال في الحياة.

3- نظرية الحق الإلهي غير المباشر:

يعني مضمون هذه النظرية أن الحاكم يتم اختياره من قبل الشعب، ولكن بإرشاد وتوجيه من العناية الإلهية، فالاختيار الإلهي غير مباشر.

وتعكس هذه النظرية من الناحية التاريخية في التجربة الأوربية بداية الصراع على النفوذ والسلطة بين الملوك والكنيسة إبان القرن الثالث عشر الميلادي. إذ حاول الملوك أن يتحرروا من السيطرة الكلية للكنيسة مما جعل أحد المفكرين الإيطاليين وهو "توماس الإكويني" (ت 1274) يذهب إلى أن الإرادة الإلهية تتدخل لاختيار الملك أو الإمبراطور، ولكن بشكل غير مباشر، وإنما من خلال اختيار الشعب له بتوجيه إلهي⁽¹⁾.

تبقى هذه النظرية ضمن حقل «الثيوقراطية»، ولكنها تتميز بخطوة إلى الأمام عن نظريتي الطبيعة الإلهية للحكام، والحق الإلهي المباشر، حيث تفصل إلى حد ما بين السلطة والحاكم عن طريق الشعب أو الأمة في عملية الاختيار للحاكم رغم أن مصدر السلطة هو الله. والقاسم المشترك بين نظريتي "الحكم الديني الثيوقراطي" الثلاث، هو أن الحاكم فيها غير مسؤول أمام

(1) علي المزوم - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 75.

أي سلطة أو شعب، ولا تسمح له طبيعة سلطته بقبول المناصحة والنقد، لأنه بكلمة واحدة هو حاكم ذو طبيعة إلهية، أو مفوض من الله تفويضا مباشرا أو غير مباشر⁽¹⁾.

وبالتأمل في نظريات الحكم الديني بمعنى الثيوقراطي تجده يتلبس بلبوس الدين بمفهومه الوثني كما في الحضارات السابقة، أو يتمزج بزّي الدين المحرف في صورته الكنسية مع المسيحية في أوروبا إبان العصور المظلمة من القرن الرابع للميلادي إلى نهاية القرن الرابع عشر.

والنظام الثيوقراطي رغم وضوح معناه يفترق إلى الأسس والقواعد النظرية للتماسكة، بل هو مجرد حكم مطلق يحكم فيه البابا أو الملك دون الاستناد إلى شريعة أو قانون أو مذهبية فكرية مقنعة ومنصفة للحاكم والمحكوم على السواء. بل هذا النظام ادعاء عريض يتخفى في شرعية وإهية وهي محض افتراض يسوغ سلطة الحاكم ويكسبه مهابة وإطلاقية تبعده عن المساءلة أو المناصحة في إدارة شؤون المجتمع، وتدبير أموره. فهو نظام قائم على تحالف بين السلطتين الزمنية والدينية، وتبادل للمواقع حسب الظروف والأحوال. «والحقيقة أن الأنظمة الثيوقراطية التي حكمت أوروبا في هذه المرحلة تمثل نتاجا للعقلية الأوروبية المتتمية إلى المسيحية، في إطار تحالف المصالح والمصير بين السلطة الأرضية المطلقة المتمثلة بالملك أو الإمبراطور، والسلطة الدينية المطلقة المتمثلة بالكنيسة ورجال الدين، وهدفه تقاسم مساحات السلطة والقدرة والنفوذ...»⁽²⁾.

ولا مجال بطبيعة الحال للمقارنة بين هذا النظام والنظام السياسي الإسلامي الذي ينتمي بدوره إلى الدين، ولكنه دين الإسلام دين التوحيد والشريعة الكاملة، لا دين الخرافات الوثنية أو دين الشرك والتحرّيف، أي الدين الوضعي الذي أنتج نظريات الحكم وفق الحق الإلهي المزعوم كما تم عرضها.

وأما المقارنة بين نظام الحكم الإسلامي في قواعده وأصوله العقدية والأخلاقية والتشريعية وبين غيره من الأنظمة الدينية الوضعية والعلمانية فسيأتي تفصيله في المباحث الآتية لأجل الوقوف على الفروق الجوهرية بين طبيعة النظام السياسي الإسلامي، وطبيعة الأنظمة السياسية المختلفة في الماضي والحاضر والمستقبل.

(1) على المؤمن - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 76.

(2) على المؤمن - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 76.

ثالثاً: الإصلاح الديني البروتستانتي:

ظل سلطان الكنيسة في أوروبا مسيطرًا بلا منازع طيلة عشرة قرون تبسط فيه هيمنتها الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية على الرعية والسلطة معا.

و«لم تعرف أوروبا قط دين الله المتزل على حقيقته الربانية.

إنما عرفت صورة محرفة من صنع الكنيسة الأوربية لا صلة لها بالأصل المتزل، الذي أرسل المسيح ليلفقه لبني إسرائيل⁽¹⁾: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾⁽²⁾.

ومع احتكاك أوروبا بالمسلمين أثناء الحروب الصليبية، واتصالها العلمي بمراكز الأندلس وشمال إفريقيا اكتشفت تخلفها العلمي والحضاري بالنسبة للمسلمين وبدأت تفكر في النهضة من جميع جوانبها، وقد اعترف مؤرخوهم بذلك، فهذا "كسنوروكس" يقول: «إن أوروبا مدينة للإسلام في الاكتشافات العلمية، وبفضل الإسلام نفسه ظهر من علماء العلوم - "يكن" و"نيوتن" وغيرهما - ولو لم يعمم المسلمون الورق والبارود واليوصلة وغيرها من وسائل التقدم لكانت اليوم علوم أوروبا وحضارتها على نفس الحالة التي كانت عليها قبل أربعة عشر قرناً»⁽³⁾.

وبدأ التفكير في النهضة الأوربية بمباشرة عملية الإصلاح الديني خلال القرن الرابع عشر وامتد إلى غاية القرن السادس عشر الميلادي.

وقد تزعم هذه الحركة أكاديميان يدرسان اللاهوت في الجامعة، وهما الألماني Martin Luther (مارتان لوثر) (1483-1546م)، و John Calven (جون كالفن) السويسري (1509-1564م). وقد عرفت حركتهما إلى اليوم باسم «الحركة البروتستانتية» الاحتجاجية.

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي كان (مارتن لوثر) أستاذاً محاضراً في الدراسات الإنجيلية بجامعة (فيتشبيرج) بألمانيا. وقد لاحظ مع مرور الوقت تعقيدات مملّة ومنهجية عقيمة في تقدم اللاهوت، فعزم على إجراء إصلاح أكاديمي باستبعاد ركاب الجدل والشروحات التراثية

(1) محمد قطب - مفاهيم فكرية معاصرة: 9.

(2) سورة آل عمران - الآية: 49.

(3) محمد نقي الأميني - عصر الإلحاد: 36.

الكنسية التي تحجب أصول الدين. وقد وضع لنفسه هدفاً آنذاك لخصه في شعار «لا قداسة إلا للنص»⁽¹⁾، وبعد جهد جهيد فوجئ (لوثر) من أن المنابع الصافية التي يبحث عنها مفقودة حتى على مستوى الكتاب المقدس، أو الأناجيل التي هي مجرد نقول وشروحات جمعها أتباع المسيح عليه السلام وأتباعه على فترات زمنية متباعدة، فافتنع بعد طول دراسة وتمعن أن الأناجيل ليست على شيء من القداسة!

فإنه بلهفة يبحث عن مصدر آخر لعله يسعفه في بحثه عن الجوهر الديني والعمق الروحي للمسيحية، فظن أنه وجد ضالته في رسائل بولس التي سيعتمدها منطلقاً لإصلاحه بتأويلات شاذة وتخرصات أبعدته عن جوهر الدين الحق، مع العلم أن بولس اليهودي اليوناني لم ير المسيح عليه السلام، وهو الذي خلط بقايا تعاليم المسيح بالفلسفة الرواقية وجعل من الدين المسيحي مطية للفكر العلماني الذي سيتجذر في تربة المذهب البروتستانتي وعلى يد لوثر نفسه، مما سيفتح الباب على مصراعيه أمام العلمانية الجزئية عند الفلاسفة بعد ذلك، وصولاً إلى العلمانية الشاملة في مرحلة ما بعد الحداثة التي عمت كل قطاعات الفكر والحياة الخاصة والعامة للناس في عصر العولمة.

1- فكرة الخلاص الروحي:

من خلال إطلاعه على رسائل بولس، استوقفت "لوثر" عبارة في رسالة إلى أهل رومية، الإصحاح الأول تتعلق بفكرة الخلاص وهي: «لأن فيه أعلن بر الله بإيمان لإيمان»⁽²⁾ هذه العبارة من رسائل بولس أرقّت لوثر وأثارت في نفسه اشتزازاً وقلقاً عظيمين فيما يذكره عنه "جيرارد إيلنج" ونقله بتصريف التيجاني عبد القادر حامد في رسالته أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، قائلاً: «لقد تملكني رغبة بلجوج لدراسة رسالة بولس إلى أهل رومية وتفهمها، ولم يصدني عن ذلك فتور همي بقدر ما صدني عبارة وردت في صدر الرسالة هي قوله: (لأن فيه أعلن بر الله بإيمان لإيمان). ولقد كرهت هذه العبارة التي تعلمت تأويلها عن طريق الفلسفة، فقد قال شراح المذهب إنها تشير إلى البر الملموس والفعل الذي يتمثل في عقاب الله للمذنبين والخطائين. لقد كنت غير قادر على محبة الرب الذي لا يحب بل يعاقب المذنبين. ألا يكفي

(1) التيجاني عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المكي: 210.

(2) نقلاً عن التيجاني عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المكي: 211.

هؤلاء الضعاف أنهم قد أرهقوا منذ الأزل بالخطيئة الموروثة فيضاف إليهم الآن رهق جديد، يتمثل في الجزاء القانوني ويلاحقهم الرب - من خلال كتابه - مهدداً وغاضباً؟ وهكذا رحمت أقاسي عذاب الضمير وأنا أبدي وأعيد حول هذه العبارة التي أوردها بولس، أتحرق لإدراك معناها الحقيقي.

وفجأة أثناء التفكير المتواصل في إحدى الليالي قفزت إلى ذهني العبارة كاملة وهي كما يلي: (لأن فيه أعلن بر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا) ففهمت عندئذ أن المقصود هو أن البر الذي يديه الكتاب هو البر السلبي (الشكلي)، ولكن الرب الرحيم يأخذ بنا من خلال هذا البر السلبي ويجعلنا بررة من خلال الإيمان.

وحينذاك شعرت كأنني قد ولدت من جديد وفتحت لي أبواب الجنة، وصار الكتاب المقدس جميعه يعني شيئاً جديداً بالنسبة لي. وتعذلت مفهوماتي الدينية فصار (فعل الله) الوارد ذكره في الكتاب، يعني ما يفعله الله في داخلنا، وقوة الله هي الأداة التي تجعلنا أقوياء، وحكمته هي الأداة التي تجعلنا حكماء. وهكذا، وكما أنني كرهت عبارة: (لأن فيه أعلن بر الله) من قبل قد عدت وأحببتها وصارت مدخلا للجنة بالنسبة لي...»⁽¹⁾.

ويستخلص من كل ذلك أن موضوع الإصلاح البروتستانتي عند لوثر قد حدد من خلال تأويله لعبارة بولس وفهمه للدلول حقيقة فكرة الخلاص التي تعني عنده ألا سلطان إلا لصوت الإله الذي يتكلم في داخلي، ولذا تراه يلخص التجربة الدينية كلها في مشروعه كما فعل أستاذه بولس في «دائرة الضمير الفردي المثقل بالخطيئة الأولية، والذي ينبغي عليه أن يتحد بالمسيح عن طريق الإيمان حتى يتم له الخلاص»⁽²⁾.

ومن هذا المنطلق يصل لوثر بمنهجية الإصلاحية في إبعاد القداسة عن نصوص الكتاب المقدس، وبالتالي يتعذر العثور على جوهر الدين بالاعتماد عليها دون الاضطرار إلى التأويل والاستقلال بالرأي في تفسير النصوص. ومن ثمة يمكن للإنسان الفرد أن يتجاوز نصوص

⁽¹⁾ نقل من ترجمة تصرف عن الإنجليزية للتحجان عبد القادر حامد، مرجع سابق Gerhard Ebiling, Luther : In Introduction to his thought : 211.

⁽²⁾ التحجان عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المبكي : 212.

الكتاب والعمل على تخليص روحه بنفسه وإنقاذها بالاتحاد مع المسيح طريقا للخلاص من ثقل الخطيئة.

ومن النتائج التي تقود إليها هذه التصورات في منهج لوثر الإصلاحى على مستوى الفرد وعلاقاته بالكنيسة والسلطة والمجتمع والدولة، هي التحرر من سلطان الكنيسة والدولة معا. «فكل هذه المقدمات تعني أن الفرد قد صار في موضع الاستقلال والاستغناء عن السلطة بشقي أنواعها، سلطة الكنيسة وسلطة الكتاب وسلطة المجتمع وسلطة الدولة، فمنحى الاستقلالية الروحية يفارق الدولة ومؤسساتها، لأنه ليس مهما بالنسبة للفرد المسيحي الصادق الإيمان أن يدخل في عقد ميثاق مع سلطة سياسية قانونية، بعد أن ألزم نفسه بالميثاق الرباني في قلبه، وماذا تفيد مملكة الأرض إنسانا يحمل مملكة الله في قلبه؟»⁽¹⁾.

لقد فتح لوثر باب الاحتجاج على سلطة الكنيسة وسلطة الدولة معا، وأمام المواقف المتطرفة من السلطة الروحية والزمنية يمينا ويسارا حاول أن يعيد التوازن لمشروعه الإصلاحى بضبط تلك الحرية التي أطلقها من عقائده بنوع من العلمانية حسده في نظرية المملكتين بكل وضوح:

أ- مملكة الأرض.

ب- ومملكة الله.

في رسالة له بعنوان «السلطة العلمانية وإلى أي مدى تجب طاعتها؟»⁽²⁾ ذهب لوثر إلى ضرورة التفرقة بين من يؤمن بالمسيح، وبين من لا يؤمن به. فالذين يحققون انتماءهم للمسيح يشكلون "مملكة الله" ويحكمون بالقانون الإلهي «القلبي»، وأما الآخرون فيشكلون "مملكة الأرض" ويحكمون بالقانون العلماني.

وأخذ يفصل في بيان ميررات القول بالمملكتين والفصل بينهما، حين أكد أن المسيحي لا يحتاج إلى سلطة زمنية مدنية، كما لا تحتاج السلطة المدنية إلى قديس، ومن غير اللازم أن يتحول الفرد إلى قديس كي يستحق الحكم، وإنما يشترط فيه ملكة العقل، ذلك لأن الله ترك

⁽¹⁾ النيجان عبد القادر حامد- أصول الفكر السياسي في القرآن المكي: 213.

⁽²⁾ في Gerhardebiling: تولا عن النيجان عبد القادر حامد- أصول الفكر السياسي في القرآن المكي: 214 وما بعدها.

أمر المجتمع المدني للعقل. لأن من غايات السلطة المدنية حفظ الأبدان ومنافعها المؤقتة، وليس من مهمتها إنقاذ الأرواح، وحثنا في ذلك أن الأناجيل لا تذكر شيئاً عن السلطة المدنية ولا عن كيفية إدارتها، وكل ما هنالك أنها تدعونا لمباركتها وعدم مقاومتها.

وهو في موقفه هذا يتبع القديس بولس في موقفه من السلطة الزمنية في عصره وقد تمت الإشارة إلى ذلك في رسالة بولس إلى أهل رومية.

وفي خاتمة المطاف أن للملكتين تقعان جميعاً تحت إرادة الله، الأولى تقع على يمينه ويحكم فيها بنفسه ويقيم فيها، والثانية تقع على شماله ويحكم فيها القانون الأرضي.

بعد هذا العرض الموجز لطبيعة النظرة المسيحية للسلطتين الروحية والزمنية قبل الإصلاح وبعده، يمكن الحكم بيقين على أن العلمانية قد نشأت كإفراز داخلي للفكر المسيحي الكنسي المنحرف عن الدين الحق الذي جاء به الأنبياء والرسل جميعاً من أولهم وهو آدم إلى خاتمهم محمد بن عبد الله عليهم الصلاة والسلام.

وحسب التجربة التاريخية الأوربية فإن العلمانية لم تنشأ كارتداد حكومي مقصود عن الدين. «بل إن الغريب في الأمر أن الفكر المسيحي هو الذي كان يسعى لإبقاء الدولة في الحالة العلمانية وإقرارها على ذلك، بينما كانت الدولة الرومانية في بعض أطوارها التاريخية تسعى للاتصاف بالدين، بحثاً عن عنصر الوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي. وهذا خلاف لرأي في كثير من الدراسات السياسية العقلية، يرجع العلمانية في نشأتها إلى فعل حكومي مدني»⁽¹⁾.

وأضاف Jhon Calven لحركة الإصلاح الديني التي بدأها Luther إضافات هامة في تصور العلاقة بين الديني والسياسي، واستطاع أن يردم الهوة التي أوجدها لوثر بين الروحي والزمني.

ففي كتابه «المؤسسة المسيحية» l'institution chrétienne الذي صدرت طبعته الفرنسية عام 1541 م يتضمن عقيدة سياسية ثابتة، تدعو إلى حكومة ثيوقراطية يحكمها رجال

(1) التهجان عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المبكى: 20.

الدين من القديسين، لأن في اعتقاده أن ميثاق الرب وقانونه اللذان جاء في الكتاب للمقدس، لم يقصد منهما إلا إقامة دولة الله في واقع الناس على هذه الأرض⁽¹⁾.

وتقر المؤسسة المسيحية عند كالفن بمبدئي الخضوع للحكم الذي يأتي من الله، والحرية المسيحية الداخلية النابعة من إيمان الفرد كما يقول لوثر.

ولتحقيق العدالة في الواقع لا بد من الجمع بين الروحي والزمني، ولذلك أصر كالفن «على الاستمرارية بين العهد القديم والعهد الجديد، يقيم نوعاً من الوحدة بين الروحي والزمني. والمسيحي يجب أن لا يعتبر نفسه كغريب في هذا العالم وضعته مشيئة الله حيث هو، إن للمجتمع أهدافاً مادية متواضعة، ازدهار الأفراد ضمن النظام، وله أيضاً غايات أسمى: «بروز شكل عام للدين بين المسيحيين، وأن تسود الإنسانية بين الناس». وهكذا لا تنفي التبعية للشريعة الإلهية السياسة العقلانية، بل بالعكس تجعلها ضرورية.

والمبدأ القائل بأن كل سلطة جديدة بالاحترام لذاتها، لأنها من تأسيس الله، له نتيجة طبيعية: لا وجود للسلطة إلا من أجل القيام بالمهمة الروحية التي قوامها قيادة الناس كما يشاء الله، من أجل تسهيل خلاصهم⁽²⁾.

وقد كان من الآثار التي أعقبت الإصلاح الديني الصراع المرير والانقسام الديني بين رجال الإصلاح البروتستانت ورجال الكنيسة الكاثوليكية، تجاوز ذلك الصراع التبديع والتكفير إلى إراقة الدماء ونشوب الفتن الداخلية والحروب بين المسيحيين مما جر معه تداعيات في الفكر والسياسة بشكل مباشر وغير مباشر على تطور الأوضاع في أوروبا، وكرد فعل لهذه الخلخلة في الفكر والدين والسياسة التي شحنت المجتمعات الغربية بالكراهية والشك والجهود والاحتجاج «ظهر مفكرو الفلسفة الليبرالية الغربية متقدمين بها، كأيدولوجية علمانية تتصدى لإزاحة الدين جملة وتفصيلاً، وإقامة مجتمع جديد يكون بلا دين على الإطلاق أو يكون له دين وضعي وعقلي لا يعرف الغيب ولا يؤمن به»⁽³⁾.

(1) التيجاني عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المبكى: 215.

(2) جان نوسار وآخرون - تاريخ الفكر السياسي: 218، 219.

(3) التيجاني عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المبكى: 217.

المبحث الثالث: فلسفة السياسة في العقيدة العلمانية:

يستدعي الحديث عن الفلسفة السياسية في العقيدة العلمانية، التعريف بالعقيدة العلمانية من حيث مفهومها وغاياتها وأسسها على الصعيد المعرفي من الناحية المبدئية.

والعودة بهذا المفهوم إلى مصادره الحقيقية كما تعكسه التجربة التاريخية لنشوء هذا المفهوم ودلالات تطوره وأثره في بيئته وتداعياته المتعددة للأمم والحضارات المختلفة.

ولئن كان لهذا المفهوم حضور لا يستطيع أحد أن ينكره على مستوى الأفكار والممارسات السياسية والاقتصادية وحتى القيم الاجتماعية بحكم هيمنة الغرب على العالم منذ ما يزيد على الخمسمائة سنة. فإن منظومة القيم الإسلامية التشريعية والأخلاقية التوحيدية في مظاهرها من الكتاب والسنة لم تترك فراغا في العناية بالحياة الخاصة والعامّة للإنسان، كالذي أقرته الكنيسة ومارسته نظرا وعملا. مما دفع العقل الإنساني في تاريخ التجربة الأوربية إلى ابتداء عقيدة العلمانية لسد النقص التشريعي في الشؤون العامة، والتحرر الفكري والمنهجي من أساطير الكنيسة في الدين المسيحي الذي عرفته أوروبا طيلة عشرة قرون، وهي كل الفترة التي ينعونها في تاريخهم بالعصور الوسطى أو (العصور المظلمة). وبناء عليه يمكن الجزم - مسبقا - أنه يمتنع أن يقوم في ظل اجتماع سياسي إسلامي حقيقي، نظام حكم ديني ثيوقراطي أو نظام حكم علماني لاتنفاء أسباب قيامهما في مرجعية الإسلام بحكم سلامة الدين في الإسلام من التحريف بالإضافة إلى تمامه وكماله، وتكفل الله عز وجل بحفظه إلى نهاية التاريخ وقيام الساعة. وإن حدث وتحول حكم المسلمين جهة الحكم الديني الثيوقراطي، أو جهة العلمانية في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، فيجب النظر في انحراف المسلمين عن قيم الإسلام ومنطلقاته في تنظيم الحياة الفردية والجماعية وفق مقتضيات الشرع وتقوم الاعوجاج الحاصل من أيسر السبل.

أولا: تعريف العقيدة العلمانية:

1- معنى العقيدة:

معنى العقيدة في اللغة العربية مشتق من كلمة «عَقَدَ» الذي يدل على الربط والشد وإحكام الوثائق في الأمور المادية، كما في الأمور المعنوية.

ولما كانت قضايا العلمانية من الأمور الفكرية التصورية المعنوية، فارتباط العقيدة عند الإنسان بتلك التصورات والمفاهيم النظرية يرتقي بها من مجرد معارف نظرية إلى مرتبة التصديق واليقين الجازم عند صاحبها. ولذلك يمكن القول: «إن الاختلاف بين العقيدة والنظرية لا يرتبط بمحتواها الموضوعي، بل بالبعد الذاتي النفسي للناظر أو المعتقد. فالمعتقد متيقن بصدق ما عرف، جازم بتحقيقه»⁽¹⁾ ولا يشترط ذلك في صاحب النظرية بطبيعة الحال.

2- معنى العلمانية:

أ- العلمانية في اللغة:

العلمانية (بفتح العين وسكون اللام) مشتقة من العلم بمعنى العالم أو الدنيا. والعلماني هو خلاف الديني أو الكهنوتي⁽²⁾.

وأصل الكلمة لاتيني لا عربي وإنما انتقل إلى العربية بمعانيه المختلفة عن طريق الترجمة. وكلمة «علمانية» ترجمة لكلمة «سكيولارزم Secularism» الإنجليزية، وكلمة «لايست Laïcité» الفرنسية. فهي في الإنجليزية تعني «الدنيوية: عدم المبالاة بالدين أو بالاعتبارات الدينية»⁽³⁾. وفي الفرنسية تعني Laïcité: زمنية، علمنة (صفة ما هو زمني أو علماني، نظام إبعاد الكنيسة عن ممارسة السلطة السياسية أو الإدارية، في التعليم خاصة)⁽⁴⁾.

وبهذا يكون معنى «العلمانية، Secularism، أو Laïcité» في اللغة «الدنيوية» أو «المذهب الدنيوي»⁽⁵⁾. وأصبح مدلول العلمانية Secularism في لاتينية العصور الوسطى لأسباب دينية وسياسية تخص أوروبا يعني تحديدا «العالم» أو «الدنيا» (مقابل الكنيسة).

(1) لوي سال - العقيدة والسياسة: 54.

(2) مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط: 170/2.

(3) سنتر البعلبكي - قاموس المورد، إنجليزي عربي: 827.

(4) سهيل إدريس - قاموس المنهل، فرنسي عربي: 702.

(5) زكريا فايد - العلمانية: 11.

وقد استعمل المصطلح «Secular» لأول مرة في نهاية حرب الثلاثين عاما* (سنة 1648 م) أثناء توقيع صلح «وستفاليا» وبداية ظهور الدولة القومية (أي الدولة العلمانية) الحديثة، وهو التاريخ الذي اعتمده كثير من المؤرخين بداية لمولد الظاهرة العلمانية في الغرب⁽¹⁾.

ب- العلمانية في الاصطلاح:

من أهم الإشكاليات التي واجهت ولا زالت تواجه الدارسين لمصطلح علمانية في الفكر الغربي قديما وحديثا من الفلاسفة والسياسيين وعلماء الاجتماع صعوبة ضبط مصطلح العلمانية ضبطا محكما يوقف فوضى التعريفات المتضاربة.

وهناك محاولة رائدة للتعريف وصل إليها الدكتور عبد الوهاب المسيري استخلصها من خلال تتبعه الاستقرائي لمدلولات الكلمة قديما وحديثا في حل حقول المعرفة الغربية التي تعنى بهذا المفهوم، ففي رأيه أن لمصطلح علمانية تعريفان:

- التعريف الأول: العلمانية الجزئية:

- والتعريف الثاني: العلمانية الشاملة:

التعريف الأول: العلمانية الجزئية:

«العلمانية الجزئية: رؤية جزئية للواقع (برجماتية- إجرائية) لا تتعامل مع أبعاده الكلية والنهائية (المعرفية)، ومن ثم لا تتسم بالشمول. وتذهب هذه الرؤية إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة وربما الاقتصاد، وهو ما يعبر عنه بعبارة «فصل الدين عن الدولة»⁽²⁾.

التعريف الثاني: العلمانية الشاملة:

رؤية شاملة للعالم ذات بعد معرفي (كلي ونهائي)، تحاول بكل صرامة تحديد علاقة الدين والمطلقات والماورائيات (الميتافيزيقية) بكل مجالات الحياة. وهي رؤية عقلانية مادية تلور في

* «حرب الثلاثين عاما حرب معقدة، عراملها دينية وسياسية واقتصادية معا. بدأت في بوهيميا، وامتدت إلى الإمبراطورية المقدسة، ثم إلى قسم من أوروبا. وكان رهان الدواخ، الذي جرى فيها على الصعيد الدبلوماسي والمسكري، سيطرة البيت النمساوي في أوروبا». انظر هذه الحرب بتفصيل أكثر في نور الدين حاطوم- تاريخ القرن السابع عشر في أوروبا: 47 وما بعدها.

⁽¹⁾ عبد الوهاب المسيري- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: 53/1، 54.

⁽²⁾ عبد الوهاب المسيري- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: 220/1.

إطار المرجعية الكامنة والواحدية المادية، التي ترى أن مركز الكون كامن فيه، غير مفارق أو متجاوز له (فالعلمانية الشاملة وحدة وجود مادية)، وأن العالم بأسره مكون أساسا من مادة واحدة، لا قداسة لها ولا تحوي أية أسرار، وفي حالة حركة دائمة لا غاية لها ولا هدف، ولا تكثر بالخصوصيات أو التفرد أو المطلقات أو الثوابت. هذه المادة- بحسب هذه الرؤية- تشكل كلا من الإنسان والطبيعة. فهي رؤية واحدة طبيعية مادية»⁽¹⁾.

وإذا قارنا بين مفهومي التعريفين السابقين للعلمانية نلاحظ أن العلمانية الشاملة تتجاوز المفهوم التقليدي الجزئي للعلمانية الذي يعني مجرد فصل الدين أو الكهنوت أو هذه القيمة أو تلك من القيم عن الدولة أو عما يسمى «الحياة العامة» كما عرفته التجربة الأوروبية في مطلع عصر النهضة. وإنما العلمانية الشاملة صارت تعني في تطور الفكر الغربي عموما والممارسة العملية، الفصل لكل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية (المتجاوزة قوانين الحركة للمادية والحواس) عن العالم، أي عن كل من الإنسان (في حياته العامة والخاصة) والطبيعة، بحيث يصبح العالم مادة نسبية لا قداسة لها⁽²⁾.

وتتجسد ممارسة هذه الرؤية العلمانية الشاملة باعتبارها الإطار المعرفي النهائي للحضارة الغربية الحديثة في مفهوم الإمبريالية الذي يترجم القيم المادية في الواقع البشري في الداخل والخارج ويحمله على الخضوع والامتثال لتحقيق أهداف الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية⁽³⁾:

1- على مستوى العلمنة في الداخل (بواسطة الدولة القومية المطلقة)، قامت حكوماتها بترشيد البنية المادية والاجتماعية للمجتمعات الغربية من تعظيم توظيف الموارد البشرية والمادية بهدف ترشيد السوق الداخلي ورفع كفاءة الإنسان وأدائه في الداخل الغربي تمهيدا لغزو الخارج بعد الانتهاء من غزو الداخل.

2- أما على مستوى العلمنة في الخارج (بواسطة الإمبريالية العالمية) فقد بدأت مرحلة إمبريالية الخارج ووضع اليد عليه متزامنة مع انتهاء الدولة القومية العلمانية من ترشيد الداخل وتوسع السوق مع فجر الموجة الاستعمارية الحديثة بعد اكتشاف العالم الجديد- أميركا-

(1) عبد الوهاب المسوري- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: 220/1.

(2) عبد الوهاب المسوري وهرزب المنظمة- العلمانية تحت المهر: 122.

(3) عبد الوهاب المسوري- موسوعة اليهود واليهودية والمسيحية: 311/1.

وتطويق القارات وغزوها ونهب خيراتها عبر تكثيف مواردها المادية والبشرية في تجييش الجيوش والشروع مباشرة في ترشيد (الخارج) وتوظيف موارده المادية والبشرية لصالح حكومات الاستعمار الأوربي وشعوبه. حتى تمت لها السيطرة على العالم بأسره وأحكمت القبضة الحديدية على أسواق العالم وشعوبه، وأخضع كل شيء لقانون الواحدية المادية وترشيده في إطارها كي يتم تنميط المؤسسات والبشر واستيعاب الجميع في سوق عالمية وشبكة اتصالات ضخمة فيما أصبح يعرف العولمة، أو النظام العالمي الجديد.

إن تدرج المفهوم الدلالي لمصطلح علمانية في الفكر الغربي يلقي بظلاله منذ أن ظهر في تاريخ التجربة الأوربية على الفكر والحياة برمتها، ويطمح اليوم إلى أن يكون المرجعية العقدية الفكرية والسياسية للبشرية كافة لا عن طريق الإقناع والإلزام الأدبي على فرض أنها حق، وإنما بواسطة القوة وتحطيم ثقافات وقيم الآخر بالادعاء والصلف والاستكبار على الناس وعلى الحق بأوهام نهاية التاريخ وصراع الحضارات ومحور الشر وما إلى ذلك من الدعاوى الواهية لتبرير ما لا يمكن تبريره من أشكال النهب والظلم والطغيان والإرهاب العولمي. ونحسب أننا قد تجاوزنا الحد وتوسعنا توسعا لا لزوم له في تعريف العلمانية ولكن امتداد مفاهيم العلمانية الشاملة إلى كل كبيرة وصغيرة في الحياة المعاصرة بالطرق الظاهرة والخفية حتم ذلك، خاصة وأن الصحوة المعرفية الإسلامية المعاصرة التي تطمح بدورها إلى خوض غمار البناء الحضاري الشامل في هذا العصر تتحرك في واقع معرفي وحضاري مثقل بالقيود والإكراهات، ولكن الإسلام قَدَّرَ اللهُ تعالى ورحمته إلى العالمين يستوجب النهوض به في ظل هذه الظروف لإنقاذ الإنسان وتصحيح المسار الإنساني العقدي والمعرفي والاجتماعي والسياسي والحضاري لتمكينه من النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة على امتداد العالم برمته، لأن الإنسانية كلها مشروع دعوة وإصلاح لرسالة الإسلام الخاتمة.

ثانيا: أصول فلسفة السياسة العلمانية:

لقد اتضح أن الدين المسيحي الذي قامت على أساسه الكنيسة وعرفته التجربة الأوربية يفصل في نصوصه بالدلالة الظاهرة والكامنة بين شؤون الأرض والجسد وبين الدين. وأن الدين يعني بعملة الله، التي تقع من الإنسان في جانب القلب والروح فحسب. ومع ذلك فإن التاريخ يثبت أن الكنيسة قد خاضت في السياسة ومارستها وتصارعت مع الملوك، وتحكمت في العقول

وهيمنت هيمنة مطلقة على الأرواح والأرزاق، ونخالفت مع الظلم والاستبداد وأنشأت محاكم التفتيش واضطهدت العلماء ورجال الإصلاح وحرقت بعضهم وكفرت آخرين، وكل زادها دين محرف لا يقوى على شيء من أحكام تنظيم الحياة العامة وقد استعاضت عن ذلك باتخاذ الأساطير والأوهام دينا ملزما للناس طيلة عشرة قرون بتمامها!

ولما انفصلت الدولة عن الكنيسة في أوروبا، أو الدين عن السياسة، صار من اللازم التفكير في وضع أصول فلسفة سياسية بديلة عن الفلسفة السياسية للكنيسة، تحمل محلها كما تملأ الفراغ التصوري الذي يؤمن غايات اجتماعية كبرى ويبرر مشروعية النظام السياسي الجديد.

ولذلك طرحت المدارس الفكرية والسياسية المعنية بهذا التحول الكبير أسئلة محددة في هذا الشأن، من بينها على سبيل المثال: ما هي الأصول أو المبادئ التي يقوم عليها النظام السياسي، ويدير وفقها شؤون المجتمع في غياب الدين؟ وهل النظم السياسية وحدات إنسانية مرتبطة بالأرض ارتباطا لازما، أم أنها وحدات إنسانية لا تعلق لها بالأرض⁽¹⁾؟

فالإجابة عن هذين السؤالين في الفكر السياسي العلماني المنفصل عن الكنيسة، هو ما يحدد نمط الفلسفة السياسية المناسبة والمرغوبة في نفس الوقت، ويعين - بالتالي - الأصول والمبادئ التي تخضع لها الحياة السياسية وتتوجه بها بعيدا عن سلطان الدين وتحكم الكنيسة. ولذا كانت تجربة العقيدة العلمانية السياسية رد فعل للعقيدة السياسية في اللاهوت الكنسي.

الأصل الأول: تحرير الدولة من الدين:

ارتبطت ولادة الدولة الحديثة في الغرب عقب الصراع الختامي الذي خاضته مع السلطة الكنسية الشاملة. «وقد اتخذ هذا الصراع شكلين أساسيين: الكفاح في سبيل أن تنتزع الدولة - لنفسها حيزا خاصا بها، أي أن تعين مجالاً سياسياً متميزاً عن الدين. والثاني أن تخلق لنفسها قاعدة مستقلة للشرعية تختلف عن شرعية السلطة التي تمارسها الهيئة الدينية»⁽²⁾، ومن هنا كانت العقيدة السياسية العلمانية رد فعل حاسم على فلسفة الكهنوت السياسية، ومن المؤكد أن الكنيسة تستبعد في تصورها العقدي عنصر الأرض في فلسفتها السياسية وهي في

(1) النيجاني عبد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المبكى: 217.

(2) برهان غليون - نقد السياسة الدولة الدين: 283.

ذلك تتبع الفلسفة الأفلاطونية والتطبيق الروماني السياسي لهذه الفكرة، والجميع يتخذون من العنصر الإنساني الأساس للفلسفة السياسية في العصر الوسيط وما قبله. غير أن الدولة القومية الحديثة في عضم استقلالها وبناء شرعيتها عمدت إلى عنصر الأرض أو الإقليم وجعلت منه حجر الزاوية في أساسها الفلسفي لفك الارتباط مع البابوية وسلطانها السياسي، وعلى إثر ذلك تحولت الدولة في أوروبا من وحدة إنسانية خالصة تحت سلطان الكنيسة إلى وحدة إنسانية «إقليمية» أرضية. انفصلت الأقاليم عن التبعية المطلقة للملك الخاضع للبابا أو للذي يحكم بالحق الإلهي، وقد وضع حد نهائي للعلاقة بين الحكم الديني الثيوقراطي والحكم العلماني بانتصار الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر على الملكية والكنيسة معاً، وتعين بالتحديد سلطان الدولة وهيمنتها على الكنيسة بالعمل في إطارها، والاعتراف بأولويتها وسيادتها العامة⁽¹⁾.

وفي هذه الأثناء تبلورت فكرة «سيادة» الدولة على الأرض أو الإقليم، «أي سلطة الدولة العليا التي تمارسها على الأشخاص والأشياء في إقليمها»⁽²⁾. وبذلك تم فصل الأرض عن الدين أو الكنيسة بانتقال السيادة إلى الدولة الإقليمية الحديثة التي انبثقت عن دولة العصور الوسطى في كل أنحاء العالم الغربي، ومن مظاهر تحول الدولة في أبسط صورها وجود سلسلة واحدة من السلطة داخل الوحدة الإقليمية الجديدة يدعمها نظام قضائي وقوة من الجيش والشرطة يشرف عليها ويفقدها أولئك الذين هم في أعلى هرم السلطة⁽³⁾.

الأصل الثاني: تحرير العقل:

مثلت العلمانية في مرحلتها الأولى عقيدة سياسية شنت حرباً معلنة ضد سلطة الكنيسة لتحرير السلطة العمومية من قبضتها، وإبقاء سيادة الكنيسة مقصوراً على الروح. ثم دلفت العلمانية إلى الحركة العقلانية الإنسانية المعادية للدين الكنسي التقليدي المحافظ. والتي انطلقت مع حركة الإصلاح البروتستانتي والفكري في نفس الاتجاه الذي سلكه التحرر السياسي من الدين.

(1) برهان غليون - نقد السياسة الدولة والدين: 299.

(2) أليسانو عيد القادر حامد - أصول الفكر السياسي في القرآن المبكى: 219.

(3) كرين برينتون - تشكيل العقل الحديث: 53.

عرف تحرير العقل في سياق النهضة الأوروبية باسم «العقلانية Rationalism»، ويشير مضمون هذا المفهوم المركب إلى رؤية معرفية مضادة للعقيدة الكنسية المسيحية وموقفها المعرفي، حين عمدت الجامعات الكنسية إلى أصل الدين الأول وأفسدته وهو الإيمان بالله تعالى ووحدانيته، فقالت للناس في أناجيلها المحرفة إن الله ثلاثة أقانيم^(*)، وإله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو أحد هذه الأقانيم الثلاثة، وإنه ابن الله وفي الوقت ذاته إله، وشريك لله في تدبير شؤون الكون⁽¹⁾.

إن هذه الألفاظ والأحاجي التي ابتدعتها الجامعات المقدسة في حق الله تعالى، وفي أصل الدين الأول لا تمت بصلة إلى المعقول، لأنه ليس في إمكان العقل البشري أن يتصور ويستسيخ أن ثلاثة أشياء هي ثلاثة وهي واحد في نفس الوقت، فالجمع بين المتناقضين محال بداهة وعقلا. ثم حاولت الكنيسة عبثا أن تسوغ ذلك عقلا عبر التواءات فلسفية لا معقولة، ثم حجرت على العقل بعد ذلك أن يناقشها، ومن سولت له نفسه أن يعترض على ذلك عد من المهرطقين المارقين من الدين، يجوز إخراجهم من الدين وحتى هدر دمايتهم، كما جرى العمل به في محاكم التفتيش مع رجال الإصلاح وعلماء الطبيعة الذي عذبوا وقتل بعضهم. وقد سميت تلك «المسلحات» أو العقائد المفروضة على المؤمنين المسيحيين فرضا لا يجوز مناقشتها باسم Dogmas، على اعتبار أنها من الأمور التي يجب على العقل أن يسلم بما رغم مناقضتها للعقل.

وفي هذا الصدد سجل «ويلز» عن محاكم التفتيش قائلا: «فأصبح قساوستها وأساقفتها على التدريج رجالا مكيفين وفق مذاهب واعتقادات حتمية Dogmas وإجراءات مكررة وثابتة.. ونظرا لأن كثيرا منهم كانوا على الأرجح يسرون الرية في سلامة بنان مباديتهم الضخم المحكم وصحته المطلقة لم يسمحوا بأية مناقشة فيه. كانوا لا يحتملون أسئلة ولا يتسامحون في مخالفة، لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم، بل لأنهم كانوا غير واثقين فيها.

(*) الأقانيم جمع أقنوم، وهو من مفاهيم المعتد المسيحي، القائل بأن الرب هو في - الجوهر واحد ولكنه ذو أقانيم Persons أو (اشخاص) ثلاثة هي: Trinity، الأب Father، والابن Son، والروح القدس Holy spirit. انظر بتوسع موسوعة المورد المبر، لميز البعلبكي:

وقد تجلّى في الكنيسة عندما واثى القرن الثالث عشر ما يساورها من قلق قاتل حول الشكوك التي تنخر بناء مدعياتها بأكملها، وقد نجعله أثرا بعد عين، فلم تكن تستشعر أي اطمئنان نفسي، وكانت تصيد الهراطقة في كل مكان كما تبحث العجائز الخائفات - فيما يقال - عن اللصوص تحت الأسرة وفي الدواليب قبل الهجوع في فراشهن»⁽¹⁾.

ولما تهيأت الظروف في مطلع عصر النهضة للعقل الأوربي مع الإصلاح الديني. وتحرر الدولة من سلطان الكنيسة، صار الخوض في محرمانها والخروج عن سلطانها السياسي والفكري يمثل حركة تملعل واسعة النطاق في جميع الاتجاهات عمادها الثقة المطلقة في قدرات العقل الإنساني، والتحرر الكامل من السيطرة الكنسية اللاهوتية.

حتى غدا العقل نزعة مذهبية يرى أصحابها أن الفكر العقلاني هو من يرى أن العقل قادر على إدراك الحقيقة بمفرده دون مساعدة من وحي أو إلهام أو عاطفة، وأن المعقول هو الطبيعي فقط، ولا وجود لشيء خارق للطبيعة، وأقصى ما يمكن الاعتراف به هو الجهول الذي قد يصير يوما ما معلوما. ولا مكان في فكر العقلاني للاستسلام الغيبي لعقيدة ما، وأن أبغض شيء إليه المقولة القديمة التي تعبر عنها عبارة «أومن به لأنه مستحيل»⁽²⁾ وهو إيمان الكنيسة بطبيعة الحال.

هذه النزعة المادية التحررية رد فعل عنيف على قيود الكنيسة التي كبلت بها العقل في العصر الوسيط وحرمته قرابة ألف سنة من معرفة الحقيقة وفهم سنن الطبيعة وتسخيرها وتنظيم الحياة الاجتماعية بما يحقق العدالة والحرية والانعقاد من الآلة البشرية المدعاة بين رجال الدين والملوك الذين أفسدوا على الناس دينهم وديناهم.

إلا أن التحرر العقلي الذي انفلت من عقال الكنيسة رسا على شواطئ النزعة المادية الوضعية التي أفضت في نهاية المطاف إلى تأسيس دين وضعي بديل للدين الكنيسة المحرف. وهذا الدين الوضعي وضع أصوله الفلاسفة والأدباء والفنانون الذين عادوا إلى الميراث الإغريقي الروماني المادي الوثني يوصلون لهضتهم الحديثة في جميع ميادين الفكر والحياة. وهو ما عرف في اصطلاحهم بـ "GRECO-ROMAIN".

(1) ويلز - معالم تاريخ الإنسانية: 902، 903. نقلا عن محمد قطب مذاهب فكرية معاصرة:

(2) كرين برنتون - تشكيل العقل الحديث: 70.

ومن سمات التحرر العقلي ترسيخ قيم جديدة ونظرة تعلي من شأن الحياة الدنيا ورفض التنكر لها أو التضحية بها باسم القيم اللاهوتية وتعليق الخير كله بالحياة الأخرى بعد الموت. وقد ترتب عن ذلك نتائج إيجابية بلا ريب بالمقارنة إلى حالة الإنسان في التصور المسيحي وفي الواقع الذي مر به، فأصبح الإنسان في ظل الأوضاع السياسية والفكرية الجديدة بإمكانه أن يضع حدا لحرمانه من ضروب التعسف الدينية والسياسية الاستبدادية، وصار يعرف أن له حقوقه الطبيعية والأساسية في أخذ نصيبه من الدنيا، كما استشعر إمكانية قدرته على بناء وإصلاح الحياة على الأرض ومسؤوليته كعامل مستقل ومتميز في صنع التاريخ وممارسة التغيير الاجتماعي والمساهمة في التنظيم والتحويل حسب قواعد وقوانين ثابتة متفق عليها، كل ذلك بفضل تحرره السياسي والوجداني والعقلي⁽¹⁾.

آثار التحرر العقلي على الفكر السياسي:

من الآثار المباشرة للتحرر العقلي من إسطار الكنيسة ودينها وضع دين بديل سمي بـ «الدين الوضعي» ومن مؤسسيه الفيلسوف السياسي الفرنسي «جان بودان - 1530-1596» ولا يقوم الدين الطبيعي على وحي، وإنما مصدره الفكر الحر والتخلص من مؤثرات دين الكنيسة. وحقيقة الدين الطبيعي هو ذلك الدين الذي يبقى حرا من جميع التقاليد والعادات وينبني على الطبيعة الإنسانية فقط، ولا يحتاج الدين الطبيعي إلى تعليم أو تربية، بل إن الإنسان إنما خلق بفطرته ملتزما بالدين الطبيعي لأنه مودع في طبيعة الإنسان، والعقل الذي زود به الإنسان يستطيع التمييز بين الخير والشر⁽²⁾.

إن نفور المفكر العقلاني من المقدس ناتج عن خصومته مع الكنيسة الذي أفضى به إلى إنكار كل ما هو مقدس أو إلهي بالمعنى التقليدي⁽³⁾.

فنظرية العقد الاجتماعي لدى الفلاسفة العقلانيين التي يفسرون بها نشوء الدولة وظهورها تعود أساسا إلى فكرة الدين الطبيعي المبنية على تصورهم الخاص للإنسان، وموقفهم الرفض للدين المنتسب إلى الوحي.

(1) برمان غليون - نقد السياسة الدولة والدين: 311.

(2) محمد تقي الأميني - عصر الإلهاد: 64 وما بعدها.

(3) كرين برنتون - تشكيل العقل الحديث: 95، 96.

يرى «Hobbes - 1588-1679 م) الفيلسوف الإنجليزي، أن الإنسان كائن منطو على «الشر»، وهذا هو الأساس الذي بنى عليه فلسفته السياسية، وهي نفس النظرة الكنسية عموماً التي تقول بأن الإنسان ينطوي على «الإثم» لأنه مولود يحمل «الخطيئة الموروثة» وأن لا خلاص للإنسان في الرؤية المسيحية البروتستانتية خصوصاً إلا بالإيمان بالمسيح للمخلص لدرجة الاتحاد والحلول فيه، حتى إذا كان يوم الجزاء في الآخرة حين ينظر الله تعالى لا يرى الإنسان المذنب وإنما يرى الابن المصلوب فيغفر له ويتم بذلك خلاصه⁽¹⁾.

أما خلاص الإنسان في نظر هوبز فيكون في الدنيا، بحيث لو ترك لأعماله فإنه لا محالة محطم حياته وحياة غيره، ولذلك فلا بد له من مخلص، وهو «الدولة» صاحبة السلطان المطلق. وفي هذا يحصل تنازل من كل فرد عن حريته طواعية للدولة، وبذلك سينشأ كيان سلطوي أقوى من جميع مكوناته، وهذا الكيان سماه «Leviathan» أي «التنين»، أو الوحش الاصطناعي، يرمز به للدولة.

ويرى «Jhon Lock - 1632-1704» المعاصر لهوبز وهو فيلسوف إنجليزي كذلك أن الإنسان يملك جسده وما به من طاقات وقدرات وملك جهوده ونتائج أعماله. ويرتب على هذه المقدمات نتائج لكي يقعد لفلسفته السياسية من هذا المنطلق.

فمادام الإنسان في رأيه يملك جسده، فإن المعرفة الحسية التي يستقيها بواسطته تولد أفكاراً، فيكون الإنسان سيد أفكاره كما هو سيد جسده، فيقتضي ذلك استقلالية فكره وحرمة بمنأى عن التسلط أو الإكراه، وبالمثل فإن ما يملكه الإنسان بمجهوده حق لا يد لأحد عليه، فهو ملكية مطلقة لا يحق لسطة أو مجتمع التصرف فيها.

وما يترتب عن هذا كله أن الإنسان ليس في وسعه أن يأمن وينعم بثمرات جهده طالما هنالك آخرون لا يعترفون له بحقه ذلك ويحترمون حقوق بعضهم البعض، لذلك وجب أن تظهر «سلطة» تحد تلك الحدود وتعاقب من يتخطاها ويعتدي على حقوق غيره.

تلك السلطة هي «الدولة» بلا ريب التي يتخلى لها كل فرد عن جزء من حريته طوعاً لكي يحافظ على ملكيته ويأمن عليها.

(1) Encyclopedia BRITANICA نقلها عن التيجان عبد القادر حامد - الفكر السياسي في القرآن المبكي: 224.

وهو يلتقي هنا مع هوبر في أن الدولة تقوم على التعاقد، ويختلف معه كونها أنها ليست مطلقة فجمهور المتعاقدين طوعا حين تنازلوا عن بعض حريتهم بإرادتهم يستطيعون حجب الثقة عنها فتفقد بالتالي شرعيتها.

وتقوم فلسفة السياسة في هذه الدولة الفكرية العقلانية على أساس إبرام عقد بين عقلانيين أحرار، ويكون التشريع فيها من حق العقل وكذلك الأخلاق مما يجعلها تستبعد الدين الكهنوتي، وتلوذ بالدين الوضعي.

ويلاحظ J. Lock رؤيته السياسية في مبدأ الملكية الذي يؤثر على علاقات الفرد والدولة والمجتمع: «إن الملكية في الآن ذاته معطى من معطيات الطبيعة البشرية، ومبدأ للشرعية السياسية، وإها بهذه الصفة سلطة، فأنا حين أستمد ملكيتي من الطبيعة إنما أستمد منها أيضا سلطة الدفاع عنها وتوسيعها»⁽¹⁾.

والشيء الجديد في فلسفة الفكر السياسي الأوروبي الذي أنتزه الغرب طيلة قرنين من الزمان بعد عصر النهضة، هو التمييز الحاسم بين مجال عمل السلطتين الدينية والسياسية وصلاحيتهما⁽²⁾. مع رجحان الكفة لصالح العلمانية بطبيعة الحال، ولكن الكنيسة أعيدت لها سيادتها على الحيز الذي كانت تقول به قبل هيمنتها على مملكة الأرض، وهي مملكة الروح.

ومن ناحية أخرى بنى العقلانيون الفكر السياسي من منطلق الرفض التام لأي شيء خارق للطبيعة، وإنكار تدخل الله في شؤون الحياة اليومية للبشر⁽³⁾. وإعادة الاعتبار للإنسان وعقله وجسده في مقابل الدين والكنيسة تصورا وعملا وتنظيما.

وقد ترتب عن هذه الفلسفة السياسية العلمانية العودة إلى الميراث اليوناني في الحكم بعد أن بلورت الحركة العلمانية اتجاهها المذهبي والسياسي والتنظيمي للمجتمعات الأوروبية التي دخلت مرحلة الدولة القومية على إثر التحرر من الكنيسة، والنظام الملكي في الحكم خاصة بعد الثورتين الأمريكية (1783 م)، والفرنسية (1789 م) حيث عادت الأنظمة السياسية في الغرب عموما وبالتدرج إلى المذهب الديمقراطي، الذي يعني كما تم تطبيقه في المدينة اليونانية قديما

(1) فلا عن الصيغان عبد القادر حامد- أصول الفكر السياسي في القرآن المبكي: 227.

(2) برهان غليون- نقد السياسة الدولة والدين: 314.

(3) كرين برنتون- تشكيل العقل الحديث: 96.

«حكم الشعب» لأن كلمة الديمقراطية في اليونانية مكونة من مقطعين «Damos» بمعنى الشعب، و«Cratos» بمعنى الحكم. أي «حكم الشعب» ويتفق هذا المبدأ مع نضالات العلمانية في أوروبا ما بعد النهضة. وأصبحت الديمقراطية منذ ذلك الحين تتسع لكل فكر سياسي يعتمد الشعب مصدرا للسيادة وقاعدة للسلطة والتشريع⁽¹⁾.

غير أن فلاسفة العقد الاجتماعي من إنجليز، وألمان، وفرنسيين، قد قعدوا للمذهب الديمقراطي الحديث ونظروا له، من أمثال Jhon Lock الإنجليزي ومونتيسكيو (ت 1755 م)، وروسو (1778 م) الفرنسيان اللذان أقرّا للشعب السيادة، وشرعية الحكم. وقد دعم الفيلسوف الألماني إمانويل كانت (ت 1804) بفلسفته الأخلاقية القيم الديمقراطية، بتأكيد على مفهوم الكرامة الإنسانية باعتبارها قيمة أخلاقية تدعو إليها الديمقراطية⁽²⁾.

ولا تعمل الديمقراطية بصفقتها مذهبا سياسيا إلا ضمن مربع النظام الاجتماعي الغربي الذي يتكون من النظام الاقتصادي الرأسمالي، والنظام الفكري العلماني، والنظام الاجتماعي الليبرالي نزعاً، ومذهبا فكريا فلسفيا، تتحرك في إطاره النظم المختلفة للنظام الاجتماعي الغربي. وتعني الليبرالية عند المفكر السياسي الأمريكي ماكفيرسن: «الليبرالية كانت تعني دائما تحرير الفرد من القيود البالية للمؤسسات التقليدية. وعند ظهور الليبرالية كليبرالية ديمقراطية أصبح ذلك مدعاة لتحرير كل الأفراد على قدم المساواة، ولتحريرهم من أجل الاستعمال الكامل لقدراتهم الإنسانية وتميئتها. ولكن مادام يوجد اقتصاد الندرة، فكان يبدو للديمقراطيين الليبراليين أن الوسيلة الوحيدة لبلوغ ذلك الهدف مكون من خلال إنتاج رأسمالية المشروع الحر»⁽³⁾.

عرفت النزعة الليبرالية المتحمسة خلال القرنين الثامن والتاسع عشر شكلا من أشكال المبالغة في إطلاق العنان للحريات الفردية والاجتماعية على كل صعيد حتى أدى عمليا إلى نوع من الانفلات والتضارب بين الحريات، مما نبه لاحقا النظم الاجتماعية الغربية خلال النصف الأول من القرن العشرين إلى ضرورة الحد من هذه الحريات ودعا الدولة إلى التدخل لتنظيم

(1) على المؤمن - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 95.

(2) على المؤمن - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 96.

(3) نقلا عن علي المؤمن - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 98، 99.

هذه الحريات في إطار القانون، ومن ذلك السيطرة على المشروعات الاقتصادية الكبرى والثروات الوطنية. وهذا ما أصبح يعرف في الغرب باسم «الليبرالية الجديدة، وأشهر ممثليها الكاتب الأمريكي «والتر ليمان» (1889-1974 م)⁽¹⁾.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

⁽¹⁾ نقله عن علي المؤمن - النظام السياسي الإسلامي الحديث: 98، 99.

المبحث الرابع: تعاليم القرآن السياسية.

أولاً: تجليات التوحيد السياسية:

لقد ثبت فيما مر من مباحث سابقة⁽¹⁾ أن التوحيد القرآني هو أساس النموذج المعرفي وغايته، وأنه هو مركز الدائرة من تصور الحياة الإنسانية الاجتماعية ومقصدها الأسمى؛ حين تهتدي بالحق وتتوجه به في الحياة الدنيا. ولن تشذ الحياة السياسية في المجتمع الإسلامي الحقيقي عن هذه القاعدة، بحيث تتجلى ممارسات الفعل السياسي من حيث مصدره وغاياته، كتعبير عن عقيدة التوحيد وقيمه العليا في التزكية وال عمران.

وهل يعني ذلك أن قيام الفلسفة السياسية، والنظام السياسي في الإسلام على التوحيد من شأنه أن يفرز نظاماً سياسياً "ثيوقراطياً" دينياً، كالأذي عرفته أوروبا في تجربتها التاريخية مع الكنيسة، أم لا؟

والجواب بطبيعة الحال، لا!

لأن الإسلام يختلف كل الاختلاف عن الدين الخرافي الذي قامت عليه الكنيسة وحولت به الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية إلى حميم لا يطاق في الغرب الأوربي.

والدين في رسالة الإسلام الخاتمة جاء ليحصد الدين السماوي ويصحح ما لحقه من فساد في العقيدة، فحاء بعقيدة التوحيد السمحاء النقية، وبشريعة الرحمة والتخفيف إلى الناس كافة لتنظم حياتهم الفردية والاجتماعية، وتحقق رغبات الإنسان المادية والمعنوية في انسجام وتوازن كاملين وتوهم الإنسان للحياة الأبدية المستقبلية والنعيم المقيم، وتحذره من الخلود في الجحيم والعذاب الأليم إن هو كفر بربه وسلك غير سبيل الإيمان والتهج القويم.

هذه العقيدة حري بها أن تنتشل الإنسان في تصوراته ومسالكه في الحياة من التيه والضلال، وتهديه إلى الصراط للمستقيم في المعرفة والاعتقاد، والاجتماع السياسي، والوجهة الحضارية الاستغلالية اللاتفة بإنسانية الإنسان في العمارة والإصلاح في الأرض. وأن تحجزه

⁽¹⁾ انظر مباحث الفصلين الأول والثاني من هذا البحث.

عن الجحود والكفر والفساد والظلم وإهلاك الحرث والنسل وتخريب البيئة والعلو والاستكبار على الخلق.

ومن هنا فانعكاس التوحيد عنى فلسفة السياسة في النظام الإسلامي لا يروم تحويل السياسة أو النظام السياسي إلى جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، أو الدين، كي ينتج نظاما دينيا ثيوقراطيا مقدسا لا مجال فيه للاعتراض أو التغيير أو النقد والتصويب، بل المراد هو: «أن تنترم الأمة حكاما ومحكومين بالقيم والمقاصد الإسلامية العليا الحاكمة (التوحيد، التزكية، والعمران). وسائر مستويات القيم الأخرى المرتبطة بها كالعدل والمساواة والحرية، والوفاء بالعهد الإلهي، والقيام بمهام العبادة، والاستحلاف، وأداء حق الأمانة، والابتلاء وتحرير العباد من عبادة أهوائهم وشهواتهم ومستذليهم من الطغاة، ومساعدتهم على ممارسة حريتهم في عبادة الله خالقهم ورازقهم وهاديهم، واختيار ما يدينون به»⁽¹⁾.

وتؤدي الممارسة الواقعية لتلك القيم في محيط جماعة المؤمنين إلى بناء علاقات متينة تتبلور من خلالها جماعة سياسية متماسكة تعكس وحدة في الرؤية، ووحدة في المشاعر، ووحدة في المواقف والقرارات، ووحدة في الغايات والأهداف، ووحدة في النظم، وفي الأعمال والإنجازات.

ثانيا: أصول فلسفة الإسلام السياسية:

الأصل الأول: التوحيد:

تقوم تصورات القرآن السياسية على أساس الحقائق والمقومات الكبرى للتصور الاعتقادي الإسلامي العام للوجود⁽²⁾، فيما هي حقيقة الإثنية، وحقيقة الإنسانية، وحقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وما يرتبط بها من شريعة وأخلاق وينبثق عنها من صلات وعلاقات، ومنهج حياة.

(1) طه جابر العلوان - التوحيد والتركية والعمران: 85.

(2) انظر تفاصيل بشأن موضوع التوحيد وما يتصل به من عناصر التصور الإسلامي العام للوجود في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا البحث.

ويعتدل التوحيد أصل أصول الإيمان والتصور العام للوجود، إذ التوحيد هو معرفة الإنسان بالله عز وجل، وعلم به بحسب ما أخبر به سبحانه في وحيه عن ذاته العلية وأسمائه الحسنى وأفعاله المثلى. وتفردته تعالى بالربوبية والألوهية والكمال عما سواه لا شريك له.

وهناك حقائق أساسية تصور التوحيد القرآني في علاقته بالخلقة باعتباره المنطلق الأول لفلسفة الإسلام السياسية يمكن حصرها في الآتي:

1- الله الخالق:

تستند فلسفة السياسة في منظور القرآن إلى مفهوم الخلق الذي يتفرد به الباري تعالى، للكون، وللإنسان، ولكل الأشياء التي يسخرها الإنسان في الدنيا في جميع جوانب حياته وعلاقاته الاستحلافية.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾⁽²⁾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾⁽³⁾، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾.

ويعتقضى تفردته تعالى بخلق الخليفة فهو مالكها، وحاكمها، ومدير أمرها بلا شريك.

قال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾⁽⁵⁾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾⁽⁶⁾، وقال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾⁽⁷⁾، وقال: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾⁽⁸⁾، ﴿أَلَمْ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁹⁾، وقال تعالى

(1) سورة الرعد- الآية: 16.

(2) سورة الأنعام- الآية: 73.

(3) سورة النساء- الآية: 1.

(4) سورة فاطر- الآية: 3.

(5) سورة الحديد- الآية: 3.

(6) سورة الفرقان- الآية: 2.

(7) سورة الأنعام- الآية: 57.

(8) سورة الكهف- الآية: 26.

(9) سورة النحل- الآية: 17.

مستعبدا آلهة المشركين من ساحة القدرة على الخلق أو الملك أو التدبير للسموات والأرض أو لأصغر شيء فيهما: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾⁽¹⁾.

ويمكن اعتبار جملة صفات الربوبية المذكورة في الآيات السابقة أنها تدل دلالة واضحة على «أن الحاكمية في هذا الكون ليست لأحد غير الله ولا يمكن أن تكون لأحد سواه وليس لأحد الحق في أن يكون له نصيب منها»⁽²⁾ بل وليس في مقدوره ذلك وإن حاول. وهذا ما يمكن أن نطلق عليه اسم «الحاكمية الكونية» التي هي التعبير عن عملية الخلق الإلهي الواقع على الخليفة، حيث تكمن كل المبادرة والعمل في الخالق عز وجل، أما الخليفة فتعد سلبية وتستقبل فعل الخلق الإلهي والممدد بالحياة والاستمرار حتى فنائها، ويظل أمرها بيده تعالى في استقلال تام⁽³⁾.

وحاكمية الله في نظام الكون تجسدها السنن في الآفاق والأنفس، وهي قوانين مطردة قائمة بقدرته تعالى لا تحتاج إلى أي اعتراف من أحد، فالكون كله مسلم وخاضع بلا اعتراض لأمر الله في الخلق بما في ذلك الإنسان في الجانب اللاإرادي من فطرته التي ولد ونشأ عليها إلى أن يموت، مثله مثل الكون يطيع الله وينقاد لسننه من الذرة إلى النظام الفلكي ومجموعاته. إلا أن إرادة الله بالنسبة للإنسان على نوعين:

النوع الأول: هو ما عبرنا عنه "بالحاكمية الكونية" التي بمقتضاها حصلت عملية الخلق وفق قضاء الله وقدره، لا دخل لمشية الإنسان ولا لإرادته في شيء منها.

والنوع الثاني: هو ما يمكن أن نسميه «بالحاكمية التشريعية»، وهذا النوع يتسق مع الفطرة البشرية، إذ يتعلق الخطاب التشريعي الإلهي بالجانب الإرادي الحر من حياة الإنسان

(1) سورة فاطر - الأيتان: 40، 41.

(2) أبو الأعلى المودودي - الخلافة والملك: 10.

(3) إسماعيل راجي الفاروقي - إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية، مجلة المسلم المعاصر عدد 22: 39.

«... فالله لا ينفذ فيه حكمه بالقوة والجبر وإنما يدعو الناس- عن طريق الكتب الموحاة من عنده والتي آخرها القرآن- للتسليم بحاكميته وطاعته بإرادتهم...»⁽¹⁾، والناس بحسب استحابتهم للتكاليف الربانية عبر الرسائل التي توالت عليهم في التاريخ انقسموا إلى فريقين: فمنهم من آمن وصدق واتبع هدى الله ووجهه، ومنهم من كفر ووجد واستكبر واتبع من دون الله آلهة وظلم وأفسد في الأرض. فكانت النتيجة، فريق في الجنة، وفريق في السعير، وما ربك بظلام للعبيد. قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽²⁾.

ويعد الإنسان في منظور التوحيد على مستوى إرادته الحرة مكلفا بعمل ذي أبعاد مختلفة من قبل الشريعة التي تحدد علاقته بربه، وعلاقته بالكون، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالحياة الدنيا والآخرة⁽³⁾.

والإنسان حيث يباشر إقامة هذه العلاقات وفق إرادة الله وطلبه، ومنهجه، يقوم بعمل أخلاقي في الأرض، ويشرع في إقامة النظام الاجتماعي السياسي لتزليل القيم الرسالية والتأثير في الزمان والمكان، وبناء الحضارة وصناعة التاريخ وتغيير اتجاهه بحسب المبادئ والمنطلقات التي يؤمن بها وبحققها بوعيه وإرادته.

ولذلك فالقرآن على مستوى التكليف الشرعي يعمل على ترسيخ جملة من الحقائق الإيمانية باعتبارها مسلمات ومنطلقات لتوجيه الفعل الإنساني الأخلاقي في الحياة الاجتماعية السياسية المهتدية بالتوحيد ومقاصده في الفكر والحياة، طيلة رحلة الإنسان في الحياة الدنيا.

يقرر القرآن أن الله تعالى الخالق للإنسان هو ربه ومالكة وإلهه، فيجب عليه أن يجعل الطاعة خالصة لله ولا يشرك به أحدا. وقد ابتلاه في فطرته بالحرية والاختيار والإرادة والقدرة على الطاعة والمعصية. وبعث إليه الرسل بالهداية وأنزل الكتب، وزوده بأسباب القوة المادية والمعنوية، وخلق الموت والحياة ليختبر الناس أيهم أحسن عملا.

(1) أبو الأهل المودودي- الخلافة والملك: 13.

(2) سورة البقرة- الآيات: 38، 39.

(3) انظر بالتفصيل تصور علامات الحياة الإنسانية وغاياتها في الرؤية القرآنية، انبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا البحث.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾⁽¹⁾، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّشٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁽³⁾، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾⁽⁴⁾.

وقد حذر الإنسان من مغبة المخالفة لأمر الله وتجاوز حدوده عصياناً وظلماً، فلن يحق المكر السيئ إلا بالتمرد بين الضالين.

قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁵⁾، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁶⁾، وقال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾⁽⁷⁾، وقال: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾⁽⁸⁾.

هكذا تتضح الصورة جلية أمام أعين الإنسان حين قدمها التوحيد القرآني عن ذات الإنسان وعن الكون من حوله واشتراكهما معا في المخلوقية لله تعالى الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ليس كمثل شيء.

بالإضافة إلى اعتبار الكون في القرآن هو الساحة التي يباشر عليها الإنسان مهمته الكونية الاستخلافية بواسطة العمل لتحصيل السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة. وبذلك «يشرح

(1) سورة النس - الآيات: 1، 2، 3.

(2) سورة البينة - الآية: 5.

(3) سورة الشمس - الآيات: 7 إلى 10.

(4) سورة الملك - الآيات: 1، 2.

(5) سورة الأعراف - الآية: 3.

(6) سورة الجن - الآية: 18.

(7) سورة الطلاق - الآية: 1.

(8) سورة النساء - الآية: 60.

القرآن أن الغرض من الكون ككل ليس من الممكن أن يكون له معنى آخر سوى تغيير الخليفة المتمثلة في الرجل والمرأة، والأرض، والمدن والبلدان بالعمارة والخلافة في الأرض. وبالنسبة للسؤال من هو الذي ينكر الدين؟... يجيب القرآن أنه: ﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾⁽¹⁾. ومن الواضح أن تزويد الكون، أي ذلك الزمان والمكان بالقيم، حتى القيم المادية مثل الطعام، ليس ذا أهمية للدين فقط، ولكن ذو أهمية بالنسبة لجميع الأمور المتعلقة بالدين...»⁽²⁾، تلك هي رؤية التوحيد التي يقوم فيها الإنسان بالفعل السياسي وسائر أفعاله وعلاقاته على هدى وبصيرة من أمره كله.

الأصل الثاني: الرسالة:

كما تستند فلسفة الإسلام السياسية إلى الرسالة الإسلامية الخاتمة (قرآنا وسنة) باعتبارها الوسيلة التي تتضمن أوامر الله ونواهيه لحياة الإنسان وغاياته الوجودية. وهي ما أطلقنا عليه اسم «حاكمة الله التشريعية»، وهي بمثابة المصدر للنظام السياسي الإسلامي، نمده بالمبادئ والقيم والأحكام الشرعية لتأسيس النظم الاجتماعية السياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية لتربية الإنسان وتعليمه وتركيته فردا وجماعة.

والحاكمة التشريعية غير "الحاكمة الإلهية" التي عرفت في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر عند كل من أبي الأعلى المودودي وسيد قطب، الذي أخذ المفهوم عن المودودي وشرحه خاصة في تفسير الظلال، ومعالم في الطريق.

وما يؤخذ على نظرية الحاكمة الإلهية أنها أربكت الفكر الإسلامي والحركة الإسلامية إرباكا شديدا ترتبت عنه نتائج سلبية على مستوى التنظير وعلى مستوى الحركة والعمل، نتيجة التعميم والخلط في طرح مفهوم الحاكمة بين الفعل الإلهي والفعل الإنساني. ويعود الأمر إلى صلب مضمون الرسالة التشريعي في مفهوم «الحاكمة» وحصره في قالب سياسي غربي ضيق المجال ومضطرب يصل إلى حد تبرير الفكرة ونقيضها، وهذا ما يتزده عنه الدين الحق، هذا

(1) سورة الماعون - الأيتان: 2، 3.

(2) إسمايل راجي الفاروقي - إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية - مجلة أنسلم المعاصر 22: 44 وما بعدها.

المفهوم هو La souverainete المعروف في الفقه الدستوري الحديث بمصطلح السيادة والذي ترجمه المودودي عن الإنجليزية إلى مصطلح حاكمية Sovereignty⁽¹⁾.

وللسيادة في الفكر السياسي الغربي معنيان⁽²⁾:

- أولهما ديني ثيوقراطي: وتجمع النظريات الثيوقراطية على أن أساس السيادة هو الله من خلال ممثليه من الحكام بالطرق المباشرة وغير المباشرة، ولطبيعة الحاكم الإلهية في زعمهم.

- وثانيهما: النظريات الديمقراطية: وتعلل هذه النظريات السيادة للأمة حسب جان جاك روسو في نظرية العقد الاجتماعي La souverainete nationale، وقد اعتنقت الثورة الفرنسية هذه النظرية وحولتها إلى مبدأ دستوري، نص عليه إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي صدر عام 1789م «الأمة هي مصدر كل سيادة»⁽³⁾ وغير قابلة للتجزئة، لأنها ملك للأمة⁽⁴⁾.

والمفهوم الثاني الديمقراطي للسيادة يعرف بالسيادة الشعبية La souverainete populaire وهو نفس المفهوم السابق إلا أن الفارق بينهما هو القول بتجزئة هذه السيادة بين الأفراد المكونين للشعب أو الأمة. وفي هذا يقول جون جاك روسو في عقده الاجتماعي: «لو فرضنا أن الدولة تتكون من عشرة آلاف مواطن، فإن كل مواطن يملك جزءا من عشرة آلاف جزء من السلطة ذات السيادة»⁽⁵⁾.

وبالتالي فإن السيادة في الفكر الغربي السياسي الحديث في ظل النظم الديمقراطية العلمانية تتعلق بتقرير القوانين الملزمة في إطار النظام العام وتنفيذها في الحكم، وهي حق للأمة من خلال سيادة الدولة ومؤسسات الحكم الشرعية.

⁽¹⁾ انظر بتوسع معنى مفهوم الحاكمية واستعماله عند المودودي خاصة في كتابه الحكومة الإسلامية، ونظرية الإسلام وهدى في السياسة والقانون والدستور.

⁽²⁾ عبد الغني بسيون عبد الله - النظم السياسية: 46 وما بعدها.

⁽³⁾ نقلا عن عبد الغني بسيون - النظم السياسية: 54.

⁽⁴⁾ هذه الإضافة «السيادة غير قابلة للتجزئة» جاءها دستور الجمهورية الفرنسية الصادر عام 1795. نقلا عن عبد الغني بسيون - النظم السياسية: 54.

⁽⁵⁾ نقلا عن عبد الغني بسيون - النظم السياسية: 60.

ولا يعني هذا بطبيعة الحال استبعاد مفهوم "الحاكمية الإلهية" في الرسالة الخاتمة استبعادا كلياً، وإنما ينبغي ضبط المفهوم استناداً إلى نصوص الشرع كي لا تختلط الأمور فكرياً وعملياً على المسلمين في المستقبل.

1- بين الحاكمية الإلهية وحاكمية الكتاب:

أ- الحاكمية الإلهية: إذا استثنينا تكرار الحديث عن الحاكمية الإلهية الثيوقراطية⁽¹⁾ المزعومة في الحضارات القديمة ومع الأديان المخرفة، وادعاءات الملوك للحق الإلهي في الحكم بغير حق. فمن الضروري عرض مفهوم "الحاكمية الإلهية" في التصور الإسرائيلي الذي عرف طريقه إلى الممارسة الفعلية في تاريخ بني إسرائيل مدة من الزمن معتبرة.

شاءت حكمة الله وإرادته أن يصطفي بني إسرائيل ويخرجهم من التشرذم والشتات ونظام القبيلة ليصيروا قوماً يحملون التوراة رسالة الله إليهم مع رسول الله موسى عليه السلام وأخيه هارون، فيؤذن لهم بالخروج من مصر إلى الأرض المقدسة أرض مملكة الله، فمن قبل منهم الدخول في دين الله وآمن بموسى صار ضمن شعب الله من بني إسرائيل فليس عليه بعد ذلك إلا أن يتقبل «حاكمية الله» المباشرة. بتقبل شريعة الله في التوراة وفي الألواح التي جاء بها موسى عليه السلام من ربه.

وقد ارتبط ذلك العهد في رسالة موسى أن استحباب الله تعالى لكل ما كانت بنو إسرائيل تطلبه من الله، فعلى سبيل المثال حين طلبوا الماء فجره لهم، وحينما أرادوا طعاماً معينا أعطاهم إياه فأنزل عليهم المن والسلوى. قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ نَبِئًا⁽²⁾﴾، ﴿وَوَظَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعِمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ⁽³⁾﴾.

وقبل ذلك أبحاهم من استبعاد فرعون لهم وطغيانه عليهم، وأهلك عدوهم، ومع ذلك لا تصدر عنهم إلا أبشع للممارسات عقيدة وسلوكاً ومخالفة لحاكمية الله المباشرة مراراً وتكراراً.

(1) انظر نظريات الحكم الدين الثيوقراطية في بداية الفصل الثالث من هذا البحث.

(2) سورة البقرة- الآية: 60.

(3) سورة البقرة- الآية: 57.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ لَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْتَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَارَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١).

وهل بعد ردّهم الجماعية عن عقيدة التوحيد من ظلم أشنع في غياب موسى ﷺ عنهم وعبادتهم للعجل واستضعافهم لني الله هارون الذي بقي معهم وارتكبوا حماقتهم الشنيعة في حق الله ودينه ونبيه.

ب- حاكمية الكتاب في الإسلام:

تنتقل البشرية مع الرسالة الخاتمة في القرآن الكريم وسنة المصطفى محمد ﷺ لهاثيا من الحاكمية الإلهية المباشرة إلى حاكمية الكتاب أو حاكمية الرسالة. ويعود هذا الأمر إلى جملة أسباب، منها ما يتعلق بنضج الإنسان في منظور الرسالة حيث أصبح مؤهلا لتحمل تبعات الرسالة وأعبائها، وقادرا على أداء الأمانة والمسؤولية وتحقيق الاستخلاف والعمارة والإصلاح في الأرض.

وبذلك فتعلق الحكم والحاكمية بالرسالة الخاتمة لهداية الإنسان إلى التي هي أقوم في أموره كلها نابع أساسا من الخصائص والمميزات التي صارت علامات ثابتة لها وفارقة عما سبقها من رسالات الأنبياء والرسل.

وقد وصف القرآن بأوصاف لم توصف بها الكتب التي جاءت من عند الله قبله:

أ- تكفل الله تعالى بحفظه نصا من كل تحريف أو زيغ عبر الأجيال إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَنُّ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة- الآيات: من 49 إلى 51.

(٢) سورة الحجر- الآية: 9.

ب- كمال الرسالة ونمامها واستجابتها لحاجات الإنسان الفطرية والجماعية الدنيوية والأخروية بغض النظر عن الزمان والمكان والمستوى الحضاري الذي هم عليه، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽¹⁾.

ج- خاتمة الرسول والرسالة: حيث لا نبي بعد محمد ﷺ ولا رسالة بعد رسالته للناس كافة. قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁽²⁾.

د- وجعل القرآن مهيمنا فلا رسالة بعده. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾⁽³⁾.

هـ- وجعل الشريعة القرآنية شريعة تخفيف ورحمة. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾⁽⁴⁾، وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَكَصْرُوهُ وَابْتِغَوْا الثَّوْرَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽⁵⁾، هذه الخصائص وغيرها من المميزات التي تنفرد بها الرسالة الخاتمة، ما يجعل لها الحاكمية، ولكن «بقراءة الإنسان، فالإنسان هو القارئ دائما، ومن هنا تأتي قضية الجمع بين القراءتين⁽⁶⁾ وارتباطهما بهذا الأمر.

«فالحكمية الإلهية» قد انتهت عند بني إسرائيل وآلت إلى أنبياء خلفاء، ثم ملوك في بني إسرائيل أنفسهم وانتهى ذلك الطور⁽⁷⁾.

(1) سورة المائدة- الآية: 3.

(2) سورة الأحزاب- الآية: 40.

(3) سورة المائدة- الآية: 48.

(4) سورة الحج- الآية: 78.

(5) سورة الأعراف- الآية: 157.

(6) انظر مبحث الجمع بين القراءتين في الفصل الأول من هذه الرسالة.

(7) هشام أحمد عوض حعفر- الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية: 21.

وأما الحكم والحاكمة في الخطاب القرآني فتعني حاكمة الكتاب التشريعية، كما جاءت في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾⁽¹⁾، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾⁽²⁾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽³⁾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁴⁾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽⁵⁾، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنَاجِيَ﴾⁽⁶⁾، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽⁷⁾.

ثبتت هذه الآيات وما في حكمها حاكمة التنزيل فيما فيه الله حكم من شؤون الفكر والحياة. وللسائل أن يسأل فما هي مهمة محمد ﷺ التي كلف بها شرعا ومارسها على أحسن وجه؟ الجواب يكون من القرآن نفسه، حيث حدد مهمته الأساسية على لسان إبراهيم عليه السلام في دعائه لله عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁸⁾، ويجيب الباري عز وجل هذا الدعاء لأبي الأنبياء إبراهيم في نبوة محمد ﷺ: ﴿يَسِّخُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁹⁾.

(1) سورة الأنعام - الآية: 57.

(2) سورة الشورى - الآية: 10.

(3) سورة المائدة - الآية: 44.

(4) سورة المائدة - الآية: 45.

(5) سورة المائدة - الآية: 47.

(6) سورة المائدة - الآية: 48.

(7) سورة النساء - الآية: 65.

(8) سورة البقرة - الآية: 129.

(9) سورة الجمعة - الآيات: 1 إلى 3.

والملاحظ على هذه الآيات الكريمة التي تذكر المهام الأساسية للنبي الخاتم في أمته - المفتوحة-⁽¹⁾ القابلة للازدياد باضطراد من مهام التلاوة، والتعليم، والتركية، والحكمة، وما يتبعها من قيم وأحكام لا نجد من بينها إشارة إلى الحكم والحاكمة من منطلق مفهوم الحاكمة الذي يعني مجرد السلطة والسلطان.

وحيث نتبع سيرة الرسول ﷺ ونستقري أقواله وأفعاله، «نجد قد مارس قيادة وحكما وقضاء وفتوى وتعلما لكن ذلك كله كان من منطلق النبوة وليس من منطلق السلطة والسلطان، فالنبوة المعلمة، والنبوة المريية، النبوة المزكية، وليس سيف السلطة والسلطان»⁽²⁾، قال الله تعالى واصفا علاقة النبوة بالناس: «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسِتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فِعَذَابُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ»⁽³⁾.

وحيث رأى أبو سفيان النار موقدة على مشارف مكة عند فتحها في السنة الثامنة للهجرة، وكان يصحبه العباس عم الرسول ﷺ أدرك أبو سفيان العدد الكبير من صحابة رسول الله ﷺ، فقال بعفوية معبرة للعباس: «يا عباس: (لقد أصبح ملك ابن أخيك واسعا) فأجابه العباس قائلا: إنما النبوة يا أبا سفيان لا الملك»⁽⁴⁾، يبين الحوار أن أبا سفيان يخلط بين النبوة والملك، وأن العباس يفرق بينهما تقريرا واضحا لا لبس فيه، ولذلك صحح له بقوله: «إنما النبوة لا الملك».

وتشهد لفهم العباس تأكيدات كثيرة واردة في السنة عن هذا الفرق الذي لا مجال فيه للخلط بين المفهوم النبوي للحكم الذي لا ينفصل عن مرجعية القرآن القائم أساسا على تلاوة آيات الله وتعليمها وتربية الناس وتزكيتهم بها، وممارسة الأفعال السياسية على ضوئها وتحقيقا لغاياتها وبناء سائر العلاقات بين الحاكم والمحكوم، ومفهوم الملك المنفصل عن مراث النبوة الخاضع للمصالح والأهواء ورياح التغيير ذات اليمين وذات الشمال.

(1) الأمة المفتوحة، أي أمة التوحيد القابلة للزيادة في العدد بمجرد إقرار الفرد بكلمة التوحيد بغض النظر عن العصر، والزمان، والمكان.

(2) طه جابر العلوان - الخصوصية والعلمية في الفكر الإسلامي المعاصر: 263.

(3) سورة العنكبوت - الآيات: 21 إلى 26.

(4) فلاح عن: هشام أحمد عوض جعفر - الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمة: 20.

ومن بيانه ﷺ للفرق بين النبوة، والملك، قوله ﷺ لذلك الرجل الذي ارتجف أمام هيئته أن يطمئن ولا يرتعد: عن قيس بن أبي حازم عن أبي مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال له: [«هون عليك فإنني لست بمملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»] (1).

ولهذا أطلقت الأمة وصف "الرشد" على نظام الحكم في عهد الخلفاء الأربعة الذين جاؤوا بعد رسول الله في الحكم، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ وقد استغرقت مدة حكمهم ثلاثين سنة بعد وفاة النبي ﷺ.

ومن ثمة فمن الصعب أن نتقبل زعما من إنسان يتقول عن حكم النبوة، أو عن حكم على منهاج النبوة- أي الخلافة الراشدة-، في الماضي أو في المستقبل أن هناك حاكمية سلطوية في الإسلام تقوم على هيمنة مطلقة لله أو لبيه باسمه أو لخلفاء نبيه باسمه أو باسم شرعه، لكن هناك تربية وتزكية وتلاوة وتعلima... أما الحاكمية فقد آل أمرها مع الرسالة الخاتمة إلى كتاب الله المصدر الأساس للمبادئ والقيم التي تحكم الحياة، والمعيار لتقويم السلوك والحكم على الأفعال بمعزل عن أغراض النفس البشرية وأهوائها.

وزيادة في الإيضاح يبين حكم النبوة والخلافة على منهاج النبوة ما جاء في حديث رسول الله ﷺ، أن هناك مناهج حكم ستحكم باسم الإسلام والخلافة ولكنها غير حكم النبوة فسمهاها بالملك حيناً وبالحكم الجبري حيناً آخر. عن حذيفة ﷺ، قال، قال رسول الله ﷺ: [«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها. ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة...»] (2) فهذه قراءة مستقبلية من رسول الله ﷺ لنظام الحكم وأنواعه الذي سيسود المسلمين من بعده، فيه فرق واضح بين خلافة وخلافة على منهاج النبوة وبين ملك عضوض أو جبري يفتقر إلى كثير من المبادئ والقيم الحاكمة في كتاب الله.

(1) سنن ابن ماجه - كتاب الأطلعة، باب القديد، حديث رقم: (3312): 1101/2.

(2) مسند أحمد - كتاب حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ، حديث رقم: (17939): 341/5.

وخلصة القول فإن الرسالة الخاتمة قد بدأت بنبوة خاتمة تعمل في واقع الناس بالتعليم والتربية لنور الله وهدايته، وقد حققت مطالب الحياة وال عمران في جوانب الحياة كلها من منطلق النبوة والخلافة حتى ترك النبي الكريم الأمة على المحجة البيضاء ليلا كنهارها في ظل حاكمة كتاب الله لا يزيغ عنها إلا هالك.

والقرآن هو المصدر الوحيد المنشئ للأحكام، فما نزلت بالناس نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الاستقامة والهداية إلى حلها وإظهار الحق والفصل بين الناس⁽¹⁾.

قال الله تعالى: ﴿وَكُنزْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾⁽³⁾.

2- الفرق بين الحاكمية الإلهية وحاكمة الكتاب:

أ- الحاكمية الإلهية:

عرفت البشرية في كثير من الحضارات القديمة نمط الحكم المستند إلى الحاكمية الإلهية باسم الحق الإلهي، وفي ظل هذا الحكم عانت المجتمعات الكثير من القهر الروحي والفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي مما لا مجال لتفصيله هنا، لأن الذي يبرر شرعية حكمه على غيره باسم الله لا حد لظلمه واستبداده بل هو محض افتراء على الله بغير سلطان، لأن الناس عند الله في حقيقة الأمر يتمتعون كلهم بمنزلة واحدة بلا فرق، وتفضيل الله لبعضهم على بعض يكون بمعيار الإيمان والعمل الصالح لا غير، غير أن التجارب الإنسانية في التاريخ تؤكد أن الحكم باسم الحق الإلهي وصل إلى حد ادعاء الناس للألوهية على الناس والاستبداد والظلم والظلم، وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل. قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا

(1) هشام أحمد عوض جعفر - الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية: 22.

(2) سورة النحل - الآية: 89.

(3) سورة الشورى - الآية: 52.

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَقَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِتَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ⁽¹⁾.

ونستثنى الحاكمية الإلهية المباشرة لني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام التي كانت فيها الشريعة الإلهية- التوراة- موجهة لشعب غليظ الطباع كثير المروق من الدين، فشدد الله تعالى عليه لتربيته والتخفيف من طباعه السيئة وكبح جماح نزواته.

ب- حاكمية الكتاب (القرآن):

إن الانتقال بالإنسان إلى حاكمية الكتاب مع الرسالة الخاتمة يقوم على جملة حقائق لا يمكن توفرها في إطار نظام حكم ديني ثيوقراطي، ولا في ظل نظام حكم وضعي علماني، مهما اختلفت الدعاوى العريضة وزخرف القول غرورا، لأن "حاكمية الكتاب" تنطلق من اعتبارات تضع في الحسبان المحافظة على إنسانية الإنسان، وهذا يستلزم الإقرار بمسؤولية الإنسان وقدرته على أداء الأمانة، أمانة قيم العدل والمساواة بين البشر، كل البشر. وأهلية الوصول إلى المعرفة الكفيلة بحل التناقضات الوجودية التي تعاني منها الإنسانية في غياب امتدائها بنور الله من منطلق الجمع بين القراءتين، قراءة القرآن، وقراءة الكون، وفهم بعضهما ببعض وتسخير السنن والطاقت المادية والمعنوية المبتوثة في الكون بالإعمار والإصلاح وتحقيق مقاصد الشرع. وبهذا يمكن تجاوز سلبيات القراءة المنفردة للقرآن معزل عن الكون، أو للكون معزل عن القرآن. هذه القراءة التي أثمرت نتائج وخيمة على الإيمان والعمران عبر مراحل التاريخ التي حدثت فيها صراعات في نفس الإنسان وواقعه بين الثنائيات التي جعلت الإنسانية تفقد من عمرها «وقتنا ليس بالقصير بين الأفكار المتناقضة، أفكار الخير والقدر، وأفكار الخلط بين الفعل الإنساني والفعل الإلهي وسوى ذلك»⁽²⁾.

ويعزز حاكمية الكتاب ويحافظ على مصداقيتها ما يتمتع به القرآن دون سائر الكتب السماوية وغير السماوية، بحفظ نصه كما نزل وشمول قيمه وأحكامه الشرعية لمبادئ الفكر والحياة، وانفتاحه على كل البشر. ففي مقدور أي إنسان أن يقرأ القرآن متى شاء وأنى شاء،

(1) سورة التوبة- الآية: 31.

(2) طه حاتم العلوان- الحصرية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر: 267.

دون أن تحجزه عن ذلك فئة وسيطة من رجال الدين (الإكليروس) باسم الحكم الإلهي، لا لسبب إلا لزعمهم معرفة ما ليس في مقدور كل الناس معرفته كما فعلت الكنيسة، وسائر الأديان المحتكرة للمعرفة والأسرار.

وقد عبر الإمام الشاطبي عن «حاكمة الكتاب» بما لا يحتاج إلى مزيد في كتابه الاعتصام أصدق تعبير، حيث يقرر أن الشريعة التي هي - القرآن العظيم - هي الحاكمة على الرسول وعلى الأمة وعلى الناس كافة: «فالشريعة، يعني بذلك القرآن الكريم، هي الحاكمة على الإطلاق وعلى العموم، أي على الرسول ﷺ وعلى جميع المكلفين، والكتاب هو الهادي، والوحي المنزل عليه مرشد ومبين لذلك الهدى والخلق مهتدون بالجميع، ولما استنار قلبه أي الرسول ﷺ وجوارحه وباطنه وظاهره بنور الحق علما وعملا؛ صار هو الهادي الأول لهذه الأمة والمرشد الأعظم حيث خصه الله دون الخلق بإنزال ذلك النور المبين عليه واصطفاه من جملة من كان مثله في الخلقة البشرية، اصطفاه أولا من جهة اختصاصه بالوحي الذي استنار به قلبه وجوارحه فصار خلقه القرآن، وإنما ذلك لأنه حكم الوحي على نفسه حتى صار في خلقه وعمله على وفقه، أي على وفق الوحي، وفق القرآن. فكان الوحي حاكما وواقفا قائلا، والرسول عليه الصلاة والسلام مدعنا مليبا نداءه واقفا عند حكمه.

وإذا كان كذلك أي أن الشريعة حاكمة للرسول، أو أن القرآن حاكم له، فسائر الخلق حريون أن تكون الشريعة حجة حاكمة عليهم»⁽¹⁾.

الأصل الثالث: الأمة:

أولا: مفهوم الأمة الشرعي الاصطلاحي:

وتقوم في الأخير فلسفة السياسة الإسلامية على مفهوم الأمة الذي يحمل خصائص وسمات متميزة عن مفهوم الأمة لدى سائر فلسفات السياسة الأخرى.

(1) ابن إسحاق الشاطبي - الاعتصام: 338/2.

ويعود هذا التميز أو التفرد لمفهوم الأمة⁽¹⁾ إلى كونه يعمل منظومة مفاهيمية تستند إلى مفهومي التوحيد، والرسالة، وتنبثق عنهما في نفس الوقت، وهي أداقهما الاجتماعية والسياسية في تنزيل أحكام الشريعة وقيم التوحيد في الواقع الإنساني ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

ولذا سيتم التطرق إلى مفهوم الأمة- هنا- من الزاوية السياسية، باعتباره أصلا من أصول الفلسفة السياسية الإسلامية، وقبل التطرق إلى ذلك يحسن تحديد المفهوم الشرعي الاصطلاحي للأمة. إذا كان مفهوم الأمة- في اللغة العربية- مفهوما لا يتجاوز الدلالة على الجماعة من الناس أو غيرهم، فإن المفهوم الشرعي الاصطلاحي «للأمة» يختزن مجموعة من المقومات والمفاهيم التي تميز الأمة في منظور الشرع وتدل على حقيقتها.

ومن بين هذه المفاهيم المتعلقة بمفهوم الأمة في الإسلام تأكيد الشارع الحكيم على ضرورة إقامة حياة الأمة على الوحدة والاستقلال، والنهوض العمراني والشهود الحضاري في كنف الإيمان بوحداية الله تعالى. وأن تبرا من الكفر وأهله، وأن تؤدي حقوق الأمانة الرسالية والاستخلاف في إدارة شؤون الإنسان والأحياء في الأرض، وأن تصون الحياة والأحياء بالمحافظة على فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى والإيمان به أولا وأخيرا.

«ويوم تفقد الجماعة عنصرا من هذه العناصر تنفقد كونها «أمة» بالمفهوم الشرعي فهي إن تخلت عن الالتزام بما أنزل الله أو بعدت عن وحدتها أو تنازلت عن ولائها وبرائتها أو نأت عن دورها وعن وسطيتها وعن شهودها الحضاري: فقدت الأهلية لأن تتصف بأنها أمة بالمفهوم الشرعي وإن احتفظت بلقب «أمة» بالمفهوم اللغوي الفصفاض نسبيا»⁽²⁾، وفي هذه الأثناء حين تعطل دور الأمة الحضاري في ممارسة القيم الاستخلافية في الواقع الإنساني- كما هو الحال اليوم- لا يؤذن ذلك بزوال الأمة نهائيا، ويرجع هذا الاستمرار النفسي للوحداني للأمة في باطن الأفراد والجماعات إلى طبيعة نشأة الأمة أو الجماعة السياسية في الإسلام وإلى المقومات التي ارتكزت عليها في وجودها واستمرارها رغم انتفاء مظهرها النظامي السياسي المعروف بنظام الخلافة في التجربة التاريخية الإسلامية بعد سقوطها عام 1924م.

ثانيا: مقومات نشأة الجماعة السياسية في الإسلام (الأمة):

(1) انظر بالتفصيل مبحث: بناء نموذج الأمة الوسط في الفصل الثامن من هذه الرسالة.

(2) طه حابر العلوان- الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر: 228.

تعمل مقومات نشأة الجماعة السياسية، أو الأمة في الإسلام على استمرار وجودها مادامت هذه المقومات موجودة حتى وإن فقدت مظاهر تجسيد الأمة في نظام سياسي اجتماعي حضاري في الواقع الفعلي حسب سنن الله في نشوء الحضارات وسقوطها والتداول بين الناس ولا أدل على هذا الاستمرار لمفهوم الأمة على المستوى النفسي، والحضور المعنوي لهذا الكيان في قيم الرسالة الخاتمة ومبادئها، وشعور المسلمين كأفراد بهذا البعد عملاً عليهم جوانحهم وتحقق له أفتدحهم في السراء والضراء في مشارق الأرض ومغاربها. ويرجع ذلك إلى مقوم نشأة الأمة الأولى في الإسلام⁽¹⁾.

- المقوم الأول: يقوم الكيان السياسي المعبر عن قيم الإسلام ومبادئه العقدية والتشريعية في المقام الأول على الأمة الجماعة، وهذا ما نراه في تجربة الإسلام الأولى بعد وفاة النبي ﷺ، الذي خلف وراءه «أمة» قيل أن يخلف إماماً، ولو لم تكن الأمة موجودة، لما وجد من يومها أو يقودها سياسياً، ومن هنا فإن وجود الإمام تابع لوجود الأمة، ومشتق منها باعتبارها هي الأصل.

- المقوم الثاني: الأمة بهذا المفهوم هي الحامل لقيم الإسلام والمجسد لمبادئه التي جاء بها القرآن، وبدأ تكوينها مع أول آية نزلت، وهي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽²⁾ واكمل تكوينها وظهر وجودها مع آخر ما نزل من الذكر الحكيم بتمامه وكماله. قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽³⁾ وبالتالي فالأمة هي وعاء القرآن الكريم.

- المقوم الثالث: ينجم عن استمرار الأمة في الإسلام، وتأبيها على الفناء والانقراض ارتباطها بعلة وجودها (القرآن) فهي باقية ما بقي الذكر الحكيم.

أما اختفاء القيادة السياسية، أو النظام السياسي الممثل لقيم الأمة - وهو المعلول - لا يؤدي إلى نقي وجودها والقضاء عليه نهائياً، فاختفاء الإمام أو السلطة التنفيذية مؤثر على فاعلية الأمة ومكانتها الداخلية والدولية لا شك في ذلك، ولكن بمجرد شحذ الفاعلية الذهنية والروحية

(1) من عبد المنعم أبو الفضل - الأمة القطب: 23 وما بعدها.

(2) سورة العلق - الآية: 1.

(3) سورة المائدة - الآية: 3.

والإرادية في أفراد الأمة وجماعاتها تتولد قوة دفع في الأمة لإفراز النظم الكفيلة بأداء مهمة الاستخلاف والشهود الحضاري حين تستكمل شروط التغيير، ومراحل التمكين الحضاري حسب وعد الله تعالى الذي لا يتخلف: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾⁽¹⁾.

ثالثا: الأبعاد السياسية لمفهوم الأمة:

يعكس مفهوم الأمة الشرعي ومقومات نشأتها في مجال الحياة الاجتماعية السياسية الواقعية أبعادا أساسية تشكل في مجملها معيارا دقيقا للحكم على قرب الأمة أو بعدها عن النموذج السياسي الإسلامي ومثاليته السياسية الواقعية.

وهذه الأبعاد تنحصر في أربعة⁽²⁾:

1- الوحدة.

2- المساواة.

3- العدل.

4- التبعة.

1- الوحدة: تنبثق وحدة المسلمين بصفتهم أمة من دون الناس من إقرارهم بالجزم، وإيمانهم القاطع، يقينا وعملا بأن شهادة أن «لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله»، والالتزام التام للمؤمنين بمقتضيات هذه الشهادة، فيما أمر به الشارع تعالى ونهى عنه في كتابه وسنة نبيه. وهذه الوحدة يمكن التعبير عنها من قبل أفراد الأمة وجماعاتها على مستويات ثلاث⁽³⁾، إن غابت واحدة منها لم تتحقق الوحدة حتى تستكمل، وهي:

أ- وحدة الإجماع الفكري.

(1) سورة النور- الآية: 55.

(2) إسماعيل راجي الفاروقي- أبعاد العبادات في الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، عدد 10: 28 وما بعدها.

(3) إسماعيل راجي الفاروقي، ولياء لوزير الفاروقي- أطلس الحضارة الإسلامية: 145 وما بعدها.

ب- وحدة الإجماع الإرادي.

ج- وحدة الإجماع العملي.

أ- وحدة الإجماع الفكري:

يستهدف الإجماع الفكري حالة من الوعي عند المسلمين فرداً، فرداً، بأن أمتهم أمة من دون الناس، أراد لها ربها عز وجل أن تكون أمة وسطاً شاهدة تستقطب إليها الشعوب والأمم في أحوة عالمية لا تعرف لونا ولا جنساً ولا هبة ولا تفرق بين الناس إلا بميزان التقوى والصلاح. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾⁽¹⁾.

وهذا الإجماع لا يحدث مرة ثم يتوقف بل هو عملية متحركة، ما وجدت الأمة، وتسمى إليه في تحرك دائم بعيداً عن العفوية والانفرادية من خلال محاضن جماعية تبقى للأمة الحد الأدنى من طلب هذه الوحدة في المعاهد والمدارس والندوات يتبادل فيها العلماء والمفكرون وعامة الناس التذكير بالشأن العام والمسؤولية الملقاة على عاتق الجميع في إنفاذ مراد الله والاستجابة لأمره.

ب- وحدة الإجماع الإرادي:

يتعلق الإجماع الإرادي بتصديق الرؤية التي تضمنها الإجماع الفكري، وهو تقرير العزم على تحقيقها أو الموت دونها، كما فعل الرسول ﷺ حين أرادت قريش أن تنال من عزيمته بالإغراء حيناً وبالتخويف تارة أخرى في التخلي عن الإسلام، فأجاب عمه أبا طالب بمضاء وعزيمة فيما ترويه كتب السيرة: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه»⁽²⁾.

وعلى مستوى الأمة ينبغي أن لا يكون الإجماع الإرادي من شأن أفراد قلائل فيها، وإنما هو شأن عام يتطلب أن تكون له منظمات ترعاه على مستوى الأمة. «فالأمة إن غضبت أو

(1) سورة المحررات - الآية: 13.

(2) ابن هشام - مختصر سيرة ابن هشام: 44.

هللت فعلت ذلك عن فهم وإدراك وعزم وإصرار ضمن تنظيماتها»⁽¹⁾ وهو ما يعبر لديها بدقة عن وحدة الإجماع الإرادي.

ج- وحدة الإجماع العملي: وهو العمل الجماعي من قبل الأمة تجسيدا لوحدة الإجماع الفكري والإرادي في الميدان بمباشرة القرارات وتنفيذ الخطط والأعمال الصادرة عن قيادة الأمة، يعرف فيها كل فرد واجباته وحقوقه ومكائنه بين إخوانه، ويدرك الجميع واجبات كل منظمة، وما عليها من مهام وإنجازات متوقعة.

وبعبارة أخرى: «الأمة مجموعة منتظمة من البشر تتكون من تجمع ثلاثي قوامه العقل والقلب والذراع»⁽²⁾، وذلك ما عبرنا عنه بوحدة الإجماع في مستوياته الثلاثة، الذي يجعل من أمة التوحيد مجالاً للمعرفة، ومجالاً للأخلاق، ومجالاً للخلافة والإيجابية الحضارية.

والأمة في الإسلام من هذا المنظور تفرز شكلاً من الدولة، أو نموذجاً للجماعة السياسية تمنحه القوة والاستقرار والقوامه عليه وتحفظ توازنه وعدم طغيانه لأن أصول تنظيم الحياة العامة بيد الأمة وتوزع على مستويات الإجماع الثلاثة فيها.

ولا تعد الأمة بهذا المفهوم نظاماً مغلقاً على نفسه، بل هي نظام سلام إسلامي عالمي منفتح دائماً أمام الأفراد والجماعات حتى على غير المؤمنين بالإسلام، وهؤلاء جميعاً «يؤمنون بمبدأ الإقناع والاقتناع بالحقيقة، ويبحثون عن نظام عالمي تكون فيه الأفكار والبضائع والثروات والناس أحراراً في الحركة والانتقال»⁽³⁾.

وقد عرفت التجربة التاريخية الإسلامية تطبيق هذا المبدأ طيلة أربعة عشر قرناً من الانفتاح على الآخر، فقد وضع السلام الإسلامي كنظام عالمي - يتفوق على نظام الأمم المتحدة اليوم - في دستور المدينة المنورة في الأيام الأولى للهجرة. وقد جعل الرسول الكريم ذلك الدستور يستوعب اليهود ومسيحيي نجران إلى جانب أمة المؤمنين من المسلمين. ويحفظ لهم هويتهم العقديّة ومؤسساتهم الدينيّة والاجتماعية والثقافية جنباً إلى جنب مع المسلمين داخل النظام الاجتماعي السياسي الإسلامي في دولة المدينة المنورة.

(1) إسماعيل راجي الفاروقي - أبعاد العبادات في الإسلام: 29.

(2) إسماعيل راجي الفاروقي ولويس لمياء الفاروقي - أطلس الحضارة الإسلامية، 145.

(3) إسماعيل راجي الفاروقي ولويس لمياء الفاروقي - أطلس الحضارة الإسلامية، 145.

2- المساواة:

تمثل المساواة البعد السياسي الثاني المكون للأمة في الإسلام، ويستمد مفهوم المساواة مدلوله من النظرة العقديّة الإسلاميّة التي تقرّر مساواة البشر جميعاً بعضهم لبعض مع اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأزمنتهم وأمكنتهم، وما إلى ذلك من الفروق الفطرية، باستثناء معيار العلم أو التقوى والعمل الصالح، وما يتبعها من الكسب الإرادي للناس الذي يتفاضلون بسببه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وعلى هذا الأساس تعتبر المساواة بين الناس من القيم الكبرى في الإسلام وفي العقيدة الإسلاميّة بل هي الجانب الإنساني في رؤية توحيد الله عز وجل، فالإخلاق بحقيقتها يقضي بالضرورة إلى الإخلاق بعقيدة التوحيد، لأن الإنسانية تستوي كلها في مخلوقيتها للباري تعالى. والمساواة بين الناس من القيم التي أوصى بها رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعد تمام رسالة الإسلام وكمالها، حيث قال: [«يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب...»]⁽¹⁾.

ومن ثمة فكل تفرقة بين إنسان وآخر، لا تتخذ من العلم، أو التقوى، أو العمل الصالح معياراً للتمييز، هي خرق صريح لوحدة الله تعالى وتوازنه الذي لا يخطئ.

3- العدل:

العدل من مفاهيم التوحيد الأساسية، حيث يتعارض وجود الله ووحدانيته مع الظلم أي وقع، فضلاً عن أن الله تعالى قد جعل من العدل أساساً للنظام الكوني الذي يسلك الخليفة في نظام يشد بعضها بعضاً ويسنده ويكمّله في توازن وإحكام. ويشمل العدل نظام الجماعة والأمة، إذ بواسطته تدعم المساواة بين الناس، ويحصل الوئام والود وترجم الأخوة إلى علاقات اجتماعية متينة. وعليه فلا يمكن تصور أمة وسطاً يسودها الظلم والبغي ثم هي تنعم بالرخاء والأمن والاستقرار الاجتماعي والسياسي.

(1) نقل من: فاروق حمادة- الوصية النبوية للأمة الإسلامية: 67، رواد الإمام أحمد في مسنده وصححه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم.

و«من الظلم أن يكون للعدالة سعر يدفع للحصول عليها. يجب أن يكون للعدالة هبة بحيث لا يطلها إلا المظلوم الحقيقي»⁽¹⁾.

4- التعبئة:

تعد التعبئة من السمات الملازمة لمفهوم الأمة وسعيها الدائب باعتبارها مكلفة من قبل الله تعالى بتحقيق إرادته إلى قيام الساعة، والشهود على الناس بالخيرية في كل زمان ومكان: ﴿لَيَكُونَنَّ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾⁽²⁾، وتحقق طبقا لسنة الابتلاء الربانية، أي أفراد الأمة، وأي أجيالها الأحسن عملا.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽³⁾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾⁽⁴⁾، ومن هنا تكون أمة التوحيد دائبة اليقظة والتعبئة لطاقتها المادية والبشرية لتحقيق إرادة الله والخلافة عنه في الأرض من أجل سيادة قيم التوحيد والمساواة والعدل في العالمين، ودحر قيم الشرك والعنصرية والتمايز الطبقي والظلم بصوره المادية والمعنوية، والترهل والاسترخاء وكل القيم المضادة للإيجابية الحضارية المهتدية بالحقه بعد أن حددنا أصول الفلسفة السياسية الإسلامية: في التوحيد، والرسالة، والأمة، نتقل إلى عرض مبادئ النظام السياسي الذي يقوم على خلقية هذه الفلسفة ويعكس مفاهيمها وقيمها ومقاصدها في فكر ونظم وحياة الجماعة السياسية الإسلامية.

(1) إسماعيل راجي الفاروقي - أبعاد العبادات في الإسلام: 30.

(2) سورة الحج - الآية: 78.

(3) سورة الملك - الآية: 2.

(4) سورة الانشقاق - الآية: 6.

المبحث الخامس: النظام السياسي الإسلامي (نظام الأمة):

أولاً: تحديات نظام الحكم السياسي الإسلامي في المجتمع المعاصر:

يخاطر نظام الحكم السياسي الإسلامي في المجتمع المعاصر نموذجان في السياسة والحكم:

أولهما: نموذج المذاهب الإسلامية في الإمامة، والخلافة التاريخية.

وثانيهما: النموذج الغربي الشيوقراطي، والعلماني الدنيوي.

- النموذج الأول: ولئن مثل نموذج المذاهب الإسلامية في الإمامة والخلافة، أشكالاً

متنوعة في السياسة والحكم في التجربة التاريخية الغنية للأمة طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان، فإن ما يلاحظ على تلك النظم بعد الخلافة الراشدة، هو ميل الفكر السياسي الإسلامي إلى معالجة أمور السلطة والحكم تحت ضغط ظروف الخلافات التي وقعت بين المسلمين مبكراً في ممارسة الحياة السياسية وإدارة شؤونها. ولذا لجأت كل الأطراف إلى صرف النصوص والوقائع عن وجودها، وتجاهل ظروف الزمان والمكان ليبرر كل فريق رغبته في السياسة والحكم. فكانت دعوة التشيع لآل البيت أهم ورثة وأوصياء وأئمة ومعصومين ذريعة ترفع في وجه نظام حكم بني أمية وحلفائهم من قبائل الجنوب، لتنازعتهم على مشروعية الحكم والتحكيم في السلطة من جهة، وانتصاراً للمغلوبين الساخطين من الفرس وقبائل الشمال من جهة أخرى، وفي المقابل تحولت قضية إمساك قريش بالخلافة إلى دعوى نسب ووصاية وصفوة وذريعة ونصوص صرفت عن ظروفها ومقاصدها استئثاراً بالحكم والسلطة.

ومن ناحية أخرى تعالت الأصوات تنكر على كل ذي حق ومكانة، تمكنه من ضبط شؤون الأمة في أمنها وسلامتها ووحدها بدعوة المساواة، والقاسم المشترك بين هذه الدعوات جميعاً في حينها ما كانت إلا خروجاً على الجماعة الأمة وتمزيقاً لشمليتها وتبريراً للتشرذم والفوضى ورفضاً لكل سلطة مركزية.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل من منظور الرسالة الخاتمة حسب موازينها وقيمتها الشاملة على أن الفكر السياسي لدى نخب الأمة الإسلامية ومفكريها قد انصرف مبكراً «عن جهر التوحيد في الحكم ومعنى الشورى في بناء إدارة دفة شؤون الأمة وتسييرها إلى الدعاوى والدعاوى المضادة لها والنصوص والوقائع التي تجري في ركاب واحدة من تلك الدعاوى أو

أخرى، بما انتهى بالأمة الإسلامية أن تكون باسم الشورى ومن خلال مقارعة النصوص والوقائع أبعد ما تكون قدرة عن ممارسة الشورى وفهما لها ورغبة فيها»⁽¹⁾.

أمام هذه الصورة في ممارسة نظام الحكم وبنائه في التاريخ الإسلامي، لا مفر من العودة اليوم إلى الوحي كتابا وسنة لالتقاط ثوابت نظام الحكم وكلياته، ووصل ما انقرط عقده بين مبدأ التوحيد، وبين مبدأ لشورى في علاقات الأمة، والقيادة، والشريعة، لبناء نظام الحكم والإدارة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة كي تتجه الأمة نحو الحق ونحو المساواة والإخاء والعدل والحرية، لا نكوصا إلى الوراثة إلى أشكال التاريخ وقوابله في السياسة والحكم، سواء تعلق الأمر بالتجربة الذاتية للأمة، أو بالتجارب الغربية القدم منها والحديث فلا تنهافت عليها أو تقبلها تقبلا أعمى.

وبذلك تكون مرجعية نظام الحكم في الإسلام من حيث مصدره من الوحي المنزل من الله تعالى، وأن الناس مستخلفون عن الله في الأرض، وعليهم أن ينظموا أمورهم لإقامة شريعة الله تحت قيادة حاكم يستمد سلطته من الأمة والتزامه بشرع الله وفق التسلسل الآتي:



– النموذج الثاني: وينقسم إلى نمطين⁽²⁾ من أنماط الحكم:

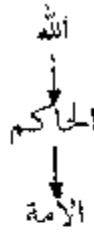
1- النمط الشيوقراطي⁽³⁾: وينطلق فيه أصحابه من تقرير طبيعة إلهية الحاكم، أو نوع

علاقة معينة به، تجعل منه ظل الله في الأرض وخليفته على الخلق فيتعين حط السلطة في هذا النمط كالآتي:

(1) عبد الحميد أبو سليمان - السياسة والحكم في الإسلام، ضمن نبذة من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر: 319، 320.

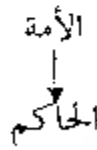
(2) جمال الدين عطية - كلمة التحرير - مجلة المسلم المعاصر، العدد 10: 5، 6.

(3) انظر تفاصيل هذا النموذج في بداية الفصل الثالث من هذا البحث.



2- النمط العلماني الدنيوي: على اختلاف اتجاهاته من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار،

يستبعد مرجعية الدين مصدرا لنظام الحكم، ويقرر أن الأمة هي مصدر السلطات، منها ينطلق نظام الحكم في مفاهيمه الكلية والجزئية وإليها ينتهي، مما يجعل تسلسل السلطة فيها يتجه وفق المسار الآتي:



وعلى ضوء هذه الفروق الواضحة بين النظام الإسلامي السياسي ونظم الحكم التي عرفتها البشرية في القدم والحديث من حيث مصادرها، وعلاقتها، واتجاهاتها وغاياتها يمكن التمييز حسب القرآن بصورة مجملية بين نوعين من الأنظمة السياسية:

1- نظام الملأ.

2- نظام الأمة.

1- نظام الملأ: يبين لنا القرآن أن نظام الملأ هو نظام سياسي يحتكر فيه السلطة واتجاه

والمال فئة من المترفين، غالبا ما يقفون في وجه دعوة الحق التي يأتيهم بها الأنبياء والمرسلون ويلوذون بعقائد الشرك وبتقليد آبائهم محافظة على مكاسبهم وأوضاعهم الموروثة عن النظام الاجتماعي والسياسي القديم، وقد يدعي بعضهم الربوبية والألوهية على الناس، كما فعل فرعون وفرعون في جدالهما مع إبراهيم وموسى عليهما السلام.

وما يميز نظام الملأ كذلك هو عدم اعترافهم بإنسانية الإنسان حتى يتسنى لهم الاستبداد

بالناس والتحكم في مصائرهم وتسخيرهم لأهوائهم ونزواتهم وأطماعهم الجشعة.

ومما يشير إلى هذه المعاني قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾⁽¹⁾، ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾⁽²⁾. وهذا الادعاء العريض للحاكم في عهد النبي إبراهيم عليه السلام يزعم أنه مصدر حياة الناس وموقف كما هو الأمر بالنسبة لله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽³⁾، وهو نفس الادعاء يدعيه فرعون في رده على اقتراح الملأ من قومه في مواجهة موسى وأتباعه من قومه: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُؤُا مَوْسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَيْكَةَ قَالَ سَتَقْتُلُنَّ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾⁽⁴⁾.

2- نظام الأمة: يقوم نظام الأمة الحقيقي على عقيدة التوحيد التي تجعل من الناس سواسية كأسنان المشط كما خلقهم الله رب العالمين، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم وأبرهم في الاعتقاد والسلوك والعمل.

وتؤسس للناس من الأنظمة الاجتماعية والتربوية والسياسية ما يضمن لهم حقوقهم وحررياتهم التي فطروا عليها كي يتسنى لهم إنجاز الغايات التي من أجلها خلقوا في الحياة الدنيا، وأن تمنعهم من عقائد الشرك وما يتبعها من حيف نظم الملأ والاستبداد السياسي الذي يعطل الشريعة السمحاء، ويغبط الفطرة الإنسانية أن تحقق مآربها المشروعة في المعرفة والإرادة والخلق القويم، وما به يسعد الإنسان في الدارين ماديا ومعنويا.

وبعبارة أخرى إن نظام الأمة الاجتماعي والسياسي الذي يقدمه التوحيد للإنسانية هو فقط ذلك النظام الذي يعترف بأن الإنسان واحد في كل إنسان، بغض النظر عن الزمان والمكان واللون واللغة والجنس. ولذلك فإن نظاما لا يعترف بوحدة الإنسانية على أساس التوحيد الاعتقادي، ويعلي من قيم العرقية أو الجغرافيا أو عوامل أخرى ثانوية للتمييز بين الناس

(1) سورة بآ- الآية: 34.

(2) سورة الزحرف- الآية: 23.

(3) سورة البقرة- الآية: 258.

(4) سورة الأعراف- الآية: 127.

والتفاضل بينهم لا يمكنه أن يلتزم بحقوق الإنسان أو العدل والقسط بين الناس على اختلاف أعراقهم ونظمهم الاجتماعية والثقافية والحضارية.

ثانيا: ضرورة النظام السياسي الإسلامي:

تعد ضرورة النظام السياسي الإسلامي بالغة الأهمية في تجسيد نظام الأمة ومقاصد الإسلام في الحياة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، كما يحافظ على توازن الإنسان ويحقق طموحاته بلا إفراط ولا تقريط في حياة إنسانية كريمة. ويضمن حماية قيم الإنسان المسلم من الطغيان والاستضعاف، وسائر حقوقه ومسؤولياته من الهدر والبغى وجميع أشكال التسلط⁽¹⁾.

وقبل التطرق بالعرض والتحليل لمبادئ النظام السياسي الإسلامي في مصادره كتابا وسنة، وما تشهد به التجربة الإسلامية الواقعية في التاريخ وإجماع الأمة، يمكن التصدي لإشكالية تطرح أحيانا ويجابه بها في عصرنا من يروم الحديث عن السياسة أو النظام السياسي من منظور إسلامي. فيقال له: هل في تعاليم الإسلام ومتطلباته من ضرورة إقامة نظام سياسي، أو دولة على هديه؟ وهل هناك دليل من التاريخ أو الإجماع، أو سنن الاجتماع ما يثبت ذلك؟ إن الجواب على هذا السؤال، هو بنعم طبعاً حتى لو كان صاحبه ممن لا يؤمن بالإسلام أصلاً إن كان منصفاً للحقيقة، فما بالك بالمسلم الذي لا يمكنه أن يستكمل دينه ويطبق جزءاً كبيراً من أحكامه الفردية والاجتماعية في غياب سلطة تنوب عن الجماعة وتقيم حكم الله في الأرض طبقاً للطبيعة الخاصة للإسلام باعتباره نظاماً شاملاً للحياة الإنسانية، وتبعاً لوحدة الحقيقة في نظر الإسلام كما عبر عنها محمد إقبال: «الحقيقة في نظر الإسلام هي بعينها تبدو دينا إذا نظرنا إليها من ناحية وتبدو دولة إذا نظرنا إليها من ناحية أخرى»⁽²⁾ وتزيل قيم الإسلام ومثله في الزمان والمكان لا بتصور إلا بواسطة الدولة أو نظام إنساني معين، لأن: «الدولة في نظر الإسلام هي محاولة تبذل بقصد تحويل هذه المبادئ المثالية إلى قوى مكانية وزمانية، هي إلهام لتحقيق هذه المبادئ في نظام إنساني معين»⁽³⁾.

(1) على عيسى عثمان - لماذا الإسلام؟ وكيف؟: 295.

(2) محمد إقبال - تحديد الفكر الديني في الإسلام: 177.

(3) محمد إقبال - تحديد التفكير الديني في الإسلام: 178.

1- دليل القرآن والسنة:

نص القرآن الكريم على جملة أحكام لا يمكن تنفيذها في حياة المجتمع إذا غابت السلطة الحاكمة أو الدولة التي تملك النفوذ والقوة على إجرائها وحماية الأمة بتطبيقها. إذ ليس في مقدور الأفراد أن يذودوا عن حياض المجتمع من تلقاء أنفسهم ويقيموا الحدود الشرعية وما تتطلبه من أحكام القتل والقصاص والنفي والصلب وقطع اليد والجلد وما إلى ذلك من الجرائم والجنایات.

ويتضح ذلك على سبيل المثال من الأحكام الشرعية الآتية:

أ- معاقبة الذين يسعون في الأرض فسادا ممن يخلون بأمن المجتمع والدولة يقع على عاتق السلطة الحاكمة بلا شك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ عِزِّي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾ فمن يقوى على إيقاع هذا الجزاء غير الدولة يا ترى!؟

ب- حكم قطع يد السارق: السارق الذي يستوجب شرعا القطع من يوقع عليه هذا الجزاء حين يسرق ويعتدي على المجتمع، وخاصة إذا كان من أهل الجاه والسلطان والمال فمن غير الدولة يردعه ويضعه عند حده، ولهذا أمر الله تعالى القادرين على ذلك بإنفاذ الحد فيه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽²⁾.

ج- إقامة الحد على القاتل: يكون من قبل السلطة الحاكمة حتى لا يترك الأمر للشار فيستشري الهرج بين الناس وتعم الفوضى والأحقاد والضغائن مما يذهب الأمن في المجتمع ويقض مضاجع الناس ويزعزع الاستقرار في حياتهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽³⁾، إلا إذا عفا

(1) سورة المائدة- الآية: 33.

(2) سورة المائدة- الآية: 38.

(3) سورة المائدة- الآية: 45.

صاحب الحق عن حقه للحقاني، فهو: «كفارة للحقاني، لأن الأدمي عفا عن حقه، والله تعالى أحق وأولى بالعضو عن حقه، وكفارة أيضا عن العاني، فإنه كما عفا عمن جنى عليه، أو على من يتعلق به، فالله يعفو عن زلاته وجنباياته»⁽¹⁾.

د- أحكام المال والجهاد: وقد تضمن القرآن الكريم أحكاما تتعلق بالزكاة وبالنفقة الواجبة بين الأقارب وتوزيع الميراث. فكيف يتصور أن تكون هذه الأحكام ملزمة لجميع الأطراف المعنية في المجتمع إن لم تقم عليها سلطة تجبر من يمتنع عن أداء ما عليه من حقوق واجبة اتجاه غيره.

ومن مصارف الزكاة ذكر في القرآن صنف (العاملين عليها) يأخذون أجرهم لقاء جمعها وتوزيعها. والعامل في الاصطلاح الإسلامي هو الموظف في اصطلاح الناس اليوم، ولا يقبل أن يكون هذا الموظف عند نفسه أو خارج إطار النظام العام للدولة لأن الأمر يتعلق بجمع أموال الزكاة وهذا قد يتطلب إجبار من يرفض أداءها، ومن غير سلطة الدولة يجبره على أداء ما عليه من واجبات... وهكذا!

وإذا انتقلنا إلى حكم الجهاد الذي أذن به الله عز وجل بعد هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة حين اجتمع المسلمون من المهاجرين والأنصار في جماعة سياسية بالمدينة المنورة بعد كتابة الصحيفة التي هي بمثابة دستور ينظم الحياة الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم من اليهود والمشركين داخل المدينة وخارجها.

والجهاد في سبيل الله له ضوابطه وشروطه العقدية والتشريعية وآدابه وأنواعه وغاياته في كل زمان ومكان هي جعل كلمة الله أي شريعته هي العليا وحماية الدين ورد الاعتداء على المسلمين وأوطانهم وكيانهم ودولتهم وحماية المستضعفين من الرجال والنساء والأولاد، ومن البغي والاستكبار في الداخل والخارج.

وأحكام الجهاد مفصلة في سورة البقرة والأنفال والتوبة وغيرها... ويتعذر مخاطبة المسلمين أفرادا غير منظمين بهذه الأحكام بل لا بد من «.. نظام وحاكم يتولى شؤونهم وينفذ

(1) عبد الرحمن السدي - تفسير سورة البقرة الكريم الرحمن: 233.

هذه الأحكام في مواضعها فينبذ بالحرب ويتودد معركتها ويعقد المعاهدات ويقسم الغنائم ويفدي الأسرى»⁽¹⁾.

هـ- واجبات الحاكم والمحكوم: فضلا عن ذلك فقد جاء في القرآن نص صريح يتضمن توجيهات وأحكام تتعلق تحديداً بواجبات الحاكم التي عليه أن يجري الحياة في المجتمع على أساسها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁽²⁾.

وقد فهمها الصحابة على أنها نزلت في أولي الأمر، وبهذا فسرها المفسرون الأولون أمثال الطبري⁽³⁾.

وأما واجبات المحكومين فقد جاءت في الآية التالية من نفس السورة لتوجب طاعة الله ورسوله وأولي الأمر ورد الأمر عند التنازع إلى الله ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾⁽⁴⁾.

وبضم هذه الأحكام جميعاً بعضها إلى بعض، من أحكام جنائية ومالية ودولية ودستورية جاءت بها شريعة الإسلام وألزمت المؤمنين بوجوب الاحتكام إليها ورتبت الإنم على تركها. فلا يقبل عقلاً ولا حساً أن يتحقق ذلك في الواقع إلا إذا فرض القرآن على المسلمين نظام حكم يتكفل بتلك المهمة جملة وتفصيلاً. «ولا يعقل أن يقدم الإسلام في قرآنه هذه الأحكام لدولة لا تؤمن به أولاً تقوم على أساس عقيدته ومبادئه»⁽⁵⁾.

وأما السنة النبوية الشريفة: فقد دلت دلالة صريحة واضحة على أن الحكم أو الدولة جزء مهم من تعاليم الإسلام التي بلغها النبي للناس، وقد حرص الرسول ﷺ على إقامة أمر المسلمين

(1) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والدولة: 13.

(2) سورة النساء - الآية: 58.

(3) انظر تفسير الطبري: 490/8.

(4) سورة النساء - الآية: 59.

(5) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والدولة: 13.

في جميع المستويات على عنصر النظام ونبد الفرقة والتشتت بدءاً بتنظيم الجماعة أي جماعة. عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: [«...ولا يحل لثلاثة يكونون بقلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم»]⁽¹⁾، وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: [«إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم»]⁽²⁾.

انظر كيف أوجب الرسول عليه الصلاة والسلام تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تبيينها بذلك على حاجة سائر أنواع الاجتماع إلى القيادة أو الإمارة مما جعل ابن تيمية رحمه الله يقول تعليقا على ذلك «فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله»⁽³⁾.

وجاءت في بعض الأحاديث لفظة (الإمام) لتدل على الحاكم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال، قال رسول الله ﷺ: [«ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته»]⁽⁴⁾.

ويوجب النبي ﷺ الانتماء إلى دولة إسلامية والارتباط بها بعقد وبيعة. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [«...ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»]⁽⁵⁾، وكذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: [«من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية»]⁽⁶⁾.

وفعل النبي ﷺ كقوله وإقراره، كل ذلك من السنة مصدر أساسي من مصادر الإسلام والتشريع، فهو قد مارس في حياته بالمدينة أفعالا بالإضافة إلى صفة النبوة والرسالة، تمثلت في تولية الولاة وتعيين القضاة وعقد ألوية الجيوش وإرسالها وجمع الزكاة والغنائم وتوزيعها وإقامة الحدود... وما إلى ذلك، وهذه الأعمال كلها من أعمال السلطة والحكم⁽⁷⁾.

(1) مسند أحمد - كتاب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث رقم: (6609): 369/2.

(2) مسند أبي داود - كتاب أول باب الجهاد، باب في القوم مسافرون، حديث رقم: (2608): 36/3.

(3) ابن تيمية - السياسة الشرعية: 7.

(4) صحيح البخاري - كتاب الأحكام، باب قول الله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول...»، حديث رقم: (6719): 2611/6.

(5) صحيح مسلم - كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين...، حديث رقم: (1851): 1478/3.

(6) صحيح مسلم - كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، حديث رقم: (1448): 1476/3.

(7) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والدولة: 16.

2- دليل التاريخ: وأما شهادة التاريخ، فلم يعد أحد قادرا على إنكارها، أو مغالطة غيره، أو خداع نفسه من أن المسلمين في حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أسسوا بعد الهجرة مباشرة في المدينة المنورة مجتمعا سياسيا مستقلا بأرضه ونظامه القانوني الموحد بقيادة الرسول ﷺ، نص على تنظيمه دستور المدينة المعروف بوثيقة الصحيفة المشتملة على سبع وأربعين بندا التي تنظم شؤون الدولة الفتية وعلاقتها في الداخل والخارج⁽¹⁾.

3- دليل الإجماع:

دلت الحجج السابقة والأدلة القاطعة أن علماء الإسلام وفقهائه ومتكلميهم قد أجمعوا على نصب إمام على المسلمين أو إقامة سلطة تحكم في الأمة بالإسلام وأن الإسلام يستلزم دولة لإنفاذ الشريعة وإقامة العدل في الناس والقسط. ولهذا كانت الإمامة أو (نظام الحكم) بابا من أبواب كتب الفقه وعلم الكلام. «وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الأصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم»⁽²⁾.

4- دليل سنن الاجتماع:

إن السلطة سنة من سنن الاجتماع البشري لا تتخلف في حضور الدين أو في غيابه سواء بسواء. «فحين يكتمل البناء الاجتماعي تبدو الحاجة ملحة إلى وجود سلطة تنظم المجتمع الإنساني وتدير شؤون الأفراد وتسير أمورهم تحقيقا للانسجام في تركيب المجتمع، والتوافق في العلاقات الاجتماعية، والنظام في داخل المجتمع الذي يصبح مجتمعا سياسيا بقيام السلطة»⁽³⁾.

ومما يلاحظ أن ضرورة السلطة في الإسلام لا يعني ذلك أنها جزء منه، لأنه ليس في الإسلام أمر مباشر بإقامتها، ولكن عدم قيامها يكاد يأتي على جزء كبير من الدين، وطلنا أن الاجتماع البشري ضروري لحياتهم، ولا مناص لذلك الاجتماع من قيام سلطة على أمره تقيم في الناس العدل والقسط، وشريعة الإسلام هي شريعة العدل فإن هذه السلطة إما أن تقوم بإنفاذ هذه الشريعة فتكون سلطة إسلامية أو تقوم بإنفاذ شريعة أخرى فتكون سلطة غير إسلامية وهكذا. «إن الإسلام لم يحتج إلى أمر بإقامة السلطة لأن سنن الاجتماع تقتضي ضرورة قيام

⁽¹⁾ انظر محضر عبد السلام علي - القانون الدولي لحقوق الإنسان: 290 وما بعدها.

⁽²⁾ عبد الرحمن بن سبلون - المقدمة: 212.

⁽³⁾ حسين فوزي النصار - الإسلام والسياسة: 183.

تلك الوظيفة عادلة أو ظالمة تماما كما هو الشأن مع وظائف الحياة. فلم يأمر الإسلام بالأكل والشرب والتنفس والراحة لأن الناس بطبيعتهم يفعلون ذلك وإنما أحاط إشباع هذه الغرائز بجملة من القيم والتعاليم من شأنها قيام تلك الوظيفة بطريقة إيجابية تحفظ الحياة ورفقيها، فمنع الإسراف والتقتير والبغي والاحتكار كما أحاطها بجملة من الآداب تضيء على الأداء جمالا.

وهذه النظرة للسلطة في الإسلام على أنها وظيفة اجتماعية لازمة تمثل موقفا وسطا بين موقف اللاتكيين (العلمانيين) نفاة هذه الوظيفة... وبين طائفة من المسلمين ذهبوا في علو شديد إلى اعتبار السلطة في الإسلام وظيفة دينية كالصلاة والصيام قد نص عليها الوحي كما نص على قائمة اسمية لمن يجب أن يتولاها بعد الرسول ﷺ وتتكون هذه القائمة من اثني عشر إماما وأن الإيمان بتلك القائمة يمثل أصلا من أصول الدين أي على نفس مستوى الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر...»⁽¹⁾.

في حين أن الموقف المعتدل هو ما عبر عنه جمهور المسلمين من أهل السنة في الماضي والحاضر من أن السلطة مجرد وظيفة اجتماعية لحراسة الدين والدينا، وأن القائمين عليها نوابا عن الأمة وتحت سلطان الشريعة ورقابة الأمة لا غير، فهي سلطة مدنية لا تشتم منها رائحة الحكم الشيوعي الديني، ولا هي سلطة علمانية تدير ظهرها للدين وهذا ما عبر عنه أبو حامد الغزالي في الإحياء بقوله: «الدين أس والسلطان حارس، وما لا أساس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع»⁽²⁾.

ثالثا: أهداف النظام السياسي الإسلامي:

اتضح مما سبق التصور الجلي لعلاقة الدين الإسلامي الوطيدة بحياة المجتمع السياسية، وأما الانفصال بين الدين والدولة أو بين العقيدة والسياسة فهذا وضع لا يقره نظر شديد ولا دين صحيح مثل الإسلام. وإنما أملكه ظروف تاريخية لأسباب داخلية تتعلق بالخطا المسلمين وتخليهم عن دورهم الحضاري شيئا فشيئا حتى انفرط عقدهم وآل أمرهم إلى ما هم عليه من أمة ضعيفة مجزأة متخلفة ماديا ومعنويا، ويدعم الغرب هذا التخلف والسقوط الحضاري للأمة

(1) راشد الفوشي - الحريات العسة في الدولة الإسلامية: 92.

(2) أبو حامد الغزالي - إحياء علوم الدين: 16/1.

بأساليب المكر والدهاء حيناً، والعنف والقوة حيناً آخر كي يستمر في النهب لخيرات المسلمين وتحقيق مآربه ومطامعه الجشعة بلا حياء ولا وجل.

ومن ثمة فإن العلاقة المكيئة للإسلام بنظام المجتمع السياسي تستلزم طرح سؤال كالأتي: بعد أن عرفنا ضرورة إقامة دولة استنادا إلى الشريعة والتاريخ والإجماع وسنن الاجتماع، فما هي أهداف هذه الدولة ونظامها السياسي؟

إن أهداف نظام الحكم في الإسلام سواء كانت على مستوى الدولة أو حكومتها التنفيذية أو نظامها السياسي بصورة عامة، هي ما أوجبه الشرع عليها وحدده لها بدقة كي تحوز صفة الإسلامية وتتحقق بها بالفعل. ويمكن الانطلاق من الآية الكريمة الجامعة في تبيين أهداف النظام السياسي الذي يقوم على تنفيذ أهداف رسالات الله في التاريخ.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾⁽¹⁾.

إذن تنحصر أهداف النظام السياسي الإسلامي حسب الآية السابقة في أربعة أهداف كبرى:

1- الكتاب أو الرسالة الخاتمة التي تضمنت خلاصة الهداية الربانية إلى الإنسانية نقية صافية من دغل التحريف والتزييف الذي ألحقه أهل الكتاب برسالات الله عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

2- الميزان: يهدف النظام السياسي الإسلامي من خلاله إلى إقامة العدل بين الناس وإعطاء كل ذي حق حقه.

3- القسط: ويسمى النظام كذلك إلى جعل أمور الناس في جميع جوانب حياتهم الفردية والجماعية تقوم على التوازن والألا يطغى جانب على جانب أو فئة على أخرى.

4- الحديد: والدولة بطبيعة الحال هي من تتحكم في القوة التي يرمز إليها الحديد في الآية، وبالتالي تكون الغاية من احتكارها القوة خدمة للأهداف السابقة، حماية مبادئ الكتاب، وإقامة

⁽¹⁾ سورة الحديد- الآية: 25.

موازن العدل، والقسط والتوازن بين الناس في المجتمع الذي تسوسه. «إن الهدف والغاية من إقامة الدولة في الإسلام حماية مبادئ الإسلام وخاصة عقيدة التوحيد، التي هي الوسيلة الإيجابية لتحرير الإنسانية، وتنفيذ شرائع الإسلام لقيام المجتمع الإنساني على أسس العدالة والتعاون والتكافل والمثل الأخلاقية العليا»⁽¹⁾.

فإذا كانت هناك غاية ثابتة للنظام السياسي الإسلامي في كل زمان ومكان فهي هذه الغايات الكلية التي تنضوي تحتها غايات جزئية لا تعد ولا تحصى، لتحقيق مصالح الناس وفق الشريعة الإسلامية وقانونها الأساسي. وبعبارة أخرى الغاية هي «إقامة الدين وتحقيق مصالح المحكومين»⁽²⁾، وإذا تعطلت الغاية فقد النظام شرعيته وولايته على الناس بلا شك.

رابعاً: مبادئ النظام السياسي الإسلامي:

لئن تشابهت النظم السياسية أو الدول في أشكال مؤسساتها وبنيتها التنظيمية في القليل أو الكثير، فإن أكثر الأمور التي تجعلها مختلفة إلى حد التباين أو التناقض أحياناً هو المبادئ أو القواعد العامة التي تبنى عليها والأهداف العليا التي تصبو إلى تحقيقها استناداً إلى المرجعية العليا في العقيدة والفكر.

ومن الملاحظ «أن الإسلام لم يفرض شكلاً من أشكال الحكم محدد التفاصيل والجزئيات فيجرفه الزمن بتبدلات أحواله، ولا ترك الأمر مهملاً والجو فارغاً لئلا يملأه المصالح والأهواء أو التقاليد المحلية الموروثة، لكنه فعل ما هو خير من الطريقتين، فقد قدم للناس مبادئ عامة أثبتت تجارب البشرية في المجال الدستوري السياسي صلاحها... وترك التفاصيل الجزئية والتطبيقات العملية التي يمكن أن تحملها هذه المبادئ والقواعد لاجتهاد البشر حسب اختلاف أطوارهم وبيئاتهم وأحوالهم»⁽³⁾.

فما هي المبادئ التي يقوم عليها النظام السياسي الإسلامي في الواقع ويستمر عليها وينعدم

بانعدامها؟

(1) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والنوثة: 23.

(2) محمد سليم العوا - في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 143.

(3) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والنوثة: 29.

من اللافت للنظر في تجربة الدولة الغربية الحديثة زعمها أنها قد حررت في العصر الحديث النظام السياسي ومفهوم الحكم فيه من الاستبداد الكنسي والملكي «عن طريق اعتماد مبدأي الشرعية: أي خضوع الدولة للقانون، وسيادة الشعب أي اعتباره مصدرا للقانون»⁽¹⁾.

هذان المبدئان مكنا الدولة القومية الحديثة في الغرب من تحقيق نتائج إيجابية لا بأس بها على مستوى الداخل، إذ تم بالفعل الحد من سلطان الحاكم وتقييد تصرفاته إلى حد بعيد، كما مكنا الشعب من الحصول على ضمانات قضائية وسياسية وإعلامية لنيل حقوق واسعة أحدثت توازنا جيدا بين الحاكم والمحكوم توارت معه صبغة الاستبداد وإطلاق يد الحكام وأهوائهم في كل شيء كما كان من قبل.

إلا أن انقطاع فلسفة الدولة الحديثة عن القيم الإيمانية والإنسانية العلمية، أعطى نتائج مرة على صعيد العلاقات الخارجية كالحروب بين الدول القومية الأوربية خلال تنافسها على اقتسام العالم إبان الموجة الاستعمارية في القرن التاسع عشر وما بعده، ومرورا بالحربين العالميتين خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، ووصولاً إلى الهيمنة الإمبريالية على كوكب الأرض وحتى الفضاء وحرب النجوم مع النظام العالمي الجديد الذي فتح عهده في مطلع القرن الحادي والعشرين بحروب غير مبررة أخلاقيا ولا سياسيا، اللهم إلا ادعاءات غير إنسانية تخفي في طياتها الطمع والجشع والاستحواذ على خيرات الأرض ولو أدى ذلك إلى إهلاك الحرث والنسل، كما هو حاصل بالفعل على رؤوس الأشهاد في الحرب على المسلمين في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان... الخ.

وللوقوف على المبادئ التي يقوم عليها النظام السياسي الإسلامي مستقبلا، الذي من شأنه أن يحقق دولة الشرع والقانون فينفي الاستبداد الذي ملأ تاريخ المسلمين، واستتار الحكام وبيوتاتهم بأمر الأمة، وإبعاد شريعة الشورى التي أمر بها الباري عز وجل المسلمين حكاما ومحكومين، وجعلها صفة لصيقة بالمؤمنين يعرفون بها ويتميزون.

ولذلك كان لزاما وضع اليد على المبادئ الإسلامية التي تبني عليها الدولة ونظام الحكم، سواء ما تعلق منها بواجبات الحاكم وحقوقه، أو ما اتصل بواجبات الأمة وحقوقها في ممارسة

⁽¹⁾ راشد القنوشي - الحريات العامة في الدولة الإسلامية: 98.

شؤون الحكم وإدارته لأن الواجبات والحقوق بين الطرفين متداخلة وظيفيا، ومتواشجة بنائيا في منظور شريعة الإسلام التي يؤمن بها الجميع وإليها يحتكمون. وباستقراء نصوص الوحي كتابا وسنة، والتجربة التاريخية للأمة بخصوص الحياة الاجتماعية السياسية وممارسة الفعل السياسي في المجتمع الإسلامي ما قبل المرحلة الحديثة والمعاصرة، يتبين أن النظام السياسي الإسلامي يقوم بصورة أو بأخرى على مكونات أساسية وثوابت محددة تنحصر في المبادئ الآتية هي:

المبدأ الأول: الشورى:

تعد الشورى مفهوما قرآنيا يدخل في صياغة النظرية السياسية الإسلامية عموما، وبناء النظام السياسي خصوصا على أساس المشاركة الشعبية والطاعة⁽¹⁾. بحيث يتفرع نظام الحكم الإسلامي «من أصل عام هو الشورى التي فرضها القرآن كأساس لتضامن المجتمع وتكافله وإدارة شؤونه»⁽²⁾.

ومن هنا فالشورى مفهوم إسلامي واسع يعبر عن طبيعة النظام الاجتماعي السياسي الذي يعكس إنسانية الإنسان باعتباره إنسانا مكرما رفيع المستوى، يستحق رأيه الاحترام، وإرادته وعمله التقدير، كما وأن الشريعة الإسلامية تقوم على فكرة المسؤولية الفردية التي تجعل من كل فرد في المجتمع الإسلامي مسؤولا عن عمله.

ونظام الشورى في الحكم يعمل على تفاعل أفراد المجتمع لاستخراج الآراء والقرارات ما بين القمة والقاعدة، أو بين الحاكم والمحكومين من جمهور الأمة، والالتزام بها في كل الأحوال فيما هو من مجالها المشروعة لضمان التوازن السياسي بين الدولة والأمة وتقاسم الأعباء والواجبات لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

أولا: معنى الشورى:

1- معنى الشورى في اللغة:

وردت كلمة (الشورى) بمعنى متقاربة في اللغة العربية في معجم لسان العرب، وفي غيره، يقال: «شار العسل، يشوره، شورا وشيارا وشيارا، ومشارا ومشارة: استخرجه من الوقية

(1) منظور الدين أحمد - النظريات السياسية الإسلامية: 54.

(2) توفيق الشلوي - فقه الشورى والاستشارة: 5.

واجتهاد»⁽¹⁾، ومعنى آخر «والشارة والشورة: الحسن، والهيئة واللباس، وقيل: الشورة، الهيئة والشورة، بفتح الشين: اللباس»⁽²⁾، وجاءت بمعنى «والشوار والشور والشوار: (متاع البيت)»⁽³⁾، وأخيراً بمعنى «وشاوره مُشاوراً، وشواراً، واستشاره طلب منه المشورة»⁽⁴⁾.

ويؤخذ من هذه الاستعمالات لكلمة شورى ومشتقاتها في اللغة، ما يستخرج من منبعه كالرأي الذي يشبه استخراج العسل من الخلية، بالإضافة إلى ما يمكن الإشارة إليه مما يملكه الإنسان من متاع أو لباس متميز وما إلى ذلك.

وهذا الاعتبار فالشورى لغة تعني استخراج الرأي من منبعه، أي من الطرف الذي يستشار، ويكون أهلاً لذلك في امتلاك الرأي الصائب، وما يعكسه من حسن وجمال وتميز⁽⁵⁾.

2- معنى الشورى في الاصطلاح:

بني المفهوم الاصطلاحي للشورى على المعاني اللغوية، بالإضافة إلى تفاسير المفسرين وتناول فقهاء السياسة الشرعية قديماً وحديثاً لمذلول الكلمة وبمجالها، وقد خلص الدكتور توفيق الشاوي إلى تعريف اصطلاحى واسع يلم شتات التعريفات الاصطلاحية الجزئية بقوله: «إن مبدأ الشورى والمشورة أو نظرية الشورى العامة بمعناها الواسع، شامل لجميع أنواع التشاور والتناصح والحوار الحر»⁽⁶⁾، وينقسم المعنى العام الواسع للشورى بالنظر إليها من ناحيتين:

الناحية الأولى: يقتضى المعنى الواسع للشورى شمول جميع أنواع التشاور أياً كان موضوعه، وأياً كان القرار الذي يصدر بعد التشاور أو الجهة التي تصدره.

فعلى سبيل المثال من أهم أنواع التشاور التي تشملها هذه الناحية:

(1)، (2)، (3) ابن منظور - لسان العرب: 434/3.

(4) ابن منظور - لسان العرب: 235/7.

(5) محسن باقر الموسوي - الشورى والديمقراطية: 44.

(6) توفيق الشاوي - لغة الشورى والاستشارة: 15.

- أ- أن التشاور الذي يصدر عنه قرار للجماعة أو الأمة ملزم لها ولأفرادها، بغض النظر عن صدور القرار عن الجماعة مباشرة أو عن ممثلها في مجالسها أو هيئاتها الرسمية.
- ب- وقد يكون موضوع التشاور مجرد رأي يستأنس به الفرد في شؤونه الخاصة.
- ج- وقد يكون موضوع التشاور شأنا عاما يتعلق بقرار سياسي أو اجتماعي.
- د- كما يمكن أن يكون موضوع التشاور مجاله العلم لاستنباط حكم اجتهادي أو فتوى فقهية.

جميع هذه الأصناف على اختلاف مواضيعها وما في حكمها هي مجالات للشورى قائمة في الأساس على مبدأ حرية الشورى والتشاور وتدخل في إطار النظرية العامة للشورى. وتستلزم حرية التشاور في الواقع العملي أن تقوم على حرية الرأي والفكر والكتابة والنشر والإعلام، وهذا يستوجب كسر احتكار الدولة- ومن يسيطر عليها- لوسائل الإعلام والاتصال وأدوات النشر والحوار والتشاور، بحيث تكون أجهزة مفتوحة لجميع الآراء المختلفة، إلى جانب الضمانات الشرعية والقانونية التي تسمى استقلالها، وتلك- فقط- هي البداية الحقيقية لحرية الشورى التي فرضها الإسلام. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾⁽¹⁾.

وأما الناحية الثانية: فلا تقتصر الشورى فيها على مجرد تقييد سلطة الحكام من قبل ممثلي الأمة فيما يصدرونه من قرارات شورية كما قد يفهم من بعض الأبحاث المتعلقة بالشورى، وإنما الشورى- في باب تقييد السلطة وتوزيعها بين هيئة الحكم والأمة أوسع نطاقا وأصولا، إذ تنصل أساسا بحرية الفرد في الجماعة التي تمنحه حقه- الفطري- في المشاركة في أمورها وإصدار القرارات الجماعية، وبالتالي فالحرية حق أساسي لجميع الأفراد- أي المكلفين منهم- يمارسونه على قدم المساواة فيما بينهم بالعدل، وخلاصة القول: «إن غاية الشورى هي العدالة التي تقيم توازنا عادلا ودقيقا بين حرية الأفراد والجماعات من ناحية، وبين وجود سلطة عامة تفرض حدودا وقيودا على هذه الحريات الفطرية من الناحية الأخرى، وهذا التوازن يقيمه الفكر الحر والحوار المتبادل، والتشاور على أساس مبادئ ثابتة ومستقلة، تنبع من عقيدة وشرعية تسمو على إرادة الجميع وتحميهم على فكر الجماعة ونظامها، وبذلك تكون الشورى ميزانا تمثل الحرية

⁽¹⁾ سورة الشورى- الآية: 38.

إحدى كفتيه، والسلطة والحكم الكفة المقابلة لها، وترتكز كلتاهما على محور شرعي ثابت مستقر من أصول الشريعة ومبادئها»⁽¹⁾، ومن هذا المنطلق تتصدر الشورى بحسب غاياتها مبادئ الإسلام السياسية وتنظيم الحياة السياسية على اعتبار أن الشورى واجبة على الحكام من جهة، وهي حق للمحكومين من جهة أخرى، وتمثل السبيل القويم للوصول إلى صواب ما يراد النظر فيه من أمور الأمة العامة⁽²⁾.

3- مفهوم الشورى في القرآن والسنة:

أ- مفهوم الشورى في القرآن:

جاءت كلمة «شورى» في موضعين من القرآن الكريم، مرة موجهة في صيغة الأمر إلى القيادة المتمثلة في شخص الرسول ﷺ. قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفُضِّقُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾⁽³⁾.

يتم الأمر بالشورى في هذه الآية في سياق المحافظة على وحدة الجماعة المسلمة بين القيادة والقاعدة، وصيانة علاقتها بسلوك الرسول مع أتباعه مسلك الرحمة والعفو عن المؤمنين والاستغفار لهم ووجوب مشاورتهم والتزول عند قرار الشورى في الشأن العام.

وقد نزلت هذه الآية بعد غزوة أحد التي انكسر فيها المسلمون وفقدوا فيها عددا كبيرا من الشهداء، كانت تلك الغزوة قد تمت بعد مشاورة النبي ﷺ لأصحابه، وكان رأيه عليه الصلاة والسلام أن يبقوا داخل المدينة ويواجهوا الأعداء فيها، وكان رأي الأصحاب رضوان الله عليهم الخروج والمواجهة عند جبل أحد فترل عليه الصلاة والسلام عند رأيهم ورغبتهم، ثم بينت الأحداث بعد ذلك أن رأي النبي ﷺ كان هو الأصوب. ومع هذا وافقهم. وبعد ذلك أوجب عليه الله تعالى مشاورتهم في كل أمر يحتاج إلى مشورة بغض النظر عن النتائج المترتبة، «والنص بهذه الصورة، وفي هذه الظروف، نص قاطع لا يدع مجالاً للشك في أن الشورى مبدأ أساسي من مبادئ النظام السياسي الإسلامي وقيمة عليا يجب على الأمة المسلمة أن تتمسك بها

(1) توفيق الشاوي - الشورى والاستشارة: 15.

(2) محمد سليم العوا - في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 180.

(3) سورة آل عمران - الآية: 159.

دائما وتحت جميع الظروف»⁽¹⁾ إن هي أرادت العزة لها ولدينها وطاعة ربها. وفي موضع ثان وردت كلمة «شورى» في سورة الشورى، تصف المؤمنين وتحدد الخصائص والسمات التي تميزهم بصفتهم جماعة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾⁽²⁾.

والآية نزلت في مكة قبل أن تتحول الجماعة الإسلامية إلى جماعة سياسية لتصف المؤمنين «بصفة الشورى» مما يدل دلالة واضحة على أن الشورى من خصائص الإسلام على مستوى الجماعة وفي أوضاعها المختلفة قبل التمكين وبعد التمكين في الأرض⁽³⁾.

بالإضافة إلى موضع ثالث من القرآن ذكرت فيه كلمة شورى يختص بفصال الرضيع، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁽⁴⁾، وفصال الرضيع، أي فطام الصبي قبل الحولين، بتراضي الوالدين فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبي أم لا؟ فإذا حقق مصلحة بالاتفاق فلا حرج عليهما في فطامه قبل الحولين. «فدلت الآية بمفهومها على أنه إن رضی أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل، أنه لا يجوز فطامه»⁽⁵⁾.

وهذه إشارة إلى أن الشورى قد تقتصر على أمر اجتماعي ولو لم يكن لها بعد سياسي.

بقي أن نعرف القاسم المشترك في الأمر بالشورى والوصف بها في آيتي سورة آل عمران وسورة الشورى على التوالي، هو لفظة «الأمر» الذي يعني تحديدا أنه هو موضوع الشورى. فما هو «الأمر» في مفهوم القرآن؟ يجيب الراغب الأصفهاني: «الأمر.. لفظ عام للأفعال والأقوال كلها»⁽⁶⁾.

(1) محمد سليم العوا- في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 181.

(2) سورة الشورى- الآية: 38.

(3) سيد قطب- في ظلال القرآن: 299/5.

(4) سورة البقرة- الآية: 233.

(5) عبد الرحمن ناصر السعدي- تفسير الكرم الرحمن: 104.

(6) الراغب الأصفهاني- مفردات القرآن: 24.

بيد أن القرآن لم يحدد لنا كيفية معينة لتحقيق مبدأ الشورى حتى يتمكن كل مجتمع من ممارستها على النحو الذي يناسبه ويحقق منها أهدافه شريطة أن لا تغيب الشورى عن أمر المسلمين في القرار والتدبير باختلاف الزمان والمكان والأحوال⁽¹⁾.

ب- مفهوم الشورى في السنة:

وجد مبدأ الشورى القرآني طريقه إلى التطبيق الفعلي في السنة العملية للنبي عليه الصلاة والسلام، «ولم يعرض أمر يهم جماعة المسلمين في حياة النبي ﷺ إلا عرضه للشورى بين من حضره من الصحابة، ولم يؤثر عنه قط أنه ﷺ خالف ما انتهى إليه رأي أهل الشورى الحاضرين معه»⁽²⁾.

وقد أثبتت أعماله عليه الصلاة والسلام هذه الحقيقة في مواضيع مختلفة في حياته وحتى وفاته، وبمكنا الاستدلال على ذلك بمحادثتين على سبيل المثال لا الحصر من مواقف الرسول العملية التي تؤكد وجوب الشورى والعمل بها.

الأولى: سجلت كتب السيرة والتاريخ تطبيق النبي عليه الصلاة والسلام لمبدأ الشورى القرآني في مداولة سبقت اتخاذ قرار مواجهة قريش في غزوة بدر الكبرى، وهذه المداولة كانت بين النبي ﷺ وبين المهاجرين وبينه وبين الأنصار من جهة ثانية. فالرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة خرج على رأس سرية من مقاتلي المسلمين لاعتراض قافلة تجارية لقريش قادمة من الشام بقيادة أبي سفيان بن حرب، ثم علمت قريش بذلك فجهزوا جيشا لقتال المسلمين والدفاع عن قافلته، ولما وصلت إليه أنباء اقتراب جيش قريش، لم يتخذ قرارا بالحرب من عنده، بل أبحر أصحابه بالأمر واستشارهم لاتخاذ قرار جماعي إما بالانسحاب والعودة إلى المدينة، أو مواجهة الجيش القرشي.

وها هي تفاصيل المداولة كما يسردها ابن هشام في سيرته: «وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله،

(1) لؤي صان - الضيعة والسياسة: 186.

(2) محمد سليم العوا - في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 180.

امض لما أراك الله فنحن معك... ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا علي أيها الناس، وإنما يريد الأنصار وذلك ألهم عدد الناس، وألهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليه نصرة إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسيروا إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن معاذ: والله لكانك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال: فقد آمننا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك»⁽¹⁾.

دلت مداورات غزوة بدر الكبرى حرص النبي ﷺ على استشارة أصحابه من المهاجرين والأنصار، ولم يكتف بإجابة قادة الأقلية من المهاجرين، أمثال أبي بكر وعمر والمقداد بن عمرو، بل رغب في سماع رأي الأغلبية «عدد الناس» وهم الأنصار حتى أفصح عن موقفهم سيد الأنصار سعد بن معاذ بالموافقة الجماعية على القتال مع رسول الله ﷺ خارج المدينة المنورة. «ذلك أن ميثاق البيعة الذي أعلن ميلاد الكيان الإسلامي اقتصر على إلزام الأنصار بالدفاع عن رسول الله ﷺ وصحبه ضمن المدينة، ولم يشمل قتال قريش خارجها»⁽²⁾.

والحادثة الثانية التي يستفاد منها وجوب الشورى وضرورتها في إطار نظام الحكم واختيار الحاكم، أنه في أثناء مرض موته ﷺ كان بعض الصحابة يتوقع أن يوصي بالخلافة من بعده لمن يختاره، وكثيرون يعتقدون أنه ترك ذلك عمدا حتى يترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا بحض إرادتهم من يشاؤون للخلافة تطبيقاً لمبدأ الشورى كأساس لنظام الدولة والمجتمع. وذلك ما تم الإجماع عليه يوم السقيفة، «ونتج عنه إجماع المسلمين على مبدأ وجوب إقامة حكومة إسلامية يرأسها من يختارونه منهم ويولونه أمورهم بالبيعة الحرة، واختاروا أبا بكر أول رئيس لتلك الحكومة»⁽³⁾.

(1) ابن هشام - مختصر السيرة النبوية: 119، 120.

(2) لؤي صالي - العقيدة والسياسة: 190، 191.

(3) توفيق الشلوي - فقه الشورى والاستشارة: 73.

ومن هنا يستفاد من ورود كلمة الشورى في القرآن والسنة العملية للرسول ﷺ، أن حكمها حكم الوجوب، أي على الحاكم أن يشار الأمة في أمورها العامة، بحيث إذا تركها الحاكم حقا للأمة أن تطالبه، وأن تبدي رأيها فيما لها فيه رأي من الشأن العام⁽¹⁾. وإلى هذا الرأي ذهب جمهور الفقهاء والمفسرون أمثال القرطبي والرازي، فاعتبروا أن الشورى من عزائم الأحكام التي يجب نفاذها ولا يجوز تركها، فمن ترك الشورى من الحكام فعزله واجب دون خلاف⁽²⁾.

4- بين الشورى والاستشارة:

من القضايا الهامة التي تلي تعريف الشورى في اللغة والاصطلاح ومفهومها في الروحي كتابا وسنة، التفرقة بين الشورى والاستشارة لأن الشورى كما اتضح سابقا واجبة وملزمة في حين أن الاستشارة غير واجبة وإنما تطلب للاستئناس، يؤخذ بها أو لا يؤخذ سيان. ولذلك فلا مفر من أن نعرف الاستشارة، أولا ثم الشورى ثانيا بهدف تحديد الفرق بينهما.

أ- تعريف الاستشارة: «الاستشارة هي طلب الرأي أو المشورة ممن يكون محل ثقة الطالب، وطالب الاستشارة هو وحده صاحب الحق في اتخاذ «القرار» في المسألة التي يطلب الرأي فيها»⁽³⁾، وينطبق هذا التعريف على استشارات الأفراد لغيرهم في أمور شخصية أو خاصة، يأخذون فيها بأراء غيرهم أو لا يأخذون فهم أحرار، وكذلك الأمر بالنسبة للهيئات المخولة قانونيا أو دستوريا باتخاذ قراراتها بمفردها فعندما تلجأ إلى الخبراء وتستشير المختصين، فهي مخيرة بين أن تأخذ بالنصائح والتوجيهات أو لا تأخذ بها كلياً أو جزئياً. وغير هذه الحالات كثير في الحياة العامة والخاصة، في هذه الحالة وما يشبهها فلا استشارات غير ملزمة قطعاً.

(1) محمد سليم العوا- في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 183.

(2) انظر: تفسير القرطبي: 249/4، 251، الفهر الرأزي-تفسير الكبير: 120/3-122.

(3) محمد سليم العوا- في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 184.

ب- وأما الشورى الملزمة: «فهي الوسيلة الجماعية الشرعية التي تصدر بها الجماعة أو الأمة قرارا في شأن من شئونها فهي واجبة وملزمة»⁽¹⁾.

وهذا النوع ينطبق مثلا: على اختيار رئيس أو أي شأن عام من شؤون الأمة لما يصدر عن قرار بالأغلبية أو الإجماع من قبل الجماعة الأمة، فالقرار في هذه الحالة من صميم قرارات الشورى الجماعية الملزمة⁽²⁾.

ومن هنا يتعين الفرق الجوهرى بين الشورى الملزمة التي لا ينبغي للحاكم أو القيادة الاجتماعية أن تترك العمل بها، والمشورة أو الاستشارة التي يمكن عدم الأخذ بها لاندراجها في المعنى العام الذي يضم كل حوار أو تبادل للرأي غير ملزم.

ومع هذا فالشورى تختص بالقرارات الملزمة الصادرة عن الجماعة، الواجبة التطبيق وهي المعتبرة كأصل من أصول النظام السياسي الإسلامى، في حين أن المشورة أو الاستشارة فهي لون من ألوان الشورى تشمل كل أنواع الحوار والتعبير عن الرأي في المجتمع وقضاياها المختلفة التي تخرج عن نطاق الشورى الخاص بالأمة وقراراتها.

ونخلص في النهاية إلى أن مبدأ الشورى أصل النظام وقاعدة العمل السياسي حسب القرآن والسنة، وهو أمر يتعلق بمسؤولية القيادة السياسية في المجتمع ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ كما يتعلق بمسؤولية الأمة كذلك ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الآية. «بيد أن المسؤولية الشورية للأمة لا تساوى في القيمة والاعتبار والمسؤولية الشورية للقيادة. ذلك أن الشورى حق أصيل للأمة باعتبارها محل خطاب التكليف القرآني... في حين تأخذ مسؤولية القيادة الرسمية موقعا ثانويا نظرا لاستناد الشرعية السياسية للقيادة، وبالتالي حقها في ممارسة الشورى، إلى اختيار الأمة وإرادتها، فالمسؤولية الشورية للقيادة متولدة عن مسؤولية الأمة باختيار قيادتها، وهي تهدف لذلك إلى ربط القرارات السياسية بالإرادة العامة للأمة»⁽³⁾.

(1) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والدولة: 43.

(2) توفيق الشلوي - فقه الشورى والاستشارة: 101، 102.

(3) لؤي صال - العقيدة والسياسة: 195.

5- الشورى بين المبدأ والتطبيق:

إن مبدأ الشورى الذي بينا آنفا حقيقة لم يجعل له الإسلام شكلا محددًا عند تطبيقه، ولذلك جاءت الصور التاريخية لتطبيقه من عهد الرسول ﷺ وحتى الخلافة الراشدة التي كانت حكومتها مع الخلفاء الأربعة حكومة شورى، تأسيسًا وممارسة. عرفت أشكالًا متعددة لممارسة هذا المبدأ بحسب الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة.

إن حضور الشورى في الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة يمكن أن يلمس صيغا كثيرة كجمع رؤساء القبائل أو العشائر أو جمع العلماء وأهل النفوذ الاجتماعي والسياسي وأهل الاختصاص أو ممثلي القطاعات الاجتماعية والمهنية والحزبية أو للزج بين هؤلاء وغيرهم وتشكيل مجالس شورى لإعطاء الرأي وسير الآراء في أكبر قطاع من مكونات المجتمع مراعاة للمصلحة العامة وإلزامًا للحاكم أو السلطة التنفيذية. وتشكيل هذه المجالس عبر الانتخاب والتمثيل الحقيقي، وقد يضاف إلى ذلك التعيين للحاجة إلى من هو من أهل الذكر والخبرة، وتراث الإنسانية المعاصر في هذا الباب غني غني معتبرا للاستعانة به في تنزيل الشورى وتطبيقها.

المهم هو أن يكون الهدف من تطبيق الشورى في الشأن العام للحياة الاجتماعية والسياسية للأمة الامتثال لأمر الله تعالى من الحاكم والمحكوم على السواء، لأن الغاية من تنزيل الشورى هو إبعاد شبح الطغيان والاستبداد عن فئة الحكام من جهة وتخليص جمهور الأمة من الاستضعاف والسلبية بالمشاركة في الأمور العامة على أساس معادلة الحقوق والواجبات التي يوفرها مبدأ الشورى، للوصول إلى أرحح الآراء وأقربها إلى الصواب.

كما تعمل الشورى على تحديد مسؤولية الحاكم أمام الأمة وتحمل تبعاته من الناحية التنظيمية الدستورية، في نطاق الشريعة والمصالح العامة، وما يترتب عن ذلك من نتائج كتصحيح قرار أو تغريم مال أو عزل أو غير ذلك. ويتحقق هذا عمليا في كل بلد وفي كل عصر بالكيفية التي تناسبه⁽¹⁾.

(1) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والدولة: 42، 43.

المبدأ الثاني: العدل:

أولاً: مكانة العدل في الإسلام:

العدل مبدأ أساسي اعتنى بذكره القرآن وألح على تطبيقه في حياة الفرد والمجتمع، وجعل القيام به هدف الرسالات السماوية بعد الإيمان بالله وتوحيده، حيث ورد مقروناً بالتوحيد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾⁽¹⁾، القسط في الآية هو العدل.

ولقد تكررت مادة (العدل) في كتاب الله، ثماني وعشرين مرة: ثلاث عشرة مرة في اثني عشرة آية، في ست سور مكية⁽²⁾، وخمس عشرة آية في خمس سور مدنية⁽³⁾.

وقد استعمل القرآن مادة (القسط) بمعنى العدل في سبع وعشرين مرة، في أربع وعشرين آية، إحدى عشرة آية كلها في ثماني سور مكية⁽⁴⁾، وخمس عشرة مرة في ثلاث عشرة آية، في تسع سور مدنية⁽⁵⁾. وللإشارة فهناك آيتان من بين آيات مادة (القسط) الواردة في القرآن الكريم تدلان على الجور والعدول عن الحق أي الظلم الذي هو عكس العدل. وهما آيتا سورة الجن: (14)، (15)، في قوله عز وجل: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾. فالقاسطون في الآيتين تدل دلالة قاطعة على الجائرين المنحرفين عن الصراط المستقيم لذلك كان جزاؤهم على أعمالهم جهنم وبئس المصير⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ سورة الحديد- الآية: 25.

⁽²⁾ الآيات التي ذكرت فيها مادة (العدل) في السور المكية حسب النزول: الأعراف: (159)، (181)، النمل: (60)، الأنعام: (1)، (70)، (115)، (152)، الثوري: (15)، النحل: (76)، (90)، الانقطار: (8).

⁽³⁾ الآيات التي ذكرت فيها مادة (العدل) في السور المدنية: البقرة: (48)، (123)، (282)، النساء: (3)، (58)، (129)، (135)، الطلاق: (2)، الحجرات: (9)، المائدة: (8)، (95)، (106).

⁽⁴⁾ مادة (القسط) في السور المكية: الأعراف: (29)، الجن: (14)، (15)، الشعراء: (182)، الإسراء: (35)، يوسف: (4)، (47)، (54)، هود: (35)، الأنعام: (152)، الأنبياء: (147).

⁽⁵⁾ مادة (القسط) في السور المدنية: البقرة: (282)، آل عمران: (18)، (20)، الأحزاب: (5)، المتحنة: (8)، النساء: (3)، (127)، (135)، الحديد: (25)، الرحمن: (9)، الحجرات: (9)، المائدة: (8)، (42).

هذا الإحصاء نفا عن: محمد التومي - المجمع الإنساني في القرآن الكريم: 386، 387.

⁽⁶⁾ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تفسير القرآن الكريم: 891.

وقد جاءت قيمة العدل شاملة مثلها مثل قيمة الشورى- في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام- لجميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية بما في ذلك نظام الحكم في المجتمع الإسلامي. وحسبنا في بيان مكانة العدل في الإسلام وشموله لأمر الناس قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...﴾⁽¹⁾، يقول في تفسير هذه الآية الشيخ الطاهر بن عاشور: «مؤكدًا هذا الخير التشريعي بحرف إن ومفتتحًا باسم الجلالة الذي يلقي الحرمة على هذا الخير ويقوي دواعي الأمة لتلقيه والعمل به، ومخبرًا عن الاسم بالجملة الفعلية المفيدة تجدد الأمر وتكرره»⁽²⁾، لأن العدل مقوم أساس في النظرة العامة للحياة الكونية والاجتماعية في القرآن. غير أن القرآن خص الحياة الاجتماعية بتفاصيل كثيرة عن العدل باعتباره أساس ولاية القضاء، وولاية المال العام وولاية الأمر والسياسة الذي هو مقصد بحثنا بالبيان.

ولذلك فالعدل- أو القسط- أعرف المعروف وأساس الدين وقواعده وقيمه العامة، فهو بحق نظام الله وشرعه، وعلى أساسه صلاح الناس في دنياهم وفلاحهم في آخرهم⁽³⁾.

ومن هنا ارتبطت عقائد الإسلام وشرعه بالعدل ارتباطًا وثيقًا يتبدى في الآتي:

1- علاقة التوحيد بالعدل:

إن عقيدة وحدانية الله عز وجل التي جاءت بها الأنبياء والرسل في التاريخ البشري من عند الله مبناها على العدل والقسط والحق، كما يدل على ذلك التبريل الحكيم: ﴿وَكَلَّمْتُ رَبِّيكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁴⁾ ذهب بعض المفسرين إلى أنها كلمة «التوحيد»، وقيل «القرآن»، وقيل «ما وعد الله به رسوله من نصره على الأعداء» فتحا على جميع أوجه التفسير صديقًا وعدلًا، بلا تبديل لكلماته ولا لسنته في خلقه⁽⁵⁾، وقد فسر الآية ابن تيمية قائلًا: «وبالصدق في كل الأخبار، والعدل في الإنشاء من الأقوال

⁽¹⁾ سورة الحل- الآية: 90.

⁽²⁾ محمد الطاهر بن عاشور- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: 185.

⁽³⁾ فريد عبد الخالق- في الفقه السياسي الإسلامي: 195.

⁽⁴⁾ سورة الأنعام- الآية: 115.

⁽⁵⁾ فريد عبد الخالق- في الفقه السياسي الإسلامي: 196.

والأعمال، تصلح جميع الأحوال، وهما قرينان..»⁽¹⁾، أي الصدق والعدل اللذان يكونان وراء النجاح والفلاح.

2- علاقة العدل بالشورى:

إذا كانت الشورى هي أساس النظام السياسي في الإسلام، فإن موقع العدل منها يتجلى في إحكام العلاقة بين الحاكم والأمة، فتشترك الأمة في أمور الحكم ولا يستبد الحاكم بالرأي عندها يكون العدل أساس الشورى وقاعدة الحياة السياسية.

3- علاقة العدل بالمساواة والحرية:

إن تحقق المساواة في المجتمع، وضمنان الحرية وحقوق الإنسان أمور لا تنفصل عن قاعدة العدل، ذلك أن العدل نظام كل شيء⁽²⁾.

ثانيا: العدل في النظام السياسي:

إن روح الشريعة الإسلامية ومبني أحكامها تقوم على العدل، ويتحقق العدل بصورة كاملة مع تطبيق أحكام الشريعة، وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه، وتنظيم العلاقات بين الناس في المجتمع تنظيماً عادلاً على جميع المستويات، ومن ثمة «يكون العدل عملياً بالتسوية بين الناس في المعاملة، ومكافأة جهودهم بحسبها وإسناد الأعمال والوظائف لمن يستحقونها بمؤهلاتهم وعدم المفاضلة والتمييز بينهم تبعاً للهوى والمصلحة والأسباب خارجة لا تستوجب المفاضلة»⁽³⁾، ولا يستثنى القرآن الكريم من العدل حتى الأعداء، لقوله تعالى: ﴿...وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾⁽⁴⁾، بل يوجب القسط في معاملة حتى المحالفين في الدين الذين لا يعتدون على المسلمين ولا يظلمونهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽⁵⁾.

(1) ابن تيمية - الحسبة في الإسلام: 13.

(2) فريد عد الخالق - في الفقه السياسي الإسلامي: 196.

(3) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والدولة: 45.

(4) سورة المائدة - الآية: 8.

(5) سورة الممتحنة - الآية: 8.

وبصورة عامة فالمؤمنون مأمورون جميعا بالعدل في:

أ- الأحكام:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽¹⁾.

ب- وفي الأقوال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾⁽²⁾.

ج- وفي الأفعال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾.

د- وفي الأخلاق: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾⁽⁴⁾.

وقد خص القرآن الكريم في باب الولايات السياسية الحاكم والمحكوم في التقيد بالعدل لما للعدل من مكانة في قيام العمران البشري وازدهاره ودوامه حين يقوم على أساسه نظام سياسي عادل، ولذلك أمر به الأمراء، كما أمرهم بالشورى من قبل في شخص النبي ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

قال الله تعالى في الأمر بالعدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁽⁵⁾.

هذه الآية نزلت في ولاية الأمور، كي يودوا الأمانات إلى أهلها وذلك ما يلزم الحاكم أو الوالي من الأمور العامة. ويفصلها الماوردي حيث يقول: «والذي (يلزم الإمام) من الأمور

(1) سورة الحجرات - الآية: 9.

(2) سورة الأنعام - الآية: 152.

(3) سورة المائدة - الآية: 8.

(4) سورة النحل - الآية: 90.

(5) سورة النساء - الآية: 58.

العامّة عشرة أشياء: أحدهما- حفظ الدين عنى أصوله المستقرّة.. والثاني: تنفيذ الأحكام.. والثالث: حماية البيضة.. والرابع: إقامة الحدود.. والخامس: تحصين.. والسادس جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة.. والسابع: حماية الفياء والصدقات.. والثامن: تقدير ما يستحق من بيت المال.. والتاسع: استكفاء الأمانة وتقليد النصحاء.. والعاشر: مشارفة الأمور بنفسه وتصفح الأحوال، لينهض سياسة الأمة وحراسة الملة»⁽¹⁾ تلك إذن هي الأمانة التي حمل بها الحاكم في الشأن العام باعتبارها من مشمولات الولاية التي تقلدها. وأمر بالعدل في إيصال حقوق الناس والمحافظة عليها. وفي تفسير الآية السابقة يقول القرطبي: «الأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس فهي تناول الولاية فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلمات والعدل في الحكومات... وتناول من دولتهم من الناس في حفظ الودائع والتحري في الشهادات وغير ذلك، كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه»⁽²⁾ وإلى هذه المعاني يشير الحديث النبوي الشريف في تأكيد المسؤولية على جميع المستويات في المجتمع الإسلامي. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: [«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»]⁽³⁾ والمسؤولية تقتضي الجزاء إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

وما جاء في الآية، والحديث، من أمر بالعدل، وإشعار بالمسؤولية، هو أمر عام لكل من «ولي أمرا بأنه من واجبه أن يعلم بأن ما بين يديه هو أمانة، فعليه رعايتها وتأديتها حقها بعدل، مع التذكر أن الله سبحانه عليم شاهد على ما يفعل المرء، وإذا ما نبأ غير العادل والمفرط بالأمانات من عقاب دينوي فإن العقاب الأخروي مدركة لا محالة»⁽⁴⁾، وإلزام الحاكم المسلم بالعدل والشورى، والتزامهما في تأدية واجباته منجاة له من الاستبداد والظلم والظلم واستضعاف الناس والحاق الأذى بهم.

ثم تلتها الآية الأخرى من نفس السورة في الرعية من الأمة لتبين العلاقة السليمة بين الراعي والرعية وفق منهج الله القويم. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(1) نقلا عن فريد عبد الخالق- في الفقه السياسي الإسلامي: 197.

(2) القرطبي- الجملع لأحكام القرآن: 256/5.

(3) صحيح البخاري- كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، حديث رقم: (5200): 956.

(4) أسعد السحران- العدل فريضة إسلامية: 28، 29.

الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»⁽¹⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير الآيتين: «قال العلماء: نزلت الآية الأولى - [إن الله يأمركم أن تؤدوا...]- في ولاية الأمور، عندهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الثانية - [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله...]- في الرعية من الجيوش وغيرهم، عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك، إلا أن يأمروا بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وإن لم تفعل ولاية الأمر ذلك، أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله، لأن ذلك من طاعة الله ورسوله، وأدبت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽²⁾. وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة»⁽³⁾.

إذن العدل في النظام السياسي الإسلامي فرع عن الإيمان بالرسالة في المجتمع المسلم وهو فريضة شرعية إذ يلزم الحاكم والمحكوم بأوامر الله ونواهيه، وأن طاعة الحكام لله ورسوله هي لغير الرئيس لضمان طاعة الأمة ونصرتها، عندئذ يكون العدل هو العلاقة الاجتماعية والسياسية الذي يشد بنيان المجتمع بعضه إلى بعض. ويقضي على مظاهر التفاوت المادي والمعنوي، ويمنع التدابر والتنافر بين المؤمنين، فلا يتصدع صفهم ولا تذهب ربحهم مادام العدل يولف بينهم إلى جانب وحدة العقيدة وأصرة الأخوة ورابطة الشورى ومبدأ المساواة في الفرص.

(1) سورة النساء - الآية: 59.

(2) سورة المائدة - الآية: 2.

(3) ابن تيمية - السياسة الشرعية: 7.

المبدأ الثالث: المساواة:

أولاً: أصل المساواة في الإسلام:

إن مبدأ المساواة أصل في النظام السياسي الإسلامي إلى جانب الشورى والعدل ولا تتحقق الشورى أو العدل في غياب المساواة بين الناس في ظل هذا النظام.

ذلك أن مبدأ المساواة بين المسلمين في المجتمع الإسلامي وبينهم وبين غيرهم من غير المسلمين حقيقة قائمة دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، وعرفها عملياً النظام الإسلامي على عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة في أمثلة وتناذج تطبيقية لم تصل إلى بعض من صورها الإنسانية إلا في العصر الحديث وضمن نطاق ضيق خاص بمجتمعاتها، أما نموذج المساواة كقيمة عامة فيستمد روحه ومعانيه من العقيدة الإسلامية وتطبيقاته من الشريعة السمحاء، ويمكن الحديث عن المساواة بين البشر في الرؤية التوحيدية الإسلامية في الآتي:

1- وحدة المصدر: تتمتع البشرية في الرؤية التوحيدية الإسلامية بوحدة المصدر حيث ترجع في مصدر وجودها إلى الخلق الإلهي، والبشرية قاطبة تقر فطرياً بربوبية الله تعالى وخالقيته سبحانه لها بلا شريك. قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾⁽¹⁾، وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾⁽²⁾.

2- وحدة الأصل: تعود البشرية في أصلها إلى أب واحد بغض النظر عن اللون أو اللغة أو الجنس أو الوطن. فالجميع متساوون في أصل المنشأ. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽³⁾.

⁽¹⁾ سورة العلق - الآيات: 1، 2.

⁽²⁾ سورة الأعراف - الآية: 172.

⁽³⁾ سورة النساء - الآية: 1.

شاءت إرادة الله وقدرته، أن خلق البشر من أصل واحد، وخاطبهم جميعاً بتكليف واحد لأهم يتمتعون بنفس الحلقة والاستعداد الفطري لتقبل ذلك التكليف على أساس عقيدة التوحيد والنبوة والرسالة. قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽¹⁾، وقال عز وجل: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁽²⁾، فهذا الخطاب الإلهي للناس كافة منذ أن أنزلهم إلى الأرض على قدم المساواة لم يستثن منهم واحداً، لأن الله لا يظلم أحداً، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾⁽³⁾، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾⁽⁴⁾، وما كانت الفروق الظاهرية بين البشر من تنوع الألوان، وتعدد الألسنة والأعراق، وغيرها إلا لبلوغ حكمة أرادها الباري تعالى وهي أن يحصل من كل ذلك الاختلاف، التعارف والتعاون بين الشعوب والأمم على مدار التاريخ⁽⁵⁾.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽⁶⁾.

فكان ميزان التفاضل عند الله بين الناس هو التقوى لا غير، وهي جماع العقيدة الصحيحة والأخلاق الحسنة والعمل الصالح والعدل بين الناس. وإلى جانب هذا أخبرنا القرآن الكريم أن هناك قيمة مشتركة تتعلق بإنسانية الإنسان وهي قيمة «تكريم الإنسان» بصفته إنساناً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾⁽⁷⁾ ويقتضي هذا التكريم مسؤولية البشر في المحافظة على كرامة الإنسان دون الثقافات للونه أو جنسه أو لغته أو موطنه أو ملته أو حزبه، بمعنى نصرة الإنسان أي

⁽¹⁾ سورة البقرة- الأيتان: 38، 39.

⁽²⁾ سورة النساء- الآية: 165.

⁽³⁾ سورة الإسراء- الآية: 15.

⁽⁴⁾ سورة فصلت- الآية: 46.

⁽⁵⁾ فريد عبد الخالق- في الفقه السياسي الإسلامي: 214.

⁽⁶⁾ سورة الحجرات- الآية: 13.

⁽⁷⁾ سورة الإسراء- الآية: 70.

إنسان ورد الظلم عنه والبغي والحيف عليه محليا ودوليا، وهذا عين ما تقوم به منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان في عصرنا هذا رغم افتقارها إلى السلطة الملزمة والردع، إلا أنها تمثل ضغطا معنويا وتأثيرا غير مباشر على سلطات الجبر والطغيان التي تمتهن كرامة الإنسان وتزري بحقوقه الخاصة والعامة في سائر أقطار الدنيا. وحرى بمبدأ المساواة في منظور الإسلام على مستوى الإنسانية أن يقضى قضاء مبرما على الميز العنصري والتفرقة بين الناس على أساس الجاه أو المال وكل ما هو مادي غير معتبر ولا يتعلق بجهد الإنسان وكسبه المعنوي.

وبإجمال فإن الإسلام قد ألغى الامتيازات بسبب النسب أو اللون والجنس، أو المنصب والطبقة، وما إليها واعتبر ذلك إن حصل يخل بأصل الاعتقاد بوحدة البشر الذين خلقهم الله من أصل واحد. وتحلّى المساواة في الإسلام من الناحية العملية في منح حقوق للناس، وفي جعلهم أمام أحكام الشريعة وقانونها سواء⁽¹⁾.

ثانيا: المساواة في النظام السياسي الإسلامي:

ويجب التنبيه إلى أن المساواة الإسلامية الناشئة عن الأخوة ليس المقصود منها التساوي المطلق في كل شيء بين المتماثلين، حيث نشط في الواقع الاختلاف في الإنتاج المعرفي بحسب الجهود المبذولة والتفاوت في العطاء العلمي وحلائل الأعمال بين الناس بتنوع القابليات والهمم. وإنما المقصود تحديدا بالمساواة القائمة على الأخوة هو تساوي المسلمين من جهة انتسابهم إلى الرابطة الإيمانية الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽²⁾، فأصرة الأخوة قائمة على توحيد الله والإيمان به وهو أصل المساواة بين جميع المؤمنين. كما توهدل الفطرة صلاح الإنسان لكل فضيلة في الإسلام إذا توفرت أسبابها وسمحت بها مواهب الأقراد. قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَائِمُ وَلَكِنَّا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾.

وتكون المساواة بين الناس فيما تعطيه الشريعة من حقوق بدون تفاوت فيما لا أثر للتفاوت فيه بينهم. وبعبارة أخرى يمكن القول: «إن المساواة ترجع إلى التماثل في آثار كل ما

(1) محمد المبارك- نظام الإسلام: الحكم والنوالة: 44.

(2) سورة الحجرات: الآية: 10.

(3) سورة الروم- الآية: 30.

تمائل المسلمون فيه بأصل الخلقة أو بتحديد لا يؤثر على ذلك التماثل حائل من قوة أو ضعف فلا تكون قوة القوي وعزته زائدة له عن آثار ذلك التماثل، ولا ضعف الضعيف حائلا بينه وبين آثار ذلك التماثل»⁽¹⁾.

ومن بين قيم النظام السياسي الإسلامي التي عبر عنها بوضوح الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قيمة المساواة في عبارة واضحة لا لبس فيها حين خطب في الناس قائلا: «...والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه»⁽²⁾، وفي هذا الكلام عزم من الخليفة على تطبيق مبدأ المساواة أمام القانون في ولايته على الأمة.

وللعلم فإن المساواة التي سعت إليها الشريعة الإسلامية مساواة مقيدة، وليست مطلقة في جميع الأحوال تبعا لأصل خلقة البشر وتفاوتهم في المواهب والأخلاق والأعمال والعقائد التي تحتم تفاضلهم لا محالة رغم الحد الأدنى من المساواة الذي يتوفر بين جميع البشر كما تمت الإشارة إليه سابقا. ويؤكد هذه الحقيقة قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿لَّا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ أَكْبَرُ أُولَئِكَ يَرْجَوْنَ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾⁽⁴⁾، وقال: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾⁽⁵⁾، وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁶⁾.

وهكذا تعبر الشريعة الإسلامية في باب المساواة عن واقعيتها، وإنصافها، وعدالتها، حين لم تقم بمحو الفروق الفطرية والكسبية والحقوق المشروعة بين الناس لصالح مساواة وهمية كما جاءت بها الفسفات المثالية والمادية في شكل مذاهب اجتماعية خيالية تستعصي على التنزيل والتحقق في الواقع الفعلي للناس.

(1) محمد الطاهر بن عاشور - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: 143، 144.

(2) ابن الأثير - الكامل في التاريخ: 224/2-225.

(3) سورة السجدة - الآية: 18.

(4) سورة الحديد - الآية: 10.

(5) سورة النساء - الآية: 95.

(6) سورة الزمر - الآية: 9.

ثالثاً: أسس المساواة في النظام السياسي الإسلامي:

1- المساواة أمام القانون:

لقد كان تعبير «المساواة أمام القانون» مبدأً دستورياً وضعياً، يقصد به تساوي الأفراد المكونين للمجتمع في الحقوق والحريات والتكاليف والواجبات العامة، دون تمييز بينهم بسبب اللغة أو الجنس أو الأصل أو العقيدة. وقد نجم عن الأخذ بمبدأ المساواة زوال امتيازات النبلاء والأشراف في فرنسا عقب الثورة الفرنسية سنة 1789م، وقضي على تبعية الإنسان لأراضي الإقطاعيين وخضوعهم لأصحابها في نفس الوقت.

إلا أن أصل «مبدأ المساواة أمام القانون» اختلف في مرجعيته بين الغربيين، فمنهم من يعود به إلى فكرة العقد الاجتماعي التي يفسرون بها نشأة الدولة، ومنهم من رده إلى القانون الطبيعي الذي هو أعلى وأعلى من القانون الوضعي⁽¹⁾.

وأما بخصوص مبدأ المساواة أمام القانون في الشريعة الإسلامية فأصله الكتاب والسنة كما تمت الإشارة إليه في آيات القرآن السابقة وأعمال بعض الصحابة كابي بكر الصديق الذي عبر عن مبدأ المساواة أمام القانون في خطبة توليه الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، وهو يتحدث عن المساواة القانونية بين الضعيف والقوي حتى يعدل بينهما.

وإلى نفس المعنى قصد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولى أبا موسى الأشعري القضاء، قائلاً له: «أس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يئس ضعيف من عدلك»⁽²⁾.

وأما أصل المساواة أمام القانون في حديث النبي ﷺ، فيدل عليه الحديث الشريف الذي روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ: «[إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها]»⁽³⁾.

(1) محمد سليم العوا - في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 226، 227.

(2) محمد ضياء الدين الرئيس - النظريات السياسية الإسلامية: 328.

(3) صحيح البخاري - كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيب، حديث رقم: (3288): 1282/3.

ودل على نفس المبدأ نفس الحديث حين رد فيه رسول الله ﷺ على أسامة بن زيد بن حارثة حين بعته قوم امرأة من بني مخزوم سرقته، يشفع فيها عند رسول الله في إقامة الحد عليها، فقال له رسول الله ﷺ: «...أتشفع في حد من حدود الله؟ وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»⁽¹⁾.

وقد طبقت هذه الأحاديث وأوامر الله في كتابه في حياة رسول الله وبعد مماته تطبيقاً حسناً مبدأ المساواة أمام القانون في حياة الناس دون استثناء ولتحرز من تلك الممارسات قصة جبلة بن الأيهم الغساني على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

داس أعرابي يدعى الفزاري على إزار جبلة بن الأيهم الغساني وهو يطوف حول الكعبة فاتحل الإزار، فكبر ذلك عليه وهو أمير في قومه، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري، فشكا الأعرابي إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ف قضى له بلطم الأمير على رؤوس الأشهاد فعظم ذلك عليه وقال: «وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك؟ قال: إن الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله بشيء إلا بالتقى، فهرب وتنصر ثانية»⁽²⁾.

إن ما حمل الخليفة على هذا الموقف الصارم، ومن قبله رسول الله عليه الصلاة والسلام بحسباً فعلياً مبدأ المساواة أمام القانون، وصونا لتبليغ الإسلام العليا في العدل والمساواة فوق كل اعتبار اجتماعي أو سياسي أو ديني، لأن المصالح السياسية والاجتماعية والدينية لا تتحقق في ظل اختراق هذه القيم والتفريط في حق من حقوق الله أو حقوق الناس.

2- المساواة أمام القضاء:

قرر الإسلام مساواة جميع أفراد الأمة أمام قانون الشريعة دون استثناء، وهو يقرر كذلك تساويهم أمام القضاء بلا فرق بين حاكم أو محكوم، أو غني وفقير.

ولهذا لم يعرف التاريخ في القضاء الإسلامي ما يعرف في الدولة الحديثة بالمحاكم الخاصة، أو الإجراءات الخاصة لتمييز طائفة عن أخرى. «ولذلك كان الخلفاء ورعاياهم من المسلمين أو غير المسلمين يمثلون أمام القاضي الذي يمثل معه عامة الناس. ويتبع في إجراءات التقاضي ما

(1) صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب أم حسبت أن أصحاب الكعبة... حديث رقم: (3288): 1282/3.

(2) فريد عبد الخالق - في الفقه السياسي الإسلامي: 227.

ينطبق على هؤلاء كما ينطبق على غيرهم. وليس من شك أن هذا يعد أحد نتائج الأخذ بمبدأ المساواة الذي قرره النصوص سالف الذكر»⁽¹⁾.

وقد جرت محاكمة الخلفاء والملوك في التاريخ الإسلامي أمام المحاكم العادية، فهذا هو علي بن أبي طالب زمن خلافته يفقد درعا له، ثم يجدها عند يهودي يدعي أنها له، أي يملكها، فما كان على الخليفة إلا أن رفع أمره إلى القاضي، فيحكم القاضي لصالح اليهودي ضد الخليفة رضي الله عنه.

وهذا الخليفة العباسي المأمون اختصم مع رجل بين يدي يحيى ابن أكنم قاضي بغداد، فدخل المأمون على القاضي يحيى ووراءه خادما يحمل طنفسة لجلوس الخليفة، فرفض القاضي تمييز الخليفة عنى خصمه من الرعية في مجلسه. وقال: يا أمير المؤمنين لا تأخذ علي صاحبك شرف المجلس دونه، فاستحيا المأمون، ودعا للرجل بطنفسة أخرى⁽²⁾.

«ومن أجل ذلك كان رؤساء الدول في الشريعة أشخاصا لا قداسة لهم ولا يمتازون على غيرهم، وإذا ارتكب أحدهم جريمة عوقب عليها كما يعاقب أي فرد»⁽³⁾.

3- المساواة في تولي الوظائف العامة:

إن الإطار العام للعقيدة الإسلامية الذي يشترط في ولاة الأمور في النظام السياسي الإسلامي أداء الأمانات إلى أهلها والمساواة بين الناس والعدل بينهم، طاعة لله ولرسوله وتحقيقا لمقاصد الشرع في الولايات والأموال.

فمن العدل في المجتمع الإسلامي تولي الوظائف العامة إذا تساوى الأفراد في الشروط المؤهلة لوظيفة ما، بعد أن يتم التدقيق في الأكفأ والأصلح، يوسد الأمر إليه، من رئاسة الدولة إلى أدنى الوظائف العامة، لأن ذلك أدعى إلى تحقيق المصلحة العامة، ولكون الوظيفة العامة ولاية، والولاية أمانة، والأمانة تستوجب العدالة، ومن ثم يشترط فيمن يتولى الوظيفة العامة أن يكون عدلا ثقة أميناً، فضلا عن كفايته⁽⁴⁾. وقد بين النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري عظم الإمارة

⁽¹⁾ محمد سليم العوا - في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 230.

⁽²⁾ فريد عبد الخالق - في الفقه السياسي الإسلامي: 229.

⁽³⁾ عبد القادر عودة - التشريع الجنائي الإسلامي: 317/1.

⁽⁴⁾ فريد عبد الخالق - في الفقه السياسي الإسلامي: 233.

وخطورتها على صاحبها، عن أبي ذر رضي الله عنه قال، قلت يا رسول الله استعملني، فضرب بيده على منكبي ثم قال: [«يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»] ⁽¹⁾، كما دلت دروس التاريخ وغيره أن الخلل إذا حدث في تولي الوظائف العامة وقدم أهل الثقة والولاء والمحسوبة، على أهل الخيرة والكفاءة والأمانة، دب الخراب في العمران البشري واستشرى الفساد وقامت قيامة الأمة ودالت دولتها وتفسى الظلم والحيف بين أبنائها وقلت الأمانة واستشرت الخيانة وعمت البغضاء وهلك الحرث والنسل وما إلى ذلك من أسباب السقوط الحضاري العام. وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من وقوع المجتمع الإسلامي في إسناد الأمانات أو الوظائف العامة إلى غير أهلها، لأن ذلك تذيير بقيام ساعتها وهلاكها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: [«إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قيل يا رسول الله وما إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»] ⁽²⁾.

وقد توعد النبي صلى الله عليه وسلم من يلي أمر الأمة ثم يغشها بوعيد شديد: عن يزيد بن زريع عن يونس، قال، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [«لا يسترعي الله عبدا رعية يموت حين يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه الجنة»] ⁽³⁾.

وإن من الأمور التي ينبغي على المسلم أن يحذرهما من نفسه على دينه، أمران: حب المال، وحب الرياسة، وهما مقدمتان أساسيتان لفساد حال كثير من الناس من أهل الوظائف العامة. وفي هذا الصدد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: عن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [«ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»] ⁽⁴⁾ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة يفسد دينه.. وغاية مرید الرياسة أن يكون كفرعون، وجامع المال أن يكون كقارون، وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز مصير فرعون وقارون ⁽⁵⁾، في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا

⁽¹⁾ السنن الكبرى للبيهقي - كتاب آداب القاضي، باب كراهية الإمارة...، حديث رقم: (20792)، 52/15.

⁽²⁾ صحيح البخاري - كتاب الرقائق - باب رفع الأمانة، حديث رقم: (6131)، 2382/5.

⁽³⁾ صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب استحقال الرأى الغاشر لوعيد الله...، حديث رقم: (142)، 125/1.

⁽⁴⁾ سنن الترمذي - كتاب الزهد عن رسول الله، باب الزهد...، حديث رقم: (2376)، 588/4.

⁽⁵⁾ فريد عبد الخالق - في الفقه السياسي الإسلامي: 235.

مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١﴾.

وأما الذين لا يريدون علواً في الأرض بالمال أو بالسلطان فمصيرهم إلى رضوان الله وحنه نعيم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

وقد فسر ابن تيمية الآية، حين صنف الناس بمقتضاها في الدنيا إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: قوم يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض، وهو معصية الله وهؤلاء هم شر الخلق.

والقسم الثاني: الذين يريدون الفساد في الأرض بلا علو كاللصوص والمجرمين وسفلة الناس.

والقسم الثالث: يريد العلو بلا فساد، كالذين عندهم دين يريدون أن يعلو على غيرهم من الناس.

والقسم الرابع: فهم أهل الجنة الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم (٣).

ومن ثم أوجب رسول الله ﷺ الرقابة الاحتسابية من الأمة على ذوي الوظائف العامة من أهل السلطة مما يستوجب المحاسبة أو العزل والرقابة الدائمة من خلال مؤسسات حفظ الوظيفة العامة، وتطبيق واجب «النصيحة»، قال رسول الله ﷺ: «[إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ]» (٤).

4- المساواة في تحمل التكاليف العامة:

(١) سورة غافر - الآية: 21.

(٢) سورة القصص - الآية: 83.

(٣) ابن تيمية - السبابة الشرعية: 171، 172.

(٤) حديث الدين النصيحة تم تخريجه في ص 164 من هذا البحث.

شرع الإسلام التكاليف العامة على مبدأ المساواة بين المسلمين في تحمل أداؤها لما للروابط الاجتماعية من أثر في تبادل المنافع على قاعدة الواجبات والحقوق. لأن كل حق يناله الفرد في المجتمع يقابله واجب يؤديه للآخرين. ولن تقوم قائمة المجتمع اختلت فيه معادلة الواجبات والحقوق.

ومن أبرز التكاليف العامة في الإسلام: فريضة الزكاة، وفريضة الجهاد.

والفريضتان مؤسستان على المساواة بين الناس من تتوفر فيهم شروط الزكاة وشروط الجهاد.

فالزكاة هي الفريضة المالية العامة في الإسلام، وهي ركن من أركانها أو حق من حقوق الله، واجبة على الغني، وحق للفقير. وقد فرضت لتواجه حاجات الجماعة وهي على رأس مصادر الأموال العامة التي تشكل موارد الدولة الإسلامية. وهي واجب على الدولة أن تحصلها وتنفقها في مصارفها الشرعية. وللزكاة آثار عظيمة وإيجابية على المجتمع والدولة، إذ تحررها من المعونات الخارجية والقروض الربوية وأضرارها الدينية والدينيوية على الاقتصاد الوطني والاستقلال السياسي.

أما فريضة الجهاد في الإسلام فتقوم على تحمل أفراد الأمة بالتساوي لأداء واجب تحصيل المهارات الفنية العسكرية للقيام بواجب الدفاع عن الأمة ورد العدوان وليس للاعتداء على الغير كما يأمر القرآن الكريم⁽¹⁾.

قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾⁽²⁾.

هذا المعنى الشامل لمبدأ المساواة الذي يستغرق تفاصيل النظام السياسي الإسلامي ويشد من أزر عناصره الأخرى، كالشورى والعدل في منظومة متواشجة إلى جانب قيمة الحرية يستكمل النظام السياسي الإسلامي صورته التي تميزه عن النظم السياسية الأخرى باعتباره نظاما يستند في أصوله ومبادئه إلى رسالة الإسلام الخاتمة.

(1) فريد عبد الخالق - في الفقه السياسي الإسلامي: 236 وما بعدها.

(2) سورة البقرة - الآية: 190.

المبدأ الرابع: الحرية:

إن الكلام عن حقوق الإنسان وحرياته العامة التي يقوم على أساسها النظام السياسي الإسلامي، ويكفلها للفرد والجماعة على السواء بميزان دقيق، تستدعي التذكير بأن مصدر هذه الحقوق والحريات هو الشرع الإسلامي الرباني الذي أنزله الله تعالى لحماية الإنسان من نفسه ومن اعتداء غيره عليه للحفاظ على كرامة الإنسان وصون طاقاته الفطرية الروحية والبدنية والمعرفية والإرادية من الهدر والتبديد باعتبارها دالة على موهلات الإنسان وقدراته على الاختيار والفعل الحر لأداء مهام الاستحلاف والعمارة في الأرض، والتصرف بما يحقق إرادة الإنسان وغاياته في الحياة.

أولاً: دلالة الوحي والفطرة على حرية الإنسان:

خلق الله تعالى الإنسان متميزاً عن سائر الكائنات من الناحية الفطرية، وسخر له ما في السماوات والأرض، وأقدره على التصرف فيما حوله من طاقات مادية ومعنوية بمقتضى حريته التي يعبر عنها بالقدرة على إتيان الفعل أو تركه بمحض إرادته، سواء تعلق الأمر بأفعاله الاعتيادية في حياته الفردية والاجتماعية، أو تعلق بأوامر الله ونواهيه، طاعة أو معصية.

وبخصوص هذه الجبلة التي خلق عليها الإنسان، يبين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِّنْ لُّطْفَةِ أَمْشَاجٍ نَّبْتِلهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾⁽²⁾ وفي معنى "وهديناه النجدين" يقول الشوكاني: «ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشر...»⁽³⁾، مادام الإنسان قادراً على أن يكون شاكراً أو كفوراً في هذه الحياة لمعرفته بطريق الخير وطريق الشر شرعاً وعقلاً. فالتكليف والمسؤولية في حقه ثابتان، والحرية هي في سلوكه أحد الطريقتين، طريق الاستجابة والعمل والشكر والإيمان والطاعة، أو طريق التمرد على أوامر الله ونواهيه والكفر والإفساد في الأرض،

(1) سورة الإنسان - الآيات: 1 إلى 3.

(2) سورة البلد - الآيات: 8 إلى 10.

(3) الشوكاني - زبدة لتفسير: 1486.

وكل سيطقى جزاءه من جنس العمل الذي اجترحه في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽¹⁾.

ثانيا: الحقوق الإنسانية العامة في الإسلام:

يمتضى تمتع الإنسان الفرد بالحرية والقدرة والإرادة على العمل والتصرف في حياته بين الكائنات كيف يشاء، ويشمل هذا الوضع البشر جميعا على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومكانتهم الاجتماعية، استحق الإنسان بوجه عام الكرامة الأدمية تفضلا من البارئ عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾⁽²⁾، وتجلى هذه الكرامة في حقوق عامة تستوجب الصيانة والرعاية كي تستقيم الحياة الإنسانية، كحق الحياة وحفظ النفس، فلا يجوز شرعا انتهاك هذا الحق بالقتل أو الاعتداء المادي أو المعنوي، أو بالسجن، إلا إذا استحق الإنسان ذلك بجرم أتاه في حق غيره، عندها ينال جزاءه المناسب. وقد بلغ الأمر بالنبي ﷺ حتى في الحرب للمشروعة ضد العدو أن يوصي باحترام حق الحياة من قبل جند الإسلام، وعدم التمثيل في القتل ولا إتلاف الشجر أو النبات ولا قتل الحيوان أو الصبية والعجزة والنسوة والعباد... الخ.

وكذلك ضمن الإسلام حق التملك والكسب للمؤمن والكافر على السواء في مجتمع المسلمين، للبالغ، وللطفل وللجنين كما هو الأمر في الميراث، ولا يؤخذ شيء من هذه الحقوق إلا إذا نص على ذلك شرعا، أو اقتضته مصلحة عامة⁽³⁾.

ثالثا: حدود الحرية الإنسانية في الإسلام:

إن حرية الإنسان في الإسلام في أي مجال كان محدودة بضوابط نص عليها الشرع، والنظام السياسي الإسلامي يتكفل بسن القوانين التي تحفظ هذه الحرية من الانتقالات والفوضى والتعدي على حقوق الله، أو حقوق الناس. وهذه الضوابط أو القيود ثلاثة:

الأول: العقيدة الإسلامية: هي أصل الدين بحقائقها الأساسية المتعلقة بعالمى الغيب والشهادة، وهي أساس الشريعة والأخلاق في الإسلام، وعلى أرضيتها يقوم نظام الحياة

(1) سورة الزلزلة - الآيات: 7، 8.

(2) سورة الإسراء - الآية: 70.

(3) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والدولة: 108.

الإسلامية في الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يتحرر فيه الإنسان من كل أشكال العبودية لغير الله. ومن هنا تصبح العقيدة الإسلامية من النظام العام في المجتمع لا يجوز إلحاق الضرر بأي مفهوم من مفاهيمها لأن ذلك يمثل من الناحية الفعلية اعتداء على المجتمع والدولة في نفس الوقت باعتبار المجتمع الإسلامي ونظامه السياسي ملتزمان بتلك العقيدة، فأى اعتداء عليها يجب دفعه وردده بقوة حتى لا يتفوض النظام العام، وفي هذا السياق شرع حكم للمرتد من المسلمين عن العقيدة وما يتصل بها من أحكام الإسلام حماية للإسلام ولنظامه الاجتماعي من الهدم من الأساس. وأما من انطوى على شيء من الضلال أو الزيغ العقدي واحتفظ به لنفسه ولم يدع إليه ولا يفتن الناس عن دينهم فأمره إلى الله. ونستني من هذا أهل الكتاب الذين يعيشون في ظل النظام الإسلامي، فلا يجوز التعرض لهم لمجرد التزامهم بعقائدهم وشؤونهم الخاصة رغم مخالفتها للحق الذي يؤمن به المسلمون، ما لم يتعرضوا بالطعن والنقد للعقيدة الإسلامية أو الدعوة لدينهم بين المسلمين، ولو فعلوا ذلك عندئذ لا يسمح لهم لأن ذلك مساس بالنظام العام وتفويض لأركانه.

وأما النقاش العلمي في فروع العقيدة والاختلاف بشأنها في الجزئيات والتفاصيل مما هو محل اجتهاد ونظر كفاقي ميادين الفكر والبحث العلمي فباب الحرية فيه مفتوح مع عدم المساس بالأمور الثابتة في ميدان العقيدة.

- الثاني: القيد الثاني على حرية الإنسان في المجتمع الإسلامي. هو القيم الأخلاقية باعتبارها من أمور الشرع، ومكونات الحياة الفردية والاجتماعية، فالتعدي على أي قيمة من هذه القيم مساس بالدين وبالمجتمع في نفس الوقت، وقد تمثل عوامل هدم وتدمير لنظامه العام وعقائده وتشريعته شيئاً فشيئاً.

فإذا كانت الزنا اعتداء على الأعراض، واختلاط الأنساب، وضياع الحياء من الناس والعفة ومجلبة للأمراض العضوية والنفسية وتعدي على حدود الله باعتبارها محرمة، فلا مجال لممارسة الحرية الجنسية في المجتمع الإسلامي، والزواج الشرعي هو الطريق الوحيد في اقتران الذكر بالأنثى في الإسلام. كذلك إذا كانت السرقة في المجتمع هي اعتداء على الملكية العامة أو الخاصة المشروعة فلا حرية للشارق، فضلاً عن حرمة السرقة في الدين.

الثالث: وأما القيد الثالث فهو المصلحة العامة ودفع الضرر عن الغير، ويتعلق بالتصرفات المباحة في الأصل، يمكن الحد من حرية صاحبها إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك، أو أدى ذلك إلى إيقاع ضرر بطرف اجتماعي ما.

وبعد هذا يمكننا التطرق إلى أهم الحقوق والحريات السياسية التي فسخ الإسلام المجال فيها ضمن القيود والضوابط السابقة⁽¹⁾.

رابعاً: حرية الرأي في النظام السياسي الإسلامي:

قسم الباحثون في الفقه الدستوري الحديث الحرية إلى عدة أقسام، أهمها: حرية الرأي، وحرية العقيدة، وحرية التعليم، وحرية الملكية، وحرية الشخصية.

وهناك من قسم بعض هذه الشعب إلى فروع أو أقسام أخرى، كما هو حال الحرية الشخصية الذي جعله البعض يتضمن: حرية التنقل، وحق الأمن، وحرية السكن... الخ ولو نظرنا إلى هذه الشعب جميعاً من حيث الشمول لاعتبرنا «حرية الرأي» هي أصل هذه الحريات كلها، بالإضافة إلى كونها ألصق هذه الحريات بالنظام السياسي للدولة⁽²⁾.

والنظر فيما تم عرضه سابقاً من معاني الشورى، والعدل، والمساواة، والحرية وضوابطها، كمبادئ للنظام السياسي الإسلامي يمكن تصور معنى واضحاً إلى حد ما لمضمون الحرية في المجال السياسي الإسلامي كالاتي: الحرية في المجال السياسي تعني، عدم حواز استبداد الحكام بالمحكومين، ووجوب إقرار حق المحكومين في المشاركة وإدارة أمورهم العامة بدون قيود، غير ما تستلزمه ضوابط العقيدة الإسلامية والأخلاق والشريعة، ومصلحة الأمة.

ويمكن تفصيل القضايا المتعلقة بحرية الرأي في المجال السياسي على النحو الآتي:

1- حرية الرأي في القرآن والسنة:

(1) محمد المبارك- نظام الإسلام: الحكم والدولة: 109 وما بعدها.

(2) محمد سليم انغوا- في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 211.

إن القول بحرية الرأي في الكتاب والسنة، لا يعتبر ذلك بحارة للتطور الفكري الإنساني في المجالات الفكرية والسياسية، وإنما هو حق شرعي أصيل. نطق به الوحي ونهضت به قواعد الشريعة وأصولها العامة⁽¹⁾.

ومن قضايا حرية الرأي في القرآن والسنة ما يلي:

أ- حرية العقيدة:

لقد أعطى الإسلام الإنسان كامل الحرية في اعتقاد ما يشاء اتسجاماً مع فطرته التي تقوم على السمع والبصر والفؤاد ونفخة الروح فيه كي يكون قادراً على سماع الحق ومشاهدة الآيات الدالات على وجود الله ووحدانيته وعظيم صفاته، ثم يختار بحرية بين الإيمان والكفر.

وقد جاء تأكيد حرية العقيدة في عدة آيات قرآنية قطعية الدلالة، منها قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.

يقول البيضاوي في تفسير الآية: «إذ الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه، وقد تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية، والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية، والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والنجاة، ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء»⁽³⁾.

بمعنى أن الدين الحق لا إكراه ولا إجبار عليه من الله عز وجل، بل مبناه على التمكين والاختيار، لأنه مناط الثواب والعقاب، ولولا ذلك لما حصل الابتلاء والاختبار، ولبطل الامتحان⁽⁴⁾، وهو كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾⁽⁵⁾.

بل وجه الخطاب القرآني الرسول ﷺ إلى كيفية الدعوة إلى الله بالحكمة واللوعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

(1) رحيل محمد غزالي - الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية: 332.

(2) سورة البقرة - الآية: 256.

(3) البيضاوي - التفسير: 1/135.

(4) سهيل حسن الفلاوي - حقوق الإنسان في الإسلام: 43.

(5) سورة الكهف - الآية: 29.

وَجَادِلْهُمْ بَاتِّبِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾^(١)،
 ومن ثمة فلا داعي للحجر على حرية الناس في التفكير والاعتقاد، بل الأمر إليهم بمحض
 اختيارهم لأنفسهم ما يشاؤون، والله تعالى خالق الناس لا يحملهم على الإيمان أو يفرضه
 عليهم. قال عز وجل مخاطباً رسوله الكريم في هذا الصدد: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي
 الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ لَكْرَهُ النَّاسِ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقال له أيضاً: ﴿وَمَا أَكْثَرُ
 النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

إذا كان الإسلام لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه، فإنه بالمقابل لا يسمح لأحد أن
 يكره أهله على الخروج منه بأي طريقة من الطرق لأن في ذلك اعتداء على حرية المعتقد عند
 المسلم^(٤).

ومن واجب المسلم الذي يقع عليه الاضطهاد في دينه أن يهاجر بدينه إلى أرض تكفل له
 حماية حريته في العقيدة والبيان، وهذه الهجرة لا يشترط فيها أن تكون أرضاً يحكمها الإسلام—
 وإنما يكفي أن يكون بإمكانه في مهجرة أن يعبد الله ويطبق شعائر دينه، كما حصل في فجر بعثة
 النبي ﷺ حين أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة وهي دولة نصرانية فرارا بدينهم من اضطهاد
 قريش، وهذه هي الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة^(٥).

وفيها يقول عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي الْأَرْضِ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا
 كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ
 جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً
 وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾^(٦).

(١) سورة النحل - الآية: 125.

(٢) سورة يونس - الآية: 99.

(٣) سورة يونس - الآية: 103.

(٤) راشد النفوسى - الحريات العامة في الدولة الإسلامية: 44.

(٥) محمد سليم العوا - في النظام السياسي للدولة الإسلامية: 215.

(٦) سورة النساء - الآيات: 97 إلى 99.

ومن بين الأهداف التي شرع الجهاد في الإسلام والإذن بالقتال المحافظة على حرية العقيدة، وصيانة المعابد، وحرمة الشعائر الدينية⁽¹⁾، قال الله عز وجل في ذلك: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾⁽²⁾.

ويقرن الإمام عبد الحميد بن باديس بين هذه المعاني المختلفة للحرية وحياة الإنسان، وملازمة إحداها للأخرى ملازمة لا تنقطع في ظل الشريعة الربانية وممارسات الحكم الراشد. يقول: «فحق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية، والمعتدى عليه في شيء من حريته كالمعتدى عليه في شيء من حياته، وما أرسل الله من رسل وما شرع لهم من الشرع إلا ليحيوا أحرارا، وليعرفوا كيف يأخذوا بأسباب الحياة والحرية، وحتى يستثمروا تلك الحياة وتلك الحرية إلى أقصى حدود الاستثمار النافع، وما انتشر الإسلام في الأمم إلا لما شاهدت فيه من تعظيم للحياة والحرية ومحافظة عليهما وتسوية بين الناس فيهما مما لم تعرفه تلك الأمم من قبل لا من ملوكها ولا من أبحارها ورهبانها»⁽³⁾.

ب- حرية التفكير:

حض الإسلام الإنسان على استخدام ملكة التفكير فيه لتمييزه بالعقل والنظر والتدبر في أموره كلها، بدءا بمعرفة حقائق الغيب في خطاب الوحي ومرورا بآيات الله في الآفاق والآنفس التي تؤدي دورا حيويا في تنمية إيمانه وترقية فهمه ومعارفه بسنن الله، كي يهتدي إلى الحق، ويعمر الأرض بالخيرات ويشيع الأمن والسلام في ربوع الدنيا، ففي مجال الهداية إلى الإيمان عن طريق التفكير، جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾⁽⁴⁾ وقد تكرر في

(1) نيسو هميس العمر - حرية الاعتقاد في ظل الإسلام: 226.

(2) سورة الحج - الأيتان: 39، 40.

(3) عبد الله شريط - مشكلة الحكم في دولة الأمر عبد القادر ونظرية الشيخ ابن باديس، دراسة مقدمة لندوة البونسكور في «الرؤية السياسية والأعلامية في الإسلام» (7-11 ديسمبر 1981): 15.

(4) سورة آل عمران - الأيتان: 190، 191.

آيات كثيرة الحث على التفكير في الكون وسننه وحوادثه بغرض معرفة الله خالق الكون، وتسخير طاقاته وخبراته لرفاهة الإنسان وعيشه من خلال العلوم والتقنيات التي هي نتاج تفكير الإنسان ونظيره المستمر في مجرى حوادث الطبيعة وسننها المضطردة.

كما حث الإنسان على التفكير في المجتمع وسننه وحوادثه التاريخية للعبارة والدرس والاستفادة والتحكم في بحريات التغيير والتخطيط لإصلاح المجتمع وتنمية إنجازاته، ورد السلبيات التي تقوض أركانه وتقضي على الإيمان والأخلاق فيه، قال الله تعالى: ﴿سْتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽²⁾.

والى جانب الترغيب في التفكير ضمن الإسلام حرية التفكير في إطار قواعد الشرع وحمية الحق والبيئات.

من شواهد احترام حرية التفكير والتعبير عن الرأي في المجتمع الإسلامي الأول أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين هم في خطبة عامة بوضع حد أعلى للمهر واجهته امرأة من بين الحاضرين واعتضت عليه استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْسَانٌ فَحَدَّثْنَا فَذَرْنَاهُ فَمَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنَا خَدُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾⁽³⁾ فالزمته الحجة وتراجع عن رأيه وهو أمير المؤمنين، وقال على رؤوس الأشهاد: «أصابت امرأة وأخطأ عمر»⁽⁴⁾.

ج- الحرية السياسية:

تضمن الشريعة الإسلامية حق الأمة السياسي في إبداء الرأي ضمن حدود الشرع عقديا وأخلاقيا وما يحقق مصلحة عامة لا تضاد شيئا من الدين. وللفرد المسلم أن يبدي رأيه في أمور الحياة العامة، وأن يشارك في بناء الحياة السياسية، وأن يعترض على تصرفات الحكام وينتقلها على ضوء مقياس الإسلام ومصلحة المجتمع. ولا يحق لأي كان أن يقيد حريته في ذلك أو يمنعه

⁽¹⁾ سورة فصلت - الآية: 53.

⁽²⁾ سورة الرعد - الآية: 11.

⁽³⁾ سورة النساء - الآية: 20.

⁽⁴⁾ سهيل حسن الفتلاوي - حقوق الإنسان في الإسلام: 48.

ما التزم الإنصاف وقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقررة شرعاً، إلا إذا كان في نقده واعتراضه افتئات على الآخرين ومس بشرفهم وأعراضهم وأقام لهم بالباطل عندئذ يوضع عند حده بعدل وإنصاف⁽¹⁾.

ولتوجيهات القرآن والسنة في التعبير عن الرأي والنصح لخاصة المسلمين وعامتهم نصوص كثيرة توجب على الإنسان الذود عن حمى الدين ومصالح المسلمين دون انتظار تكليف من أحد، فرادى وجماعات. قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽²⁾.

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم ورد نفس المعنى ليحمل المسلمين واحب النصيحة، في قوله عليه السلام: «[إنما الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم]»⁽³⁾، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا وأهلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا ونجوا جميعاً»⁽⁴⁾، فالنحاة للجميع متعلقة بالنهي عن المنكر. كل هذه النصوص الشرعية المعبرة عن واجب الأمر بالمعروف في المجتمع السياسي الإسلامي تعني المطالبة بفعل ما هو حق وخير ومصلحة للأمة، والنهي عن المنكر هو المطالبة بتجنب وترك ما هو باطل وشر ومفسدة للحياة بجميع جوانبها، هذا المبدأ نفسه هو الذي يقرر حرية الرأي والحرية السياسية في التعبير والنقد لإحقاق الحق وإبطال الباطل ومطاردته.

ومن ثمة فإن مبدأ الحرية في النظام السياسي الإسلامي يقوم على دعائيتين أساسيتين:

الأولى: المشاركة في اختيار الحاكم على أساس مبدأ الشورى بين المسلمين بغض النظر عن وسيلة التعبير أو كيفية تنفيذ هذه الشورى من الناحية الإجرائية.

(1) محمد المبارك - نظام الإسلام: الحكم والدولة: 120.

(2) سورة آل عمران - الآية: 104.

(3) سنن النسائي، تم تخریج الحديث في ص 164 من هذا البحث.

(4) صحيح البخاري - كتاب الشركة، باب هل يفرع في القسمة... حديث رقم: (2361): 882/2.

والثانية: ضمان إبداء الرأي والنصح للحكام من طرف الأمة ونقد أعمالهم بحرية بمقاييس الإسلام ومصلحة المسلمين من دون تشهير ولا تجريح⁽¹⁾.

وبهذا يتميز النظام السياسي الإسلامي في قيمه ومبادئه التي يستمدّها من فلسفة السياسة التوحيدية الإسلامية عن غيره من الأنظمة السياسية الدينية وغير الدينية في القدم والحديث وفي المستقبل كما تميزت الرسالة الخاتمة المنطوية على الحق كل الحق، عقيدة وشريعة، ومنهج حياة، عن سائر الأديان والمذاهب والفلسفات ونظم الحياة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

⁽¹⁾ محمد المبارك- نظام الإسلام: الحكم والتولية: 122.

نصل في نهاية هذا البحث إلى الإجابة على التساؤلات التي أثبتت في المقدمة، والتي عن طريقها توصلنا إلى عدد من النتائج الهامة بخصوص "البعد الاجتماعي والسياسي لعقيدة التوحيد" حسب المحاور الثلاثة الآتية:

المحور الأول: النموذج المعرفي التوحيدي.

المحور الثاني: البعد الاجتماعي لعقيدة التوحيد.

المحور الثالث: البعد السياسي لعقيدة التوحيد.

المحور الأول: من النتائج الأساسية لهذا المحور من خلال الدراسة: تبين أن عقيدة التوحيد هي أساس النظام المعرفي في الإسلام. ويمكن بناء نموذج معرفي توحيدي بالنظر إلى المضامين الإيمانية والعلمية والعملية ونكاملها في الرؤية التوحيدية لعالمي الغيب والشهادة.

- واستناداً إلى مقومات النموذج المعرفي التوحيدي فلا تضارب بين مصادر المعرفة ووسائلها، الموزعة بين الروحي، والكوني، والعقلي، والحواس، بل بينها - في الواقع - تكامل وتضافر يتجلى في إدراك مبدأ وحدة الحقيقة وفق منهجية الجمع بين القراءتين.

- إن النظرة العلمية إلى حقول المعرفة الكونية، والاجتماعية والإنسانية، من خلال النموذج المعرفي التوحيدي تقوم على أسس عقديّة، وذلك يرد الساحات الكونية جميعاً إلى الخلق الإلهي والفعل الرباني، وإلى أسس معرفية تتجلى في الإدراك الإنساني لسنن الله في الخليقة حين يكشف الإنسان باجتهاده العلمي، قوانين الحياة ويعمل على التأثير من خلالها في الطبيعة والإنسان حسب رؤيته العقديّة وغاياته العمليّة في الحياة.

- شكل النموذج المعرفي التوحيدي في هذه الدراسة «جسر عبور» بين عقيدة التوحيد، وبين البعد الاجتماعي والسياسي لها.

- ومن النتائج العامة للمحور الثاني، أن عقيدة التوحيد هي أساس البعد الاجتماعي من الحياة الإنسانية في ظل الإسلام، أو هي أصل فلسفة الاجتماع فيه. ومن النتائج المترتبة عن ذلك:

- أن الحياة الاجتماعية تقوم على سنة الزوجية بين الذكر والأنثى.
- وأن الاجتماع الإنساني يتكون من خلايا اجتماعية هي الأسر.
- وأن التعاون سنة اجتماعية بين سائر عناصر مكونات المجتمع.
- والرابطة الإيمانية هي أساس الاجتماع في نظام الأمة الوسط.
- ووحدة الإنسانية مبدأ توحيدى، وتكويني؛ فالله تعالى هو الخالق لجميع الناس، وأصل جميع الناس من آدم، وآدم من تراب.
- وربط الحياة الاجتماعية بعقيدة التوحيد تعبير أصيل عن ذاتية الإسلام، وتجاوز لأنماط الحياة الاجتماعية المناقضة لمقاصد الإسلام وغاياته في القلم والحديث.
- ومن ثمة يمكن بناء نظام اجتماعي إسلامي، يعكس مبادئ التوحيد وقيمه في الواقع الإنساني المعاصر.

وأما نتائج المحور الثالث من البحث، وهو البعد السياسي لعقيدة التوحيد، فتصدر عن المنطلق السابق ذاته: إذ التوحيد هو أساس العقيدة السياسية أو الفلسفة السياسية في دين الإسلام، لأن الفعل السياسي إنساني واجتماعي بالضرورة، نابع من مقومات الحياة الاجتماعية ومعبر عن علاقتها ومحقق لمقاصدها في تدبير شؤون الناس داخل المجتمع وخارجه، وبالتالي فهو مشدود إلى المرجعية العقدية والأخلاقية والمنظومة التشريعية التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية.

وإبراز خصائص النظام السياسي الإسلامي المعاصر ومقوماته الذاتية، وتمييزه عن نظم الأمة التاريخية في الحكم، ونظم الحكم الديني الكنسي، ونظم الحكم الوضعي العلماني الديوي.

وخلاصة النتائج هي: أن عقيدة التوحيد في الإسلام، تعد بحق: أصل النظام المعرفي، وأصل الاجتماع الإنساني، وأصل فلسفة السياسة فيه.

التوصيات:

إن ما يمكن تقديمه من توصيات في خاتمة هذا البحث، يستند إلى قناعات تنوحي للمزيد من الدراسة والبحث للمعمق حول القضايا التي طرحها هذا البحث ووصل فيها إلى نتائج أولية

متواضعة، تتطلب جهودا بحثية مستقبلية متعددة في حقل الدراسات العقيدية والمعرفية والاجتماعية والسياسية وغيرها. ولذلك نقترح ما يأتي:

1- العمل على تحديد صياغة العقيدة الإسلامية بما يمكنها من التأثير الفعال في بناء شخصية الفرد والمجتمع في الأمة، والمقدرة على منافسة العقائد والمذاهب الوضعية وغير الوضعية في تفسير حقائق الحياة وتنظيمها، وتسهيل اعتناقها على سائر البشرية.

2- تكثيف البحث حول النظام المعرفي الإسلامي، وبلورة نماذج معرفية توحيدية مناسبة لجميع حقول الدراسة الكونية والاجتماعية والإنسانية من منطلقات المنهجية المعرفية القرآنية، بغرض تجاوز أزمة العقل المسلم من جهة وأزمة العقل الغربي في مرحلة ما بعد الحداثة من جهة ثانية.

3- تكثيف البحث حول البعد الاجتماعي لعقيدة التوحيد وتفصيله أكثر وتعميق مباحثه انطلاقا من معطيات الوحي كتابا وسنة من ناحية، وانطلاقا من الفطرة الاجتماعية الواقعية من ناحية أخرى.

وهذا بغرض الوصول أولا: إلى نموذج اجتماعي توحيدي يختزن مبادئ الإسلام وقيمه في العقيدة والشريعة والنظرة إلى الإنسان والحياة والنظم الكفيلة بتحقيق غايات الدين ومقاصده في العمران البشري.

وللوصول ثانيا: إلى الإدراك العلمي الواقعي لصورة النموذج الاجتماعي ومكوناته الفطرية ودرجة انحرافه عن النموذج المثالي أو اقترابه منه.

4- ضرورة البحث المستمر حول البعد السياسي لعقيدة التوحيد، حتى يتطور النموذج الأمثل المعبر عن ذاتية الإسلام من جهة، والقادر على استيعاب واقع المسلمين، وتجاوز النماذج الأخرى والتفوق عليها نظريا وعمليا، تفوق الإسلام على سائر المذاهب والأديان.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

جامعة الأميرة
فهرس المصادر والمراجع

عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

أولاً/ القرآن الكريم.

ثانياً/ كتب التفسير:

1- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل القرشي الدمشقي (ت774هـ)، بيروت: دار المعرفة، 1980.

2- البيضاوي، أبو عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت791هـ)، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م.

3- الرازي، أبو عبد الله بن عمر بن حسين القرشي (ت606هـ)، التفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

4- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ط2، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

5- الزحيلي، د. وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط1، دمشق: دار الفكر، 1423هـ/2003م.

6- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير الكرم الرحمن في تفسير كلام اللنان، ط1، الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م.

7- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، زبدة التفسير من فتح القدير، مختصر للدكتور محمد سليمان عبد الله الأشقر، ط1، الكويت: مطابع الأنباء، 1406هـ/1986م.

8- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في علوم القرآن، بيروت: دار الفكر، 1978.

9- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

10- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط32، القاهرة: دار الشروق، 1423هـ/2003م.

11- السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

ثالثاً/ كتب الحديث:

1- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1975م.

2- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت275هـ)، صحيح سنن أبي داود، مراجعة وضبط محب الدين عبد الحميد، القاهرة: مطبعة مصطفى محمد ومكتبته، د.ت.

3- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، بيروت: المكتبة الإسلامية، د.ت.

4- البخاري، أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن مغيرة، صحيح البخاري، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

5- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ط1، الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1354هـ.

6- الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ط1، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأبناؤه، 1356هـ.

7- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1255هـ)، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، بيروت: دار الجيل، د.ت.

8- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ)، صحيح مسلم، القاهرة: مطبعة المعرفة ودار الفكر، 1981م.

9- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر، سنن النسائي، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

رابعاً/ كتب العقيدة والاجتماع والسياسة والفلسفة والفكر الإسلامي المعاصر:

1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1965م.

2- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم النميري الحراني الدمشقي، الحسبة في الإسلام، تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة، ط1، الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، 1403هـ/1983م.

3- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم النميري الحراني الدمشقي، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

- 4- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم النميري الحراقي الدمشقي، توحيد الألوهية، ضمن بمجموعه فتاح شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط1، الرياض: 1381هـ.
- 5- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم النميري الحراقي الدمشقي، كتاب الإيمان، ضمن بمجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط1، الرياض: 1381هـ.
- 6- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم النميري الحراقي الدمشقي، كتاب السلوك، ضمن بمجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط1، الرياض: 1381هـ.
- 7- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1956م.
- 8- ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تونس: نشر الشركة التونسية للتوزيع، 1978م.
- 9- ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تونس: نشر الشركة التونسية للتوزيع، 1979م.
- 10- ابن نبي، مالك، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، بيروت: دار الفكر، 1399هـ/1977م.
- 11- ابن هشام، مختصر سورة ابن هشام، إعداد محمد عفيف الزعبي، ط1، بيروت: دار النفائس، 1397هـ/1977م.
- 12- أبو إسحاق، الشاطبي، الاعتصام، ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي، الجزائر: دار شريعة، د.ت.
- 13- أبو إسحاق، الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ضبط الدكتور عبد الله دراز، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- 14- أبو الفضل، د. مني عبد المنعم، الأمة القطب: نحو تأصيل منهاجي لمفهوم الأمة في الإسلام، ط1، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ/1996م.
- 15- أبو عحوة، د. محمد نجيب، المجتمع الإسلامي، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1999.
- 16- أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، أزمة العقل للمسلم، ط2، الجزائر: دار الهدى، 1413هـ/1992م.

- 17- أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، ط1، القاهرة: المعهد العلمي للفكر الإسلامي، 1409هـ/1989م.
- 18- أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي، ط1، دمشق: دار الفكر، 1323هـ/2002م.
- 19- أبو شقة، عبد الحلیم محمد، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ط4، الكويت، دار القلم، 1398هـ/1978م.
- 20- أحمد، منظور الدين، النظريات السياسية الإسلامية في العصر الحديث، ترجمة الدكتور عبد الجواد خلف، القاهرة: دار الوفاء، 1988م.
- 21- أغروس، م. روبرت، وستانيو، ج.ن، العلم في منظوره الجديد، ترجمة كمال خلایلي، ط1، الكويت: عالم المعرفة، 1409هـ/1989م.
- 22- إقبال، د. محمد، تحديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة محمود عباس، ط2، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، 1968م.
- 23- الأميني، محمد تقي، عصر الإلحاد، ترجمة الدكتور مقتدى حسين ياسين، القاهرة: دار الصحوة، د.ت.
- 24- البار، د. محمد علي، الله جل جلاله والأنبياء والتوراة والعهد القديم، ط1، دمشق: دار القلم، 1419هـ/1990م.
- 25- باشا، د. أحمد فؤاد، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، ط3، القاهرة: دار الهداية، 2003م.
- 26- بدوي، د. ثروت، النظم السياسية، القاهرة: دار النهضة العربية، 1962م.
- 27- برزنجي، د. نعمت حافظ، الكيان الإسلامي والنضال من أجل العدالة، ترجمة أنس الرفاعي، ط1، دمشق: دار الفكر، 1999م.
- 28- برنتون، كارين، تشكيل العقل الغربي، ترجمة شوقي جلال، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
- 29- البهنساوي، د. سالم، مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، الجزائر: طيباوي للطبع والنشر، د.ت.

- 30- البوطي، د. محمد سعيد رمضان، المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني، ط1، دمشق: دار الفكر، 1417هـ/1996م.
- 31- البوطي، د. محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ط1، دمشق: دار الفكر، 1982م.
- 32- بوكاي، د. موريس، ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة، ط12، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1406هـ/1985م.
- 33- بيحوفيتش، علي عزت، الإسلام بين الشرق والغرب، ط1، بيروت: مؤسسة العلم الحديث، 1414هـ/1998م.
- 34- بيحوفيتش، علي عزت، الإعلان الإسلامي، ترجمة محمد يوسف علس، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1419هـ/1999م.
- 35- التراي، د. حسن عبد الله، السياسة والحكم، ط1، بيروت: دار الساقى، 2003م.
- 36- التراي، د. حسن عبد الله، الإيمان أثره في حياة الإنسان، ط4، الكويت: دار القلم، 1403هـ/1983م.
- 37- توفيق، د. محمد عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن والعلم الحديث، ط2، القاهرة: دار السلام، 1990م.
- 38- تونشار، د. جون وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي المقلد، بيروت: الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع: د.ت.
- 39- التومي، د. محمد، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ط1، تونس والجزائر: الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، 1407هـ/1986م.
- 40- خارودي، روجيه، ميثاق إشبيلية، ط1، باريس: توقي للنشر، 1985م.
- 41- خارودي، روجيه، الإرهاب الغربي، ترجمة د. الطوفي ود. ناهد عبد الحميد، د. سامي مندور، القاهرة: دار الشروق الدولية، 1424هـ/2004م.
- 42- جعفر، هشام أحمد عوض، الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية، ط1، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ/1995م.
- 43- الجليند، د. محمد السيد، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، ط1، القاهرة: مطبعة العمرانية، 1994م.

- 44- الجمل، د. يحيى، الأنظمة السياسية المعاصرة، القاهرة: دار الشروق، د.ط، د.ت.
- 45- جتري، د. رياض صالح، الرؤية الإسلامية لمصادر المعرفة، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1994م.
- 46- الجوزية، ابن القيم، مفتاح دار السعادة، تحقيق عبد المنان الطيبي وعصام فارس الحرساني، بيروت: دار الجليل، 1414هـ/1994م.
- 47- حامد، د. التيجاني عبد القادر، أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، ط1، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ/1997م.
- 48- حاطوم، د. نور الدين، تاريخ القرن السابع عشر في أوربة، ط1، دمشق: دار الفكر، 1406هـ/1986م.
- 49- حسنة، عمر عبيد، الوراثة الحضارية، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1424هـ/2003م.
- 50- حسنين، د. علي محمد، رقابة الأمة على الحكام، بيروت: المكتب الإسلامي، 1408هـ/1988م.
- 51- حمادة، د. فاروق، الوصية النبوية للأمة الإسلامية، ط1، دمشق: دار القلم، 1422هـ/2001م.
- 52- حمد، أبو القاسم حاج، العالمية الإسلامية الثانية، ط2، بيروت: دار ابن حزم، 1416هـ/1996م.
- 53- حمدي، علي أحمد، الإنسان والمجتمع في الفكر الإسلامي، القاهرة: النهار للطبع والنشر والتوزيع، د.ت.
- 54- الحنفي، صدر الدين بن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق مصطفى بن العدوي، ط2، بيروت: دار رجب ودار ابن حزم، 1424هـ/2003م.
- 55- الخطيب، د. عمر عودة، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.
- 56- خليل، د. عماد الدين، رؤية إسلامية في قضايا معاصرة، كتاب الأمة، العدد45، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1416هـ/1995م.

- 57- خليل، د. عماد الدين، مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م.
- 58- خليل، د. عماد الدين، إعادة تشكيل العقل المسلم، ط1، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية، 1403هـ/1981م.
- 59- الخولي، البهي، آدم عليه السلام: فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ط3، القاهرة: مكتبة دار التراث، 1394هـ/1974م.
- 60- دراز، د. محمد عبد الله، الدين: بحوث ممهدة لدراسة الأديان، القاهرة: دن، د.ت.
- 61- دراز، د. محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم، الكويت: دار القلم، 1404هـ/1984م.
- 62- الدريني، د. محمد فتحي، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1402هـ/1982م.
- 63- الدريني، د. محمد فتحي، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، بيروت: دار فتيية، 1408هـ/1988م.
- 64- الدغشي، د. أحمد محمد حسين، نظرية المعرفة في القرآن الكريم، ط1، دمشق: دار الفكر، 1422هـ/2002م.
- 65- الدمرداش، محمود فرج، وعلم آدم الأسماء كلها، ط1، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ/1996م.
- 66- الرئيس، د. محمد ضياء الدين، النظريات السياسية الإسلامية، القاهرة: مكتبة دار التراث، 1976م.
- 67- الزنداني، عبد الحميد عزيز، علم الإيمان، الجزائر: دار المنابع، 2002م.
- 68- زيدان، د. عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1423هـ/2002م.
- 69- السامرائي، د. نعمان عبد الرزاق، في التفسير الإسلامي للتاريخ، الجزائر: دار الشهاب، د.ت.
- 70- السحمراني، د. أسعد، العدل فريضة إسلامية والحرية ضرورة إنسانية، ط1، بيروت: دار النفائس، 1411هـ/1991م.
- 71- سعيد، جودت، رياح التغيير، ط1، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1416هـ/1995م.

- 72- شايرا، د. محمد عمر، الإسلام والتحدي الاقتصادي، ترجمة الدكتور محمد زهد السهموري، ط1، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ/1996م.
- 73- الشاوي، د. توفيق، فقه الشورى والاستشارة، ط2، القاهرة: دار الوفاء، 1413هـ/1992م.
- 74- صافي، د. لؤي، العقيدة والسياسة: معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، ط1، دمشق: دار الفكر، 1422هـ/2001م.
- 75- الصافي، عثمان عبد القادر، الإيمان: تعريفات ومتفرقات، بيروت: المكتب الإسلامي، 1990م.
- 76- الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، ط13، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، 1406هـ/1986م.
- 77- صديقي، د. كلیم، التوحيد والتفسيخ بين سياسات الإسلام والكفر، ترجمة ظفر الإسلام خان، ط2، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1405هـ/1985م.
- 78- صديقي، د. محمد معين، الأسس الإسلامية للعلم، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1409هـ/1989م.
- 79- عبد الخالق، عبد الرحمن، الأصول العلمية للدعوة السلفية، ط3، الجزائر: الدار السلفية، د.ت.
- 80- عبد الخالق، د. فريد، في الفقه السياسي الإسلامي، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1419هـ/1998م.
- 81- عبد اسعيد، د. محمد فايز، قضايا علم السياسة العام، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1983م.
- 82- عبد الله، د. عبد الغني بسيوني، النظم السياسية، بيروت: دار الجامعة، د.ت.
- 83- عبد المهدي، عادل، إشكالية الإسلام والحداثة، ط1، بيروت: دار الهادي، 1421هـ/2001م.
- 84- عثمان، د. محمد فتحي، من أصول الفكر السياسي الإسلامي، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.

- 85- عثمان، د. علي عيسى، لماذا الإسلام؟ وكيف؟، ط1، بيروت: منشورات دار الآداب، 1406هـ/1986م.
- 86- عرجون، د. محمد الصادق، إبراهيم، محمد رسول الله ﷺ، ط2، دمشق: دار القلم، 1415هـ/1995م.
- 87- عزت، د. هبة رؤوف، للمرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، ط1، ميرلاند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي واشنطن، 1416هـ/1995م.
- 88- عطية، زينب محمد، أصول العلوم الإنسانية من القرآن الكريم، ط1، القاهرة: دار الوفاء، 1416هـ/1995م.
- 89- العلواني، د. طه جابر، نحو منهجية معرفية قرآنية، ط1، بيروت: دار الهادي، 1425هـ/2004م.
- 90- العلواني، د. طه جابر، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، بيروت: دار الهادي، 1998م.
- 91- العلواني، د. طه جابر، التوحيد والتزكية والعمران، ط1، بيروت: دار الهادي، 1424هـ/2003م.
- 92- العلواني، د. طه جابر، الجمع بين القراءتين، ط1، دمشق: دار الهداية، 1415هـ/1995م.
- 93- العلواني، د. طه جابر، مقدمة في إسلامية المعرفة، ط1، بيروت: دار الهادي، 1421هـ/2001م.
- 94- علي، د. جعفر عبد السلام، القانون الدولي لحقوق الإنسان، ط1، القاهرة وبيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1419هـ/1999م.
- 95- العمر، د. تيسر حميس، حرية الاعتقاد في الإسلام، ط1، دمشق: دار الفكر، 1419هـ/1998م.
- 96- عمر، د. إبراهيم أحمد، العلم والإيمان، ط1، ميرلاند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، 1410هـ/1990م.
- 97- العواء، د. محمد سليم، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1410/1990م.

- 98- عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
- 99- غرايبة، د. محمد رحيل، الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، ط1، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1421هـ/2000م.
- 100- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، القاهرة: دار الشروق، د.ت.
- 101- غليون، د. برهان، نقد السياسة الدولية والدين، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1991م.
- 102- الفنوشي، راشد، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992م.
- 103- الفاروقي، د. إسماعيل راجي، أسلمة المعرفة، ترجمة عبد الوارث سعيد، ط1، الكويت: دار البحوث العلمية، 1404هـ/1984م.
- 104- الفاروقي، د. إسماعيل راجي، ود. لويز لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1419هـ/1998م.
- 105- فايد، زكريا، العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب، ط1، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1408هـ/1988م.
- 106- الفتلاوي، د. حسين سهيل، حقوق الإنسان في الإسلام، ط1، بيروت: دار الفكر العربي، 2001م.
- 107- قاسم، د. عون الشريف، الرسالة الحائمة، ط1، بيروت: دار القلم، 1399هـ/1979م.
- 108- القرضاوي، د. يوسف، السنة مصدر المعرفة والحضارة، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1417هـ/1996م.
- 109- القرضاوي، د. يوسف، العقل والعلم في القرآن الكريم، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م.
- 110- القرني، د. عبد الله بن محمد، المعرفة في الإسلام مصادرها وبجالاتها، ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1419هـ/1999م.
- 111- قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط7، القاهرة: دار الشروق، 1400هـ/1980م.
- 112- قطب، سيد، نحو مجتمع إسلامي، ط3، القاهرة: دار الشروق، 1398هـ/1978م.

- 113- قطب، سيد، مقومات التصور الإسلامي، ط3، القاهرة: دار الشروق، 1408هـ/1988م.
- 114- قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1400هـ/1980م.
- 115- قطب، محمد، حول التفسير الإسلامي للتاريخ، ط2، جدة: المجموعة الإعلامية، د.ت.
- 116- قطب، محمد، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1418هـ/1998م.
- 117- قطب، محمد، لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهج حياة، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1415هـ/1995م.
- 118- قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، ط2، القاهرة: دار الشروق، 1983م.
- 119- قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ط6، القاهرة: دار الشروق، 1983م.
- 120- كامل، د. عبد العزيز عبد القادر، الإسلام والمشكلة العنصرية، ط1، باريس: منظمة اليونيسكو للتربية والثقافة والعلوم، 1970م.
- 121- كركر، د. صالح، رؤى في النظام الاقتصادي في الإسلام، ط1، تونس: مطبعة تونس قرطاج، 1984م.
- 122- كنعان، د. أحمد محمد، أزممتنا الحضارية في ضوء سنن الله في الخلق، ط1، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية، 1411هـ/1991م.
- 123- الكيلاني، د. ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، بيروت: مؤسسة الريان، 1419هـ/1998م.
- 124- الكيلاني، د. ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية، بيروت: مؤسسة الريان، 1419هـ/1998م.
- 125- المؤمن، علي، النظام السياسي الإسلامي الحديث، ط1، بيروت: دار الهادي، 1425هـ/2004م.
- 126- المبارك، محمد، نظام الإسلام: الحكم والدولة، ط3، بيروت: دار الفكر، 1400هـ/1980م.

- 127- المبارك، محمد، نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، ط4، بيروت: دار الفكر، 1395هـ/1975م.
- 128- المبارك، محمد، نظام الإسلام: في الاقتصاد، ط3، بيروت: دار الفكر، 1972م.
- 129- المبارك، محمد، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، القاهرة: المعهد العلمي للفكر الإسلامي، 1416هـ/1989م.
- 130- المبارك، محمد، الإسلام والفكر العلمي، ط1، دمشق: دار الفكر، 1980م.
- 131- المسيري، د. عبد الوهاب، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، ط1، القاهرة: دار الشروق، 2002م.
- 132- المسيري، د. عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1999م.
- 133- المسيري، د. عبد الوهاب، وعزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، ط1، دمشق: دار الفكر، 1421هـ/2000م.
- 134- المسيري، د. عبد الوهاب، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1423هـ/2002م.
- 135- المودودي، أبو الأعلى، الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها، القاهرة: دار الخلافة للطبع والنشر، د.ت.
- 136- المودودي، أبو الأعلى، نظام الحياة في الإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.
- 137- المودودي، أبو الأعلى، الدين القيم، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1397هـ/1977م.
- 138- المودودي، أبو الأعلى، الحكومة الإسلامية، تعريب أحمد إدريس، القاهرة: المختار الإسلامي، د.ت.
- 139- المودودي، أبو الأعلى، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، بيروت: دار الفكر، 1389هـ/1969م.
- 140- المودودي، أبو الأعلى، الخلافة والملك، تعريب أحمد إدريس، ط1، الكويت: دار القلم، 1398هـ/1978م.
- 141- المودودي، أبو الأعلى، مبادئ الإسلام، بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.
- 142- المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، الكويت: دار القلم، د.ت.

143- الموسوي، د. محسن باقر، الشورى والديمقراطية، ط1، بيروت: دار الهادي، 1424هـ/2003م.

144- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأمة الربانية الواحدة، ط2، بيروت: مؤسسة الريان، 1416هـ/1996م.

145- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، ط1، دمشق: دار القلم، 1416هـ/1995م.

146- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، براهين وأدلة إيمانية، ط1، دمشق: دار القلم، 1990م.

147- النجار، د. عبد الحميد، قيمة الإنسان، ط1، الرباط: دار الزيتونة للنشر، 1417هـ/1996م.

148- النجار، د. حسين فوزي، الإسلام والسياسة، القاهرة: دار المعارف، د.ت.

149- النحلوي، د. عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط2، دمشق: دار الفكر، 1983م.

150- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، العقيدة والعبادة والسلوك، ط3، القاهرة وبيروت: دار الشروق، 1982م.

151- يالجن، د. مقداد ود. يوسف مصطفى القاضي، علم النفس التربوي في الإسلام، الرياض، دار المريخ، 1401هـ/1981م.

خامسا/ كتب اللغة والمعاجم:

1- أبادي، الفيروز، القاموس المحيط، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1988م.

2- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت: دار لسان، د.ت.

3- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1963م.

4- إرديس، د. سهيل، المنهل: قاموس عربي فرنسي، ط31، بيروت: دار الآداب، 2003م.

- 5- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دمشق، دار القلم، 1418هـ/1998م.
- 6- البعلبكي، منير، المورد: قاموس إنجليزي عربي، ط73، بيروت: دار العلم للملايين، 2003م.
- 7- البعلبكي، منير، موسوعة المورد، ط2، بيروت: دار العلم للملايين، 1992م.
- 8- الجرجاني، السيد الشريف علي محمد بن الحسين، التعريفات، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1987م.
- 9- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ضبط وتخرّيج وتعليق د. مصطفى ذيب البغا، ط1، دمشق: اليعامة، 1405هـ/1985م.
- 10- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط2، بيروت: دار الفكر، 1981م.
- 11- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: مطبعة مصر، 1961م.
- سادسا/ المقالات والندوات العلمية:
- 1- أبو السعود، د. محمود، الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة للمسلم المعاصر، العدد 13، بيروت، 1978م.
- 2- أبو سليمان، د. عبد الحميد، السياسة والحكم في الإسلام، ضمن أبحاث "قضايا الفكر الإسلامي المعاصر"، منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1389هـ.
- 3- جارودي، روجيه، كشف حساب الفلسفة الغربية في هذا القرن، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 3، ليبيا، 1985م.
- 4- الرشدان، د. محمود عايد، حول النظام المعرفي القرآن الكريم، مجلة إسلامية للمعرفة، العدد 10، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، 1997م.
- 5- شريط، د. عبد الله، مشكلة الحكم في دولة الأمير عبد القادر والشيخ ابن باديس، بحث مقدم إلى ندوة "اليونيسكو عن الرؤية السياسية والأخلاقية في الإسلام"، باريس، ديسمبر 1982م.

- 6- الفاروقي، د. إسماعيل راجي، أبعاد العبادات في الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، العدد 10، بيروت، 1977م.
- 7- الفاروقي، د. إسماعيل راجي، إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية، مجلة المسلم المعاصر، العدد 22، بيروت، 1980م.
- 8- الفاروقي، د. إسماعيل راجي، جوهر الحضارة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، العدد 27، بيروت، 1981م.
- 9- الفاروقي، د. إسماعيل راجي، نظرية الإنسان في القرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للفكر الإسلامي، طهران، منظمة الإعلام الإسلامي، 1406هـ/1986م.
- 10- لمياء، د. لويز الفاروقي، حركة المساواة بين الجنسين، مجلة المسلم المعاصر، العدد 37، بيروت، 1983، 1984م.
- 11- لمياء، د. لويز الفاروقي، النساء في المجتمع القرآني، مجلة المسلم المعاصر، العدد 41، بيروت، 1984، 1985م.
- 12- المبارك، محمد، النظرة الإسلامية إلى الكون والإنسان والحياة، ضمن أبحاث اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1399هـ/1979م.

فهرس الآيات القرآنية

جامعة الأمير
القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

(مرتبة حسب ورودها في البحث)

الصفحة	السورة ورقم الآية	بداية الآية
6	[سورة غافرة: 64، 65]	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ...﴾
6	[سورة النحل: 52]	﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَبَّ اللَّهُ...﴾
6	[سورة الزمر: 2]	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ...﴾
7	[سورة الذاريات: 5، 6]	﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾
7	[سورة الماعون: 1-3]	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَالْأ...﴾
7	[سورة الانفطار: 17-19]	﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَ...﴾
7	[سورة يونس: 104، 105]	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَسْأَلُ الدِّينَ...﴾
8	[سورة يوسف: 40]	﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا...﴾
8، 12	[سورة الروم: 30]	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾
8	[سورة النور: 2]	﴿الرَّابِئَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا...﴾
8	[سورة آل عمران: 19]	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ...﴾
8	[سورة آل عمران: 85]	﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ...﴾
9	[سورة الزخرف: 87]	﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَمَّا يُؤْفَكُونَ﴾
9	[سورة فاطر: 1]	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا...﴾
9	[سورة الأنبياء: 56]	﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا...﴾
9	[سورة طه: 72]	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَنَّكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا...﴾
10	[سورة الأعلى: 1-3]	﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾
10	[سورة ص: 71، 72]	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ...﴾
11	[سورة الفلم: 4]	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾
13	[سورة النحل: 78]	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ...﴾
13	[سورة السجدة: 7-9]	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ...﴾
14	[سورة العلق: 1-5]	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ...﴾
14	[سورة القيامة: 17، 18]	﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقِرَاتُهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعَ قِرَاتَهُ﴾
15	[سورة الفلم: 1]	﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾
16	[سورة العلق: 1]	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾

- ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾
- 16 [سورة العلق: 3]
- ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾
- 17 [سورة الروم: 7]
- ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
- 18 [سورة العلق: 4، 5]
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ...﴾
- 19 [سورة الإسراء: 85]
- ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن...﴾
- 19 [سورة النساء: 113]
- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ...﴾
- 19 [سورة الحشر: 22]
- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
- 19 [سورة التغابن: 18]
- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾
- 19 [سورة الرعد: 9]
- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ...﴾
- 19 [سورة الأنعام: 73]
- ﴿يَعْتَدِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَدِرُوا لِي أُتُومِن...﴾
- 20 [سورة التوبة: 94]
- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...﴾
- 20 [سورة الزمر: 46]
- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا...﴾
- 20 [سورة البقرة: 216]
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ...﴾
- 20 [سورة النور: 19]
- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
- 20 [سورة البقرة: 42]
- ﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ...﴾
- 20 [سورة الحج: 54]
- ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْخَجَرَ...﴾
- 21 [سورة البقرة: 60]
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ...﴾
- 21 [سورة البقرة: 260]
- ﴿قَالُوا تُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَن قَدْ...﴾
- 21 [سورة المائدة: 113]
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ...﴾
- 21 [سورة يونس: 5]
- ﴿ثُمَّ لَكُسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَتَغَفَّلُونَ﴾
- 21 [سورة الأنبياء: 65]
- ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَشِيعَ مِلَّتُهُمْ قُلْ...﴾
- 21 [سورة البقرة: 120]
- ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾
- 21 [سورة الإسراء: 108]
- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْكَافِرَةُ إِنِّي نَسِيتُكَ مِنَ الذِّكْرِ...﴾
- 21 [سورة مريم: 43]
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي...﴾
- 21 [سورة النمل: 15]
- ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ...﴾
- 23 [سورة البقرة: 46]
- ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ...﴾
- 24 [سورة البقرة: 285]
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ...﴾
- 25 [سورة النساء: 65]
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَن آمَنَ...﴾
- 25 [سورة البقرة: 62]
- ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ...﴾
- 25 [سورة البقرة: 3]

- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ...﴾ [سورة الأعراف: 75، 76] 26
- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ...﴾ [سورة البقرة: 31] 27
- ﴿وَأَلْفُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْشُرُونَ﴾ [سورة النحل: 87] 27
- ﴿سَتْرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ...﴾ [سورة فصلت: 53] 27
- ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ...﴾ [سورة البقرة: 38] 27
- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ...﴾ [سورة الحجرات: 5] 27
- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ...﴾ [سورة الإسراء: 36] 28
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ...﴾ [سورة الصف: 2، 3] 3، 2
- ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...﴾ [سورة العصر: 1-3] 29
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا...﴾ [سورة البقرة: 277] 29
- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...﴾ [سورة النساء: 124] 29
- ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرَ...﴾ [سورة النساء: 123] 29
- ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا...﴾ [سورة هود: 46] 29
- ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا...﴾ [سورة التوبة: 60] 29
- ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [سورة الملك: 2] 29
- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا...﴾ [سورة الأنفال: 2-4] 30
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُلَؤُنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي...﴾ [سورة الصف: 5] 31
- ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [سورة القمر: 2] 31
- ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ...﴾ [سورة الأنبياء: 24] 31
- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْحًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 32] 31
- ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [سورة فصلت: 4] 31
- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ سَاءَ...﴾ [سورة الزمر: 32] 32
- ﴿أَفَتَنْظُمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ...﴾ [سورة البقرة: 75] 32
- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِن...﴾ [سورة البقرة: 146] 32
- ﴿أَمْ لَرِيدُونَ أَنْ نَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ...﴾ [سورة البقرة: 108] 32
- ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعُنَّهَا وَفِي رُجُومِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [سورة الحج: 72] 33
- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِن...﴾ [سورة البقرة: 146] 33
- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا...﴾ [سورة الأعراف: 46] 33
- ﴿وَإِذْ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [سورة يوسف: 58] 33

- 34 ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرُوجِ...﴾ [سورة الأنعام: 59]
- 35 ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا...﴾ [سورة البقرة: 89]
- 35 ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة النحل: 83]
- 35 ﴿وَرَحَاءَ إِخْوَةِ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [سورة يوسف: 58]
- 36 ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ...﴾ [سورة النحل: 78]
- 36 ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا...﴾ [سورة المؤمنون: 78]
- 36 ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا...﴾ [سورة المؤمنون: 80]
- 37 ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا...﴾ [سورة الأعراف: 179]
- 37 ﴿مَّا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنْ اللَّهُ هُوَ...﴾ [سورة الذاريات: 57، 58]
- 38 ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا...﴾ [سورة البقرة: 30-32]
- 40 ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق: 1]
- 40 ﴿فَاعَلَّمْ أَتَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة محمد: 19]
- 40 ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [سورة العلق: 1، 2]
- 40 ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة الحجر: 29]
- 41 ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...﴾ [سورة العصر: 1-3]
- 43 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ...﴾ [سورة الأنبياء: 25]
- 43 ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ...﴾ [سورة الإخلاص: 1-4]
- 43 ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]
- 43 ﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ [سورة الأعراف: 54]
- 43 ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: 82]
- 43 ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: 96]
- 43 ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ...﴾ [سورة لقمان: 11]
- 44 ﴿نَسِجَ لَهُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ...﴾ [سورة الإسراء: 44]
- 44 ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [سورة الحج: 18]
- 46 ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 115]
- 46 ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ [سورة آل عمران: 190، 191]
- 47 ﴿مَّا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنْ اللَّهُ هُوَ...﴾ [سورة الذاريات: 57، 58]
- 47 ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا...﴾ [سورة البقرة: 30]
- 48 ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ...﴾ [سورة الأحزاب: 72]

- 48 ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ...﴾ [سورة الشمس: 7-10]
- 48 ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ [سورة الرعد: 11]
- 48 ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا...﴾ [سورة الملك: 15]
- 49 ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ...﴾ [سورة الحاثية: 13]
- 49 ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا...﴾ [سورة الزلزلة: 7، 8]
- 49 ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [سورة الفارعة: 6-11]
- 50 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ...﴾ [سورة الأنبياء: 25]
- 51 ﴿قَالَ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ...﴾ [سورة الإخلاص: 1-4]
- 51 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا...﴾ [سورة البقرة: 255]
- 53 ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ [سورة العلق: 1]
- 53 ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ...﴾ [سورة العلق: 2]
- 53 ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ...﴾ [سورة الكهف: 51]
- 53 ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ...﴾ [سورة الغاشية: 17-19]
- 54 ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا...﴾ [سورة الرعد: 15، 16]
- 54 ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ...﴾ [سورة الفرقان: 2]
- 55 ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [سورة الروم: 30]
- 55 ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ...﴾ [سورة البقرة: 38، 39]
- 57 ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا...﴾ [سورة الأنبياء: 30]
- 57 ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ...﴾ [سورة يس: 38-40]
- 57 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي...﴾ [سورة المؤمنون: 12-14]
- 57 ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ...﴾ [سورة فاطر: 43]
- 58 ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ...﴾ [سورة الأنبياء: 66-70]
- 58 ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ...﴾ [سورة يس: 33]
- 58 ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنفُثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ...﴾ [سورة الروم: 48]
- 59 ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [سورة العلق: 1، 2]
- 59 ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾ [سورة الشورى: 11]
- 59 ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ...﴾ [سورة الإخلاص: 4]
- 59 ﴿يَبْدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَكَلْدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ...﴾ [سورة الأنعام: 101]
- 60 ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [سورة النحل: 3، 11]

- 60 ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [سورة الملك: 2]
- 60 ﴿يَبْتَئُكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالرِّبْثَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ...﴾ [سورة النحل: 11-18]
- 61 ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [سورة العلق: 1، 2]
- 62 ﴿وَإِلَىٰ تَعْوَذُ أَضَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ بِهِ...﴾ [سورة هود: 61]
- 62 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ...﴾ [سورة الحج: 5]
- 62 ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ...﴾ [سورة السجدة: 7]
- 62 ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ...﴾ [سورة الفرقان: 54]
- 62 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر: 26]
- 63 ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ...﴾ [سورة يس: 36]
- 63 ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [سورة نوح: 17]
- 63 ﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ...﴾ [سورة الأنعام: 38]
- 63 ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ ذَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ...﴾ [سورة النور: 45]
- 64 ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين: 4]
- 64 ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ...﴾ [سورة النحل: 78]
- 64 ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ...﴾ [سورة البقرة: 31]
- 64 ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن: 3، 4]
- 65 ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ...﴾ [سورة السجدة: 7، 9]
- 65 ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا...﴾ [سورة البقرة: 30]
- 65 ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْمَاءَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ...﴾ [سورة الأحزاب: 72]
- 66 ﴿وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ...﴾ [سورة الذاريات: 56-58]
- 66 ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [سورة الملك: 2]
- 66 ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [سورة لقمان: 20]
- 67 ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ...﴾ [سورة النحل: 12]
- 67 ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا...﴾ [سورة البقرة: 286]
- 68 ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ...﴾ [سورة الزلزلة: 7، 8]
- 68 ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا...﴾ [سورة البقرة: 255]
- 68 ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [سورة الملك: 2]
- 68 ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا...﴾ [سورة الأنبياء: 30]
- 68 ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [سورة الفجر: 24]

- 69 ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ...﴾ [سورة يس: 36]
- 69 ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ قَسْوَى﴾ [سورة الأعلى: 1، 2]
- 70 ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي النَّارِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ...﴾ [سورة الإسراء: 70]
- 71 ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَتْلُوَكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [سورة الملك: 2]
- 71 ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا...﴾ [سورة الإنسان: 1-3]
- 71 ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ...﴾ [سورة الزلزلة: 7، 8]
- 72 ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا...﴾ [سورة البقرة: 35-39]
- 72 ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [سورة الضحى: 4]
- 72 ﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرَ وَأَبْقَى﴾ [سورة الأعلى: 16، 17]
- 72 ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [سورة القيامة: 20، 21]
- 72 ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى...﴾ [سورة النازعات: 37-41]
- 73 ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا أَنْتَ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَا تُنْسِ نَصِيحَتِكَ مِنْ...﴾ [سورة القصص: 77]
- 73 ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا نُوفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ...﴾ [سورة هود: 15، 16]
- 74 ﴿أَهْمَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَتَّلهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا...﴾ [سورة الأعراف: 49-51]
- 76 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْتَبُوا كَثِيرًا مِنَ الطَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الطَّنِّ...﴾ [سورة الحجرات: 12]
- 78 ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ...﴾ [سورة الإسراء: 85]
- 78 ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِينِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ...﴾ [سورة يوسف: 76]
- 78 ﴿...سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا...﴾ [سورة البقرة: 32]
- 87 ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا...﴾ [سورة التغابن: 2]
- 88 ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي...﴾ [سورة الملك: 1، 2]
- 88 ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ...﴾ [سورة الذاريات: 56-58]
- 90 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ...﴾ [سورة الأنبياء: 25]
- 90 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ [سورة البقرة: 21]
- 90 ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [سورة الروم: 30، 31]
- 90 ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [سورة البقرة: 138]
- 91 ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ...﴾ [سورة الجاثية: 13]
- 92 ﴿لَا يَكْتَلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا...﴾ [سورة البقرة: 286]
- 92 ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَتَابِعِهَا...﴾ [سورة الملك: 15]
- 93 ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [سورة العلق: 6، 7]

- 93 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَىٰ وَالْمُنْكَرِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۗ قُلْ إِنِّي أَعِظُكُم بِمَا كُنْتُمْ تُعِظُونَ﴾ [سورة النحل: 90]
- 93 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا تَأْخُذْ بَعِثَاتُ الْفِتْنَةِ ۚ وَكُونُوا مَعَهُ عَدْلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة المائدة: 8]
- 94 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ أَنفُسُكُمْ كَانَتْ لِلْكَافِرِينَ هَدًى لَّغَوُوا بِهِ خَيْرَ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النساء: 135]
- 94 ﴿وَإِنْ حِفْظُهُمْ مِنَ الْقَسِطِ فِي الْقِيَامَةِ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة النساء: 3]
- 94 ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْتٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمِنْهُمَا قَاتِلٌ يُؤْتِي الْقِتَالَ وَيَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة الحجرات: 9]
- 94 ﴿وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ﴾ [سورة النساء: 58]
- 95 ﴿فَلِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّاسِ لَأُصْلَبُنَّ فِي طُغْيَانِهِمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الشورى: 15]
- 95 ﴿إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَى الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلَ الْفَتْحِ ۖ وَكَلَّمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الإسراء: 7]
- 95 ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَبِالْحَقِّ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 83]
- 96 ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [سورة الملك: 2]
- 96 ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۚ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۚ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 35]
- 96 ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإنسان: 2، 3]
- 96 ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا خَمِيمًا فَأَمَّا يَاتِيكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ ۖ﴾ [سورة البقرة: 38، 39]
- 97 ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَىٰ جَهَنَّمَ إِذَا نُفِخَ فِي السُّورِ ۚ﴾ [سورة المؤمنون: 115، 116]
- 98 ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [سورة الزلزلة: 7، 8]
- 98 ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ [سورة الحجر: 92]
- 99 ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الحاقة: 29]
- 99 ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُودَهُمْ وَنَحْوَاهُمْ تِلْكَ أَرْسَالُنَا ۚ﴾ [سورة الزخرف: 80]
- 99 ﴿وَإِذَا أَدْفَنُوا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ ۚ﴾ [سورة يونس: 21]
- 99 ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا لَا أَشْهَدُونَ ۚ﴾ [سورة الزخرف: 19]
- 99 ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَلْقَاهُ اللَّهُ ۚ﴾ [سورة المجادلة: 6]
- 99 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۚ﴾ [سورة النساء: 1]
- 99 ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَاتُهُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ ۚ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَفْرًا ۚ﴾ [سورة الإسراء: 13، 14]
- 99 ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُحْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ ۚ﴾ [سورة الكهف: 49]
- 99 ﴿وَقَفَرُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات: 24]
- 99 ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۚ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۚ ثُمَّ ۖ﴾ [سورة النجم: 39-41]
- 101 ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [سورة طه: 50]
- 101 ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ۚ﴾ [سورة الأعراف: 54]
- 101 ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۚ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ ۖ﴾ [سورة الذاريات: 56-58]

- 103 ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ...﴾ [سورة السجدة: 7-9]
- 104 ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [سورة الروم: 30]
- 105 ﴿سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَدْبِيرًا...﴾ [سورة الأحزاب: 62]
- 105 ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ...﴾ [سورة فاطر: 43]
- 105 ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لَأَهْلِكُنَّاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا...﴾ [سورة الكهف: 59]
- 105 ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ [سورة الرعد: 11]
- 105 ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾ [سورة الأعراف: 54]
- 108 ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [سورة الروم: 30]
- 108 ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ...﴾ [سورة الإسراء: 44]
- 108 ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [سورة الحج: 18]
- 108 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...﴾ [سورة الروم: 21]
- 109 ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَحْتَمِلَ مِنْكُمْ...﴾ [سورة النحل: 72]
- 110 ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي...﴾ [سورة النساء: 76]
- 110 ﴿فَنَهَرُموهُم بِأَذْنِ اللَّهِ وَقَتْلَ دَاوُدَ حَالِوتَ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾ [سورة البقرة: 251]
- 110 ﴿وَإِلَى نَمُودٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ...﴾ [سورة هود: 61]
- 112 ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ...﴾ [سورة يس: 36]
- 112 ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات: 49]
- 112 ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ...﴾ [سورة الإسراء: 44]
- 113 ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِنْسَانٌ لَطِيفٌ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَى﴾ [سورة العلق: 6, 7]
- 113 ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: 24]
- 113 ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾ [سورة القصص: 38]
- 114 ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ نِيَانًا...﴾ [سورة الصف: 4]
- 114 ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ...﴾ [سورة يس: 36]
- 114 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [سورة النساء: 1]
- 114 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا...﴾ [سورة الحجرات: 13]
- 114 ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا...﴾ [سورة الملك: 15]
- 116 ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا...﴾ [سورة البقرة: 35-39]
- 116 ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَصْنَكُمْ كَافِرٍ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا...﴾ [سورة التغابن: 2]
- 118 ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ...﴾ [سورة النحل: 97]

- 119 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَحَقَعْنَاكُمْ شُعُوبًا...﴾ [سورة الحجرات: 13]
- 120 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...﴾ [سورة الروم: 21]
- 120 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ...﴾ [سورة الروم: 22]
- 120 ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا...﴾ [سورة البقرة: 286]
- 122 ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ [سورة الرعد: 11]
- 125 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [سورة النساء: 1]
- 126 ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا...﴾ [سورة البقرة: 35-37]
- 126 ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...﴾ [سورة النساء: 124]
- 126 ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ...﴾ [سورة النحل: 97]
- 126 ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِلِينَ...﴾ [سورة الأحزاب: 35]
- 128 ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ...﴾ [سورة طه: 114]
- 128 ﴿أَمِنْ هُوَ قَاتٍ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ...﴾ [سورة الزمر: 9]
- 130 ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا لَكَالًا...﴾ [سورة المائدة: 38]
- 131 ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا...﴾ [سورة النور: 2]
- 131 ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا...﴾ [سورة النساء: 92, 93]
- 132 ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ...﴾ [سورة النساء: 176]
- 132 ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ...﴾ [سورة النحل: 57-59]
- 133 ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ...﴾ [سورة البقرة: 228-231]
- 133 ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لِبُلَّةِ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُكُمْ...﴾ [سورة البقرة: 187]
- 133 ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾ [سورة الأعراف: 189]
- 134 ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ...﴾ [سورة التوبة: 71]
- 134 ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا...﴾ [سورة الإسراء: 23-26]
- 134 ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ...﴾ [سورة البقرة: 177]
- 134 ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنْ...﴾ [سورة الأنفال: 90]
- 136 ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ...﴾ [سورة النساء: 7-9]
- 136 ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ...﴾ [سورة البقرة: 83]
- 136 ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ...﴾ [سورة النساء: 176]
- 136 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي...﴾ [سورة النساء: 10]
- 137 ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى...﴾ [سورة النساء: 34]

- 137 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا...﴾ [سورة الحجرات: 13]
- 141 ﴿إِن هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ...﴾ [سورة الإسراء: 9]
- 142 ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ...﴾ [سورة آل عمران: 110]
- 142 ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ...﴾ [سورة الشمس: 7-10]
- 143 ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [سورة الأعلى: 14، 15]
- 143 ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ...﴾ [سورة الجمعة: 2]
- 143 ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [سورة العلق: 6-8]
- 144 ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات: 24]
- 144 ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾ [سورة القصص: 38]
- 144 ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقَالَ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّىٰ...﴾ [سورة النازعات: 17-19]
- 144 ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْتَرُوا فِيهَا...﴾ [سورة الفجر: 10-12]
- 145 ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ...﴾ [سورة النساء: 97]
- 145 ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ تَوْلًا تُسَبِّحُونَ﴾ [سورة القلم: 28]
- 145 ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ [سورة البقرة: 143]
- 147 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ...﴾ [سورة الأنبياء: 25]
- 148 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾ [سورة الحجرات: 15]
- 149 ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ...﴾ [سورة فصلت: 6، 7]
- 149 ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أُمَّنَّاكُمْ فَاذْعَبْهُمْ...﴾ [سورة الأعراف: 194]
- 149 ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نِدْعَتَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ...﴾ [سورة الأعراف: 197]
- 149 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ...﴾ [سورة البقرة: 165]
- 149 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا...﴾ [سورة آل عمران: 156]
- 149 ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا وَمَنْ...﴾ [سورة آل عمران: 145]
- 150 ﴿وَلَا تُصْعَقْ خَلْقَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ...﴾ [سورة لقمان: 18]
- 150 ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...﴾ [سورة العصر: 1-3]
- 150 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا...﴾ [سورة الحجرات: 13]
- 150 ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ...﴾ [سورة المائدة: 18]
- 150 ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ...﴾ [سورة النساء: 110]
- 150 ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ...﴾ [سورة الزمر: 53]
- 152 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُومُ الْمَصِيرُ إِذَا الْقُورَاءُ...﴾ [سورة الملك: 6-10]

- 153 ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ...﴾ [سورة الحج: 46]
- 153 ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ...﴾ [سورة النحل: 78]
- 153 ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: 24]
- 153 ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ...﴾ [سورة النساء: 82]
- 154 ﴿وَتَنفَسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ...﴾ [سورة الشمس: 7-10]
- 155 ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ...﴾ [سورة الشورى: 30]
- 155 ﴿الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَاءَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّيْمُ إِنَّ رَبَّنَا...﴾ [سورة النجم: 32]
- 155 ﴿يَوَيَّا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا...﴾ [سورة الأعراف: 19-23]
- 156 ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنْ أَمْرٍ...﴾ [سورة آل عمران: 7]
- 156 ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [سورة الروم: 7]
- 156 ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَارِيخُهُ كَذَّبُوا...﴾ [سورة يونس: 39]
- 157 ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ...﴾ [سورة العلق: 1-5]
- 157 ﴿سَتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفْهَامِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ...﴾ [سورة فصلت: 53]
- 157 ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ...﴾ [سورة الزخرف: 23]
- 157 ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ...﴾ [سورة البقرة: 170]
- 158 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا...﴾ [سورة الحجرات: 6]
- 158 ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ...﴾ [سورة الإسراء: 36]
- 161 ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا...﴾ [سورة البقرة: 10]
- 161 ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ...﴾ [سورة التوبة: 125]
- 161 ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: 89]
- 161 ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا...﴾ [سورة البينة: 5]
- 161 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ...﴾ [سورة التحريم: 8]
- 161 ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة الشورى: 43]
- 162 ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ...﴾ [سورة الحديد: 4]
- 162 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ...﴾ [سورة آل عمران: 102]
- 162 ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ...﴾ [سورة إبراهيم: 11]
- 162 ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا...﴾ [سورة هود: 112]
- 162 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ...﴾ [سورة النساء: 59]
- 162 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ...﴾ [سورة البقرة: 165]

- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ...﴾ [سورة آل عمران: 31] 162
- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَاتِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ...﴾ [سورة الحجرات: 10] 162
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ...﴾ [سورة النساء: 58] 162
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَّقُوا اللَّهَ...﴾ [سورة الأنفال: 1] 162
- ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ...﴾ [سورة الحجر: 88] 162
- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا...﴾ [سورة البقرة: 40] 163
- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ...﴾ [سورة الزمر: 23] 163
- ﴿الْعَمَالِ وَالْبُتُونِ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ...﴾ [سورة الكهف: 46] 163
- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ...﴾ [سورة الحشر: 9] 163
- ﴿تِلْكَ النَّارُ الَّتِي أُتِخِرَتْ لِالَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ...﴾ [سورة القصص: 83] 163
- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا...﴾ [سورة الأعراف: 179] 165
- ﴿وَاتَّبَعُوا فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَحْسَبْ أَنَّكَ...﴾ [سورة القصص: 77] 166
- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ...﴾ [سورة الأعراف: 33] 166
- ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا...﴾ [سورة الأعراف: 31] 167
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا...﴾ [سورة البقرة: 172-173] 168
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ...﴾ [سورة المائدة: 90] 168
- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [سورة الروم: 30] 171
- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاَهُمْ...﴾ [سورة الإسراء: 70] 172
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ...﴾ [سورة الحديد: 25] 173
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾ [سورة آل عمران: 21، 22] 173
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ...﴾ [سورة التوبة: 23، 24] 174
- ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ...﴾ [سورة يس: 33-35] 175
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ...﴾ [سورة آل عمران: 110] 175
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...﴾ [سورة النحل: 120] 175
- ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ [سورة آل عمران: 104] 175
- ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ...﴾ [سورة البقرة: 141] 175
- ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ...﴾ [سورة يونس: 19] 177
- ﴿قُلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ...﴾ [سورة الزحرف: 22] 177
- ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمْمَا وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِضَاوِيلِهِ...﴾ [سورة يوسف: 45] 177

- 177 ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ...﴾ [سورة القصص: 23]
- 178 ﴿وَمَا مِنْ ذَاتَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنمِّئَ...﴾ [سورة الأنعام: 38]
- 179 ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ...﴾ [سورة يونس: 19]
- 179 ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا...﴾ [سورة المؤمنون: 51-54]
- 180 ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ...﴾ [سورة آل عمران: 110]
- 188 ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ...﴾ [سورة الزلزلة: 6-8]
- 189 ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ...﴾ [سورة الحديد: 25]
- 190 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا...﴾ [سورة المائدة: 8]
- 191 ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ...﴾ [سورة يونس: 13]
- 192 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ [سورة إبراهيم: 32-34]
- 193 ﴿وَلَيْسَتَعْتَفِبِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ...﴾ [سورة النور: 33]
- 193 ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا حَمَلَكُمُ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ...﴾ [سورة الحديد: 7]
- 194 ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوحَهُ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [سورة الإنسان: 9]
- 194 ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَالْأ...﴾ [سورة الماعون: 1-3]
- 195 ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى...﴾ [سورة البقرة: 29]
- 195 ﴿مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ...﴾ [سورة الحشر: 7]
- 203 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ...﴾ [سورة الأنبياء: 25]
- 203 ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: 9]
- 212 ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي...﴾ [سورة آل عمران: 49]
- 234 ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلِ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ...﴾ [سورة الرعد: 16]
- 234 ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ...﴾ [سورة الأنعام: 73]
- 234 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [سورة النساء: 1]
- 234 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ...﴾ [سورة فاطر: 3]
- 234 ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الحديد: 5]
- 234 ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ...﴾ [سورة الفرقان: 2]
- 234 ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا...﴾ [سورة الأنعام: 57]
- 234 ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرُ...﴾ [سورة الكهف: 26]
- 234 ﴿أَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: 17]
- 235 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي...﴾ [سورة فاطر: 40، 41]

- 236 ﴿فَلَنَأْخِطُبُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ...﴾ [سورة البقرة: 38، 39]
- 237 ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ [سورة الناس: 1-3]
- 237 ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا...﴾ [سورة البينة: 5]
- 237 ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا فَدَفَّلِحْ مِنْ...﴾ [سورة الشمس: 7-10]
- 237 ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي...﴾ [سورة الملك: 1، 2]
- 237 ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ...﴾ [سورة الأعراف: 3]
- 237 ﴿لَمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ...﴾ [سورة الحاثية: 18]
- 237 ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا...﴾ [سورة الطلاق: 1]
- 237 ﴿وَأَن تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا...﴾ [سورة النساء: 60]
- 238 ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [سورة الماعون: 2، 3]
- 240 ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ...﴾ [سورة البقرة: 60]
- 240 ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعِمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى كُنُوزًا...﴾ [سورة البقرة: 57]
- 241 ﴿وَإِذْ نَحْنُ نَحْتَابُكُمْ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...﴾ [سورة البقرة: 49-51]
- 241 ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: 9]
- 242 ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَالْحَمْلُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِقَبْرِ...﴾ [سورة المائدة: 3]
- 242 ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ...﴾ [سورة الأحزاب: 40]
- 242 ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ...﴾ [سورة المائدة: 48]
- 242 ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ...﴾ [سورة الحج: 78]
- 242 ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُونًا...﴾ [سورة الأعراف: 157]
- 243 ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا...﴾ [سورة الأنعام: 57]
- 243 ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي...﴾ [سورة الشورى: 10]
- 243 ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ...﴾ [سورة المائدة: 44]
- 243 ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ...﴾ [سورة المائدة: 45]
- 243 ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا...﴾ [سورة المائدة: 47]
- 243 ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ...﴾ [سورة المائدة: 48]
- 243 ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ لَمْ...﴾ [سورة النساء: 65]
- 243 ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ...﴾ [سورة البقرة: 129]
- 243 ﴿يَسْبُحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ...﴾ [سورة الجمعة: 1-3]
- 244 ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى...﴾ [سورة الفاشية: 21-26]

- 246 ﴿وَيَوْمَ نَبُذُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا...﴾ [سورة النحل: 89]
- 246 ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا...﴾ [سورة الشورى: 52]
- 247 ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ...﴾ [سورة التوبة: 31]
- 250 ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق: 1]
- 250 ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيقَةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِنَ لِغَيْرِهِ...﴾ [سورة المائدة: 3]
- 251 ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ [سورة التور: 55]
- 252 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا...﴾ [سورة الحجرات: 13]
- 255 ﴿وَاجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ...﴾ [سورة الحج: 78]
- 255 ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [سورة الملك: 2]
- 256 ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق: 6]
- 259 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا...﴾ [سورة سبأ: 34]
- 259 ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ...﴾ [سورة الزخرف: 23]
- 259 ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ...﴾ [سورة البقرة: 258]
- 259 ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُنَا مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي...﴾ [سورة الأعراف: 127]
- 261 ﴿وَإِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [سورة المائدة: 33]
- 261 ﴿وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا كِتَابًا...﴾ [سورة المائدة: 38]
- 261 ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ...﴾ [سورة المائدة: 45]
- 263 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ...﴾ [سورة النساء: 58]
- 263 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوتُوا الْأَمْرَ...﴾ [سورة النساء: 59]
- 267 ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ...﴾ [سورة الحديد: 25]
- 272 ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى...﴾ [سورة الشورى: 38]
- 273 ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ...﴾ [سورة آل عمران: 159]
- 274 ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى...﴾ [سورة الشورى: 38]
- 274 ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ...﴾ [سورة البقرة: 233]
- 280 ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ...﴾ [سورة الحديد: 25]
- 281 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ...﴾ [سورة النحل: 90]
- 281 ﴿وَوَصَّيْتُ كَلِمَاتٍ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ...﴾ [سورة الأنعام: 115]
- 282 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا...﴾ [سورة المائدة: 8]
- 282 ﴿لَا يَتَّخِذُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُعَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ...﴾ [سورة الممتحنة: 8]

- 283 ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ...﴾ [سورة الحجرات: 9]
- 283 ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾ [سورة الأنعام: 152]
- 283 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا...﴾ [سورة المائدة: 8]
- 283 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ...﴾ [سورة النحل: 90]
- 283 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ...﴾ [سورة النساء: 58]
- 285 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِئِ الْأَمْرَ...﴾ [سورة النساء: 59]
- 285 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ...﴾ [سورة المائدة: 2]
- 286 ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [سورة العلق: 1، 2]
- 286 ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ...﴾ [سورة الأعراف: 172]
- 286 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [سورة النساء: 1]
- 287 ﴿فَقُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ...﴾ [سورة البقرة: 38، 39]
- 287 ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ...﴾ [سورة النساء: 165]
- 287 ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا...﴾ [سورة الإسراء: 15]
- 287 ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ...﴾ [سورة فصلت: 46]
- 287 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا...﴾ [سورة الحجرات: 13]
- 287 ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ...﴾ [سورة الإسراء: 70]
- 288 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾ [سورة الحجرات: 10]
- 288 ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [سورة الروم: 30]
- 289 ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [سورة السجدة: 18]
- 289 ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ...﴾ [سورة الحديد: 10]
- 289 ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَبِ...﴾ [سورة النساء: 95]
- 289 ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَانِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ...﴾ [سورة الزمر: 9]
- 294 ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ...﴾ [سورة غافر: 21]
- 293 ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ...﴾ [سورة القصص: 83]
- 295 ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا...﴾ [سورة البقرة: 190]
- 296 ﴿هَلْ أُنبِئُ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا...﴾ [سورة الإنسان: 1-3]
- 296 ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [سورة البلد: 8-10]
- 297 ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة: 7، 8]
- 297 ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ...﴾ [سورة الإسراء: 70]

- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ...﴾ [سورة البقرة: 256] 300
- ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّ...﴾ [سورة الكهف: 29] 300
- ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَادِلْهُمْ...﴾ [سورة النحل: 125] 301
- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ...﴾ [سورة يونس: 99] 301
- ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يوسف: 103] 301
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ...﴾ [سورة النساء: 97-99] 301
- ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ يَأْتُهُمُ الظُّلْمُ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ...﴾ [سورة الحج: 39، 40] 302
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ [سورة آل عمران: 190، 191] 302
- ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لِيَوْمِئِذٍ أَنَّهُ...﴾ [سورة فصلت: 53] 303
- ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ [سورة الرعد: 11] 303
- ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْسَانٌ...﴾ [سورة النساء: 20] 303
- ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ [سورة آل عمران: 104] 304

فهرس الأحاديث النبوية

(مرتبة حسب ورودها في البحث)

الصفحة	بداية الحديث
4	1- «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»
171، 151، 12	2- «ما من مولود إلا يولد على الفطرة...»
24	3- «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه...»
148، 30	4- «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة...»
65	5- «بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرت...»
91	6- «بينما أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرجل...»
97	7- «أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل...»
121	8- «أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد...»
128	9- «طلب العلم فريضة على كل مسلم»
128	10- «من سلك طريقا يلتمس فيه علما...»
128	11- «أبما رجل كانت عنده وليدة...»
129	12- «من أحدث في أمرنا هذا...»
129	13- «كان النبي ﷺ يعجبه التيمن...»
129	14- «إذا شهدت إحداكن المسجد...»
129	15- «غزوات مع رسول الله ﷺ سبع غزوات...»
138	16- «إذا كان ثلاثة في سفر...»
160	17- «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين...»
163	18- «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...»
163	19- «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه...»
164	20- «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...»
164	21- «الدين النصيحة ثلاثا...»
164	22- «لا إيمان لمن لا أمانة له...»

- 165 -23 [«يا عبد الله ألم أحير أنك تصوم النهار...»]
- 166 -24 [«إذا توضأ العبد المسلم...»]
- 167 -25 [«الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان...»]
- 167 -26 [«لولا أن أشق على المؤمنين...»]
- 173 -27 [«سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله...»]
- 190 -28 [«يا عبدي إني حرمت الظلم على نفسي...»]
- 190 -29 [«إن الظلم ظلمات يوم القيامة»]
- 190 -30 [«المسلم أخو المسلم...»]
- 193 -31 [«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم...»]
- 193 -32 [«المؤمن للمؤمن كالبنيان...»]
- 245 -33 [«هون عليك فإني لست بمملك...»]
- 245 -34 [«تكون الخلافة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها...»]
- 264 -35 [«لا يحل لثلاثة نفر يكونون بفلاة...»]
- 264 -36 [«إذا خرج ثلاثة في سفر...»]
- 264 -37 [«ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...»]
- 264 -38 [«...ومن مات وليس في عنقه...»]
- 264 -39 [«من خرج من الطاعة وفارق...»]
- 284 -40 [«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...»]
- 290 -41 [«إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا...»]
- 291 -42 [«...أتشفع في حد من حدود الله...»]
- 293 -43 [«يا أبا ذر إنك ضعيف وإها أمانة...»]
- 293 -44 [«إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة...»]
- 293 -45 [«لا يسترعي الله عبدا رعية...»]
- 293 -46 [«ما ذئبان جائعان أرسلان...»]
- 294 -47 [«إنما الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟...»]
- 304 -48 [«مثل القائم على حدود الله...»]

فهرس المحتوى

...	المقدمة.
78...1	الفصل الأول: النموذج المعرفى التوحيدى:
41...2	المبحث الأول: المفاهيم المفتاحية للنموذج المعرفى التوحيدى:
3...2	تمهيد.
8...4	أولاً: مفهوم الدين فى القرآن:
5...4	1- معنى الدين فى اللغة العربية.
8...5	2- معنى الدين فى القرآن الكريم.
14...8	ثانياً: مفهوم الفطرة فى القرآن:
7...8	1- معنى الفطرة فى اللغة.
11...9	2- معنى الفطرة فى القرآن والسنة.
14...11	3- العلاقة بين الدين والفطرة.
18...14	ثالثاً: مفهوم القراءة فى القرآن:
14-14	1- معنى القراءة فى اللغة.
18-15	2- معنى القراءة فى القرآن:
16-16	أ- الجمع بين القراءتين.
18-17	ب- الفصل بين القراءتين.
22-18	رابعاً: مفهوم العلم فى القرآن:
18-18	1- معنى العلم فى اللغة.
19-18	2- معنى العلم فى القرآن:
19-19	أ- علم الله تعالى.
20-19	ب- موضوع العلم الإلهى.
20-20	ج- علم الإنسان.
22-20	د- موضوع علم الإنسان.

28-22	خامسا: مفهوم الإيمان في القرآن:
23-22	1- معنى الإيمان في اللغة.
25-24	2- معنى الإيمان في الكتاب والسنة.
26-25	3- البعد المعرفي للإيمان.
28-27	4- علاقة العلم بالإيمان.
28-28	5- علاقة العلم والإيمان بالعمل.
32-29	سادسا: مفهوم العمل في القرآن:
29-29	1- معنى العمل في اللغة.
32-29	2- معنى العمل في القرآن.
41-32	سابعا: مفهوم المعرفة في القرآن:
32-32	1- معنى المعرفة في اللغة.
35-32	2- معنى المعرفة في القرآن.
39-35	3- ثنائية الموقف المعرفي القرآني.
41-39	4- مقاصد المعرفة وغاياتها.
78-42	المبحث الثاني: مقومات النموذج المعرفي التوحيدي.
42-42	تمهيد.
52-42	المقوم الأول: حقيقة التوحيد:
45-44	المبدأ الأول: ثنائية الحقيقة.
46-45	المبدأ الثاني: الصلة بين الخالق والإنسان المخلوق.
48-46	المبدأ الثالث: غائية الخلق.
49-48	المبدأ الرابع: قدرة الخلق على تحقيق غاياته.
52-49	المبدأ الخامس: مسؤولية الإنسان.
61-52	المقوم الثاني: حقيقة الكون:
54-52	أولا: قضية الخلق.
59-54	ثانيا: سنة الله في الخلق.

59-59	ثالثا: تسخير الكون:
60-59	1- الهداية العقديّة.
61-60	2- الهداية للمعرفيّة.
	3- الهداية التسخيرية أو العمليّة.
68-61	المقوم الثالث: حقيقة الإنسان:
63-61	أولا: التكوين الفطري للإنسان:
63-62	1- العنصر المادي.
64-63	2- العنصر الروحي.
66-65	ثانيا: غاية وجود الإنسان في الأرض.
68-66	ثالثا: تحقيق غاية الوجود الإنساني.
74-68	المقوم الرابع: حقيقة الحياة:
69-68	أولا: مفهوم الحياة في المنهج القرآني.
69-69	ثانيا: مفهوم الحياة الإنسانية في المنهج القرآني:
70-69	1- قيمة الذات الإنسانية.
74-71	2- حقيقة الحياة الدنيا والآخرة.
78-75	المبحث الثالث: المعرفة ووحدة الحقيقة في النموذج المعرفي التوحيدي:
78-76	1- مبدأ المعرفة ووحدة الحقيقة:
76-76	القاعدة الأولى: رفض ما يخالف الحقيقة.
77-77	القاعدة الثانية: رفض استمرار المتناقضين.
78-77	القاعدة الثالثة: الانفتاح وتقبل الدليل المخالف.
196-80	الفصل الثاني: البعد الاجتماعي لعقيدة التوحيد:
81-80	تمهيد.
84-82	المبحث الأول: تصور الحياة الإنسانية وغاياتها في الفلسفة المادية:
82-82	أولا: التصور الغربي العام للوجود:
84-83	1- عناصر التصور الغربي العام للوجود.

84-84	ثانيا: معنى الحياة وغاياتها في الفلسفة المادية.
90-86	المبحث الثاني: تصور علاقات الحياة الإنسانية وغاياتها في الرؤية القرآنية:
90-86	أولا: العلاقة بين الله الخالق وبين الإنسان، هي: علاقة عبودية:
89-86	1- العبودية الضرورية والعبودية الاختيارية.
89-89	2- فطرية العبادة.
90-90	3- العبادة حتى الله على العباد.
92-90	ثانيا: العلاقة بين الإنسان والكون، هي: علاقة تسخير.
94-92	ثالثا: العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، هي: علاقة عدل وإحسان.
96-95	رابعا: العلاقة بين الإنسان والحياة، هي: علاقة ابتلاء:
96-95	1- ميادين اختبار الإنسان.
99-97	خامسا: العلاقة بين الإنسان والحياة الآخرة، هي: علاقة مسؤولية وجزاء:
98-98	1- إحصاء أعمال الإنسان في الدنيا وتسجيلها عليه.
99-98	2- مسؤولية الإنسان عن أعمال الدنيا في الحياة الآخرة.
112-100	المبحث الثالث: طبيعة الحياة الاجتماعية الإنسانية في القرآن الكريم:
100-100	أولا: الفطرة.
105-101	ثانيا: حقيقة سنن الحياة الاجتماعية في القرآن.
109-105	ثالثا: الثابت والمتغير في الحياة الاجتماعية.
112-110	رابعا: معادلة الفردية والجماعية.
115-113	المبحث الرابع: نشأة المجتمع الإنساني:
114-113	أولا: سنة التكاثر.
115-114	ثانيا: حاجة الإنسان الفطرية إلى المجتمع.
115-115	ثالثا: ضرورة الدين للاجتماع الإنساني.
122-116	المبحث الخامس: مقومات المجتمع الإسلامي:
122-116	أولا: مقومات المجتمع القرآني:
118-116	المقوم الأول: الوحدانية.

120-118	المقوم الثاني: وحدة الإنسانية.
122-120	المقوم الثالث: وحدة نظم الحياة الاجتماعية.
137-123	المبحث السادس: خصائص المجتمع الإسلامي:
124-123	أولاً: المساواة بين الذكر والأنثى في المكانة والقدر:
124-124	1- الذكر والأنثى من أصل واحد.
126-125	2- المساواة بين الذكر والأنثى في الواجبات الدينية وثوابها.
128-126	3- حق المساواة في التربية والتعليم.
130-128	4- الشخصية القانونية المنفصلة للمرأة عن الرجل.
132-130	ثانياً: المجتمع الإسلامي ^{مبني} ذو جنسين.
134-132	ثالثاً: الاعتمادية المتبادلة.
135-134	رابعاً: الأسرة الممتدة أو المتحدة.
137-136	خامساً: قوامه الأب على الأسرة في المجتمع الإسلامي.
196-138	المبحث السابع: أسس بناء النظام الاجتماعي الإسلامي:
139-138	تمهيد.
140-140	الأساس الأول: بناء نموذج الإنسان الصالح المصلح:
140-140	1- الغرض من بناء شخصية الإنسان.
141-140	2- إنسان التزكية.
142-141	3- مفهوم التزكية.
145-142	4- غايتنا التزكية.
146-146	5- مضمون منهاج التزكية:
169-147	المحور الأول: تزكية النفس الإنسانية:
152-147	1- البناء الاعتقادي.
159-152	2- البناء العقلي.
164-159	3- البناء الروحي.
169-165	4- البناء الصحي.

175-169	المحور الثاني: تزكية البيئة العامة:
171-169	1- تزكية البيئة الدينية الثقافية.
174-171	2- تزكية البيئة الاجتماعية السياسية.
175-174	3- تزكية البيئة الطبيعية.
181-175	الأساس الثاني: بناء نموذج الأمة الوسط:
179-176	1- مفهوم الأمة في القرآن والسنة.
181-179	2- أسس بناء الأمة الوسط:
179-179	أ- بناء الأساس الاعتقادي الفكري.
179-179	ب- بناء أساس وحدة مصادر التشريع.
180-180	ج- بناء أساس وحدة مشاعر التأخي.
180-180	د- بناء أساس الشعور بالمسؤولية عن الدعوة إلى الله.
180-180	هـ- بناء أساس وحدة المصير المشترك.
181-180	و- بناء أساس استمرارية الأمة.
196-181	الأساس الثالث: حل المسألة الاجتماعية:
184-182	1- المذهب الاجتماعي الرأسمالي.
186-184	2- المذهب الاجتماعي الاشتراكي الشيوعي.
188-186	3- المذهب الاجتماعي الإسلامي:
188-187	أولاً: فلسفة الإسلام الاجتماعية:
187-187	أ- المقياس الخلقى.
188-188	ب- الإحساس الخلقى بالحياة.
196-188	ثانياً: حل المسألة الاجتماعية في القرآن والسنة.
193-191	ثالثاً: حل المسألة الاجتماعية الاقتصادية:
194-193	1- توفير الاحتياجات الضرورية للمجتمع.
194-194	2- توفير مصدر شريف للرزق.
195-194	3- التوزيع العادل للدخل والثروة.

196-195	4- النمو والاستقرار.
302-197	الفصل الثالث: البعد السياسي لعقيدة التوحيد:
198-197	تمهيد.
199-198	المبحث الأول: تحديد المفاهيم:
199-198	أولاً: مفهوم المذهب السياسي.
200-199	ثانياً: مفهوم علم السياسة.
201-201	ثالثاً: مفهوم النظام السياسي.
216-202	المبحث الثاني: فلسفة الحكم الديني (التيوقراطي):
202-202	أولاً: التوحيد أصل الاجتماع السياسي.
206-204	ثانياً: حقيقة الحكم الديني التيوقراطي:
207-206	1- نظرية الطبيعة الإلهية للحكام.
209-207	2- نظرية الحق الإلهي للمباشر.
210-209	3- نظرية الحق الإلهي غير المباشر.
212-211	ثالثاً: الإصلاح الديني العروتستاني:
216-212	1- فكرة الخلاص الروحي.
229-217	المبحث الثالث: فلسفة السياسة في العقيدة العلمانية:
218-217	أولاً: تعريف العقيدة العلمانية.
218-217	1- معنى العقيدة.
218-218	2- معنى العلمانية.
218-218	أ- العلمانية في اللغة.
221-219	ب- العلمانية في الاصطلاح.
230-221	ثانياً: أصول فلسفة السياسة العلمانية:
223-222	الأصل الأول: تحرير الدولة من الدين.
229-223	الأصل الثاني: تحرير العقل.

253-230	المبحث الرابع: تعاليم القرآن السياسية:
231-230	أولاً: تحليلات التوحيد السياسية.
236-231	ثانياً: أصول فلسفة الإسلام السياسية:
236-231	الأصل الأول: التوحيد:
236-232	1- الله الخالق.
246-236	الأصل الثاني: الرسالة:
246-238	1- بين الحاكمية الإلهية وحاكمية الكتاب:
239-238	أ- الحاكمية الإلهية.
244-239	ب- حاكمية الكتاب في الإسلام.
246-244	2- الفرق بين الحاكمية الإلهية وحاكمية الكتاب:
245-244	أ- الحاكمية الإلهية.
246-245	ب- حاكمية الكتاب (القرآن).
254-246	الأصل الثالث: الأمة:
247-246	أولاً: مفهوم الأمة الشرعي والاصطلاحي.
249-247	ثانياً: مقومات نشأة الجماعة السياسية في الإسلام (الأمة).
249	ثالثاً: الأبعاد السياسية لمفهوم الأمة.
249-249	1- الوحدة:
250-250	أ- وحدة الإجماع الفكري.
250-250	ب- وحدة الإجماع الإرادي.
251-251	ج- وحدة الإجماع العملي.
252-252	2- المساواة.
253-252	3- العدل.
253-253	4- التعبئة.
302-254	المبحث الخامس: النظام السياسي الإسلامي (نظام الأمة):
254-254	أولاً: تحديات الحكم السياسي الإسلامي في المجتمع المعاصر:

253-254

النموذج الأول: مذاهب الإمامة والخلافة.

256-255

النموذج الثاني:

255-255

1- النمط الثيوقراطي.

257-256

2- النمط العلماني الديني.

258-258

ثانيا: ضرورة النظام السياسي الإسلامي:

262-259

1- دليل القرآن والسنة.

263-262

2- دليل التاريخ.

263-263

3- دليل الإجماع.

264-263

4- دليل سنن الاجتماع.

266-264

ثالثا: أهداف النظام السياسي الإسلامي:

265-265

1- الكتاب.

265-265

2- الميزان.

265-265

3- القسط.

266-265

4- الحديد.

268-266

رابعا: مبادئ النظام السياسي الإسلامي:

277-268

المبدأ الأول: الشورى:

268-268

أولاً: معنى الشورى:

269-268

1- معنى الشورى في اللغة.

271-269

2- معنى الشورى في الاصطلاح.

271-271

3- مفهوم الشورى في القرآن والسنة:

273-271

أ- مفهوم الشورى في القرآن.

275-273

ب- مفهوم الشورى في السنة.

276-275

4- بين الشورى والاستشارة.

277-277

5- الشورى بين المبدأ والتطبيق.

283-278

المبدأ الثاني: العدل:

279-278	أولاً: مكانة العدل في الإسلام:
280-279	1- علاقة التوحيد بالعدل.
280-280	2- علاقة العدل بالشورى.
280-280	3- علاقة العدل بالمساواة والحرية.
283-280	ثانياً: العدل في النظام السياسي:
293-283	المبدأ الثالث: المساواة:
283-283	أولاً: أصول المساواة في الإسلام:
284 284	1- وحدة المصدر.
284-284	2- وحدة الأصل.
286-284	3- وحدة التكليف.
287-286	ثانياً: المساواة في النظام السياسي الإسلامي.
287-287	ثالثاً: أسس المساواة في النظام السياسي الإسلامي:
289-287	1- المساواة أمام القانون.
290-289	2- المساواة أمام القضاء.
292-290	3- المساواة في تولي الوظائف العامة.
293-292	4- المساواة في تحمل التكاليف العامة.
302-293	المبدأ الرابع: الحرية:
294-294	أولاً: دلالة الوحي والفطرة على حرية الإنسان.
295-294	ثانياً: الحقوق الإنسانية العامة في الإسلام.
296-295	ثالثاً: حدود الحرية الإنسانية في الإسلام.
296-296	رابعاً: حرية الرأي في النظام السياسي الإسلامي:
296-296	1 حرية الرأي في القرآن والسنة:
300-296	أ- حرية العقيدة.
301-300	ب- حرية التفكير.
302-301	ج- الحرية السياسية.

308-306	٣- الخاتمة.
324-309	- مصادر البحث ومراجعته.
343-325	- فهرس الآيات القرآنية.
346-344	- فهرس الأحاديث النبوية.
357-347	- فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

La dimension socio-politique de l'unicité (*tawhīd*)

Thèse de doctorat d'Etat présentée par Ammar TESTAS

Université Emir Abdelkader des Sciences Islamiques - Constantine

L'écriture sur les fondements théologiques de l'Islam avant le V^e siècle de l'hégire se réduit à des simples questions portant sur les divinités, les prophéties, la vie éternelle et le destin de l'homme.

Il est à noter que la science de l'unicité (*'ilm al-tawhīd*) est caractérisée, depuis sa naissance et son évolution, par un réalisme : méthode et sujet, jusqu'au V^e siècle de l'hégire. Cette situation reflète un processus historique dans lequel il est affirmé que cette science s'intéressait à des questions nouvelles rencontrées par la Foi musulmane.

Il est évident qu'à chaque temps existent des difficultés dont l'unicité cherche à trouver des solutions garantissant la bonne croyance. Le déficit que rencontre l'Islam aujourd'hui est global : Foi, Loi, institutions et valeurs morales sont mis en cause, en raison de l'influence matérialiste de la civilisation occidentale. Cette dernière impose sa vision de l'univers, de la vie, de l'homme et de la société sous la forme d'une structure globale : foi, institutions socio-politique, culturelle et économique.

Etant donné que l'Islam représente le dernier message divin comprenant une vision, issue de l'unicité, qui touche à des éléments importants : la vie, l'homme, la société et l'histoire, il est tout-à-fait possible de récupérer cette vision globale pour que les musulmans puissent avoir une conscience de la foi et de la Loi de l'Islam. Cela pourrait se faire par un renouvellement de notre vision de l'unicité à l'égard de tout ce qui est socio-politique.

Le sujet traité dans cette thèse part de cette idée formulée pour étudier dans l'ensemble quelques axes, dont on peut mentionner les résultats suivants :

1- L'étude du premier axe a abouti sur les critères du modèle dit « unicité » :

a- L'unicité est la base de la structure du savoir en Islam.

b- La révélation, l'univers et la raison se complètent pour former les sources du savoir en Islam.

c- Le point de départ de la philosophie du savoir profane et sociale se fonde sur l'unicité de l'Islam.

d- L'unicité comme modèle du savoir représente un lien entre elle et les nécessités sociales et politiques dont elle a besoin.

2- Parmi les résultats du deuxième axe, qui porte sur la dimension sociale de l'unicité, citons :

a- L'unicité est la base de la dimension sociale de la vie humaine.

b- La vie sociale se fonde sur le mariage entre les deux genres humains.

c- Le groupement social est composé de plusieurs familles.

d- Pour l'Islam, la coopération est une loi sociale et humaine.

e- L'attachement religieux est la base du groupement social en Islam.

f- L'organisation sociale en Islam reflète fidèlement les valeurs de l'unicité.

3- La dimension politique de l'unicité, qui forme le troisième axe de ma recherche, a pour résultats :

a- L'unicité est la base de la philosophie politique en Islam.

b- Le fait politique est humain et social mais aussi moral.

c- Le système politique musulman contemporain est différent de la formation historique de la communauté musulmane « umma », car il était issu directement de la révélation prophétique.

d- Le système politique musulman est aussi différent du modèle théocratique ecclésiastique par ses fondements.

e- Sur le plan référentiel, le système politique musulman se démarque du système politique laïque.